الجزء الأول | المجلد الحادي والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٦ م
١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

ديوان ابن النقيب

(١٠٤٨ – ١٠٨١ هـ)

في خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من ديوان ابن النقيب نقلت عن المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩٥ .

أما صاحب الديوان فهو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد المعروف بابن حمزة الحسيني وبابن النقيب . ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين وألف ، وتخرج بوالده النقيب وبجماعة من علماء دمشق وغيرها ، وغلب عليه الشعر والأدب ؛ وشعره يدل على رقة طبعه وحسن ذوقه وافتتانه بمحاسن الطبيعة ؛ وله مجموعة تشتمل على مختارات تشهد على حسن اختياره وحسن اطلاعه على الشعر . تكاد تكون كلها في وصف محاسن الطبيعة ووصف الجمال على اختلاف مظاهره ، وهي موجودة عندنا بخط الشاعر نفسه ، وليس هنا موضع الكلام عليها .

ولم يعش الشاعر كثيراً بل توفي مطعوناً في حياة والده سنة إحدى وثمانين وألف ولم يكمل الثالثة والثلاثين من عمره ، ودفن في مقبرة الدحداح غربي قبر أبي شامة . وترجم له المحبي في خلاصة الأثر وفي نفحة الريحانة .

أما ديوانه فقد جمع بعد وفاته ، جمعه ابنه السيد سعدي[1] ورتبه على حروف المعجم . قال في مقدمة الديوان :

(... وبعد فلما كان الأدب كيس اللسان ، وزبرج النطق والبيان ،

---

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . انظر سلك الدرر للمرادي ٢/١٠٦ .

عن الخاطر ، والفكر الفاتر ، جمع كلام سيدي الوالد .... السيد عبد الرحمن .... نجل السيد محمد النقيب .... وقد رأيت أني أحق الناس بجمع شوارده ، ولمّ شعث مقاطيعه وقصائده ، فأعملت جواد العزم في تطلابه من مسوداته ، وتلقفته من أفواه رواته ..... وقد رتبته على الحروف ، والأسلوب المألوف) .

وعدد صفحات الديوان مائة واثنتان وسبعون صفحة في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، وقلمه القلم المعروف بالنسخ ، وخطه واضح مقروء على أنه لم يخل من الأغلاط . وقد ورد في آخره ما نصه : (تم الديوان المنسوب نظمه للسيد عبد الرحمن النقيب في دمشق الشام عليه الرحمة والرضوان ، جمع السيد الشريف الحسيب النسيب السيد محمد سعدي بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى . وافق الفراغ من نسخه ضحوة نهار الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومائة وألف . على يد الفقير أحمد بن محمد الحموي غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين أجمعين والحمد لله رب العالمين) .

والديوان من الدواوين النادرة من حيث طرافة الموضوعات وكثرة المواقف الشعرية ، وقلة الأغراض المشحونة بها دواوين الشعراء ، فلقد تنزه عن الهجاء وخلا من الرثاء ، وكاد يخلو من المدح لولا بضع قصائد هي أشبه بالإخوانيات منها بالمدح المعهود في قصائد الشعراء ؛ فيكاد يكون كل ما فيه ترجمة عن عواطف النفس وهوى الشباب وعبادة الجمال في جميع مظاهره ، وتصويراً له ، وصاحب الديوان لا يرى الشعر إلا تصويراً وابتكاراً قال :

الشعر ضربٌ من التصوير قد كشفت ... منه القرائحُ عن شتى من الصورِ
فاعمد إلى قالبٍ عونٍ تُدمّثُهُ ... وافرغْ به أي معنىً شئتَ مبتكرِ (١)

أما الوصف فلقد طغى على جميع ما في الديوان من المعاني والأغراض ،

(١) الديوان ورقة ٤٥ .

وأكثره في الرياض والأنهار والأشجار والأزهار . قال المحبي في نفحة الريحانة [١] :

(... ماأذكره له تشبيه زُهر أو زَهر ، أو وصف روضٍ مطل على نهر ، وهو ممن أغري بهذين النوعين .... وذلك إما لميل غريزي في فطرته ، أو لأن دمشق متروّح فكرته) .

والطريف في وصفه عنايته الشديدة بالحركة حتى يكون الوصف صورة متحركة ، من ذلك قوله في طلوع البدر من خلال الأغصان :

وكأنما الأغصان تثنيها الصبا والبدر من خللٍ يلوح ويحجبُ
حسناء قد قامتْ وأرختْ شعرها في لجةٍ والموج فيها يلعب [٢]

وقوله :

ومجلسٍ حفّتِ الغصونُ بنا فيه ووجهُ الرياضِ مبتهجُ [٣]
كأن أوراقها يرفُّ بها فوق الندامى نسيمها الأرِج
خصرٌ من الأزر لا تزال بها مناكبُ الراقصات تختلج

وقوله :

والنهر بين الغصون مُطَّرِدٌ وموجه تابعٌ ومتّبَعُ [٤]

ولقد أكثر من وصف دمشق ومتنزهاتها في مناسبات مختلفة كوصف نزهة مع بعض إخوانه في الغوطة أو في الربوة ، أو وصف الربيع في بستان من بساتين دمشق . وله قصيدة في متنزهات دمشق ذكر فيها الغوطة والفيجة وبيتيمة والأشرفية وجديدة والهامة ودمر والشادروان والربوة والنيربين والصالحية وسفح قاسيون ودير مران والشرف والمرجة .

---

(١) مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ورقة ٢/١١٠ .
(٢) الديوان ورقة ١٢ .
(٣) الديوان ورقة ١٦ .
(٤) الديوان ورقة ٥٣ .

وكان كثيراً ما يختلف الى هذه الأمكنة مع أصحابه أو وحده ، وقد يكتب على جذوع الشجر ما يوحيه اليه طيب المكان وحسنه ، قال ابنه جامع الديوان : (ورأيت بخطه ما مثاله : وكتبت على شجرة بوادي دمشق وقد اتخذت في ذَراها مقيلا ، وأنخت في ظلها الوارف أصيلا ، وقد كستْ متن بَرَدَى ، من ظلها الألمى بردا ، فوصفت ذلك المقيل بما صورته من المقال :

يا سرحة الوادي سُقيتِ من الحيا غدقاً بواصل ذيله بقطاره [1]

لم أنس يومي في ذَراك [2] وحبذا من ظلك الألمى دبيب عذاره

لما أنختُ بجانب النهر الذي قد طاب لي عيشٌ مضى بجواره

حيث النسيم جرى عليه مهيناً فكأنما ناجاه بعض سراره

فتجعدتْ منه الأسرة واغتدى بخريره ينبيك عن أخباره

يا طيب ذياك النسيم جرى على بَرَدَى يسابق ذيله بعثاره

قد رحتُ منه بالشميم مضمخاً مما حباه الروض من أزهاره)

ولعل الربوة كانت أحب المتنزهات اليه فلقد قال فيها أكثر مما قال في غيرها من الشعر .

وكان مأخوذاً بحب الأزهار ، ولشدة شعوره بجمالها يتخيلها أحياء تحس وتتألم وتفرح وتحزن ، وقد وصف غير قليل من أنواعها كالورد والقرنفل والياسمين بألوانها المختلفة والنرجس والبنفسج والسنبل ، وكان القرنفل أحب الأزهار إليه قال فيه غير قليل من المقطوعات ، وجاراه في هذا الباب عدد من شعراء دمشق أشهرهم الأمير منجك الذي كان صديقاً له .

(١) الديوان ورقة ٣٩ .
(٢) الذَرا : الستر .

ووصف الربيع ومواكبه الساحرة ، والحمائم والبلابل والشحارير وسجعها ، والأنهار وهبوب الرياح والنسيم الواني [1] (على حد تعبيره) والروائح الذكية والسحب والمطر وما الى ذلك من محاسن الطبيعة وبواعث الشعر .

ووصف ليالي الأنس وأوقات الصفاء ومجالس الطرب وما فيها من لهو وعبث وشراب وغناء ورقص وله في ذلك مزدوجة لطيفة أولها :

يا مؤثر اللهو وطيب النعمهْ ورافعاً فيه مجوق الحشمهْ [2]

وفي الديوان قصيدة [3] فريدة في بابها ليس لها نظير ، ذكر فيها مجالس الأنس والطرب والمغنين والندماء في الدولتين الأموية والعباسية الى عهد الراضي ، مراعياً الترتيب الزمني ، وختمها بذكر البرامكة والحمدانيين وابن العميد والصاحب ابن عباد ، والأماكن المشهورة بالحسن . ونحن ننقل هذه القصيدة من الديوان مع ما كتب على الهامش وبين السطور من الشرح المختصر ، ونجعله في الذيل ؛ وما كان منه بين هلالين فهو من زياداتنا ؛ وأمكنة الفراغ ممحوة في الأصل أو غير مقروءة أو ذهب بها تفريط المجلد في الحبك والقطع .

---

(١) ورد في الديوان قوله :

. بكر الروض بالنسيم الواني وتجلى الربيع في الوان

ورقة ٧٩ .

(٢) الديوان ورقة ٧٥ .

(٣) الديوان ورقة ٢٩ .

قال بذكر بني أمية وبني العباس وندمائهم وأرباب الغناء من المشاهير :

كلما جدّدَ الشجيُّ أدّكارَهْ أُزعج الشوقُ قلبه واستطارَهْ (١)
ليت شعري أين استقل عن اللهـو (٢) بنوه وكيف أخلوا مزاره
بعد ما راوحتهمُ صفوةُ العيـشِ ونالوا طوعَ الهوى أوطاره
وجروا في مطارد الأنس طلقاً واجتلوا من زمانهم أبكاره
بين كأسٍ وروضةٍ وغديرٍ وسماعٍ ولذةٍ وغضاره
أين حلوا فعشبٌ ومقيلٌ أو أناخوا فوردةٌ وبهاره
من مليكٍ زفّتْ بحضرته الكا سَ قيانٌ يعزفن خلفَ الستاره
ووزيرٍ قد بات يسترق اللذا تِ وهناً والليلُ مرخٍ إزاره
وأميرٍ ممنطق بنداما ه وكأس الطلا لديهم مُداره
كم فتىً من بني أمية أمسى وخيولُ الهوى به مستطاره

---

(١) استطاره الشوق : عبارة عن غاية قال الوزير ابو محمد بن عبدون بذكر

فما أنس لا أنس عهدي بها وجري فيها (ذيول المراح)
فكم لي في اللهو من طيرة

(٢) بنو اللهو : هم الذين تعاقروا أكواسه ، وركبوا نجائبه وأفراسه ، وللصاحب في نحوه : أبناء الحروب الذين ذاقوا كؤوسها حلوةً ومرة ، والتحفوا لباسها مرةً بعد مرة . وأما بنات اللهو فتقال للأوتار . قال ابن المعتز :

أقت لشربها طرباً وعندي بنات اللهو تعبث بالوقارِ
ونجم الليل يركض في الدياجي كأن الصبح يطلبه بثار

كيزيدٍ (١) وشأنه مع أبي قيـــسٍ وما قد عراه في عَمّارهْ
ونداماه كابن (٢) جعدة والأخـــطل إذ عاقراه صفواً عقاره
وقضى ليله مع ابن زيادٍ (٣) وقتيب (٤) بن مسلمٍ ونهـاره

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أميـة بن عبد شمس وكنيته أبو خالد . وأبو قيس قرد له كان ينادمه يكنى أبا قيس، فكان إذا رآه قال : شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئةً فمسخه الله قرداً ؛ فربما وثب نقعد على عاتقه وربما عبّ معه في الكأس ، وإذا قعد على وسادة الندام اتكأ على مثل تكائه ؛ ولما مات كفنه ودفنه وأمر أهل الشام عليه وعزوه فيه وله يقول يزيد :

نديمي أبو قيس أخف مؤونةً وأحلم إما غاب حلم المنادمِ

وعَمّارة : أخت الغريض وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، أخذت الغناء عن أخيها وعن ابن سريج وابن محرز وفيها يقول بعض فتيان العرب :

لو تمنيت ما اشتهيت لكانت غاية النفس في الهوى عمّاره
بأبي وجهها الجميل الذي يز داد حسناً وبهجـةً ونضاره

(٢) ابن جعدة : هو قدامة بن جعدة بن هبيرة الخزرجي . والأخطل : هو الشاعر المشهور واسمه غياث بن غوث من بني تغلب ويكني أبا مليكة (كذا والصواب أبا مالك) وكان نصرانياً من أهل الجزيرة وهو وجرير والفرزدق طبقة واحدة .

(٣) هو مسلم بن زياد وكان نديماً ليزيد .

(٤) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي كان شهماً مقداماً وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية وهو صاحب الحرون وكان الحرون من المشاهير يضرب به المثل .

وكمروان[1] وابنه حين واسى بلذاذات عيشه سُمّاره
نادمته أبناء[2] يالية اللا ئي قضى في ربوعهم أسحاره
وكمثل الوليد[3] ذي القصف إذ كا ن يغب اصطباحه وابتكاره
ولديه الغريض[4] وابن سُرَيْجٍ أظهرا كل صنعةٍ مختاره
من غناء ألذ من نشوة الكا س وأشهى من صبوةٍ مستثاره
وسليمان[5] ذي الفتوة إذ كا ن لنحو الذلفاء[6] يبدي افتراره

---

(١) ومروان بن الحكم وكان غليظاً . وابنه : هو عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية ويكنى أبا الوليد ويقال له أبو الأملاك وذلك أنه ولي الخلافة أربعة من ولده .

(٢) (أبناء يالية : هم أبناء يالية بن هرم بن رواحة كان يأتيهم ليلاً وينادمهم) .

(٣) (الوليد بن عبد الملك بن مروان تولى الخلافة سنة ٨٦ وتوفي سنة ٩٦ كان من أفضل خلفاء بني أمية) .

(٤) الغريض : قال صاحب الأغاني اسمه عبد الملك وكنيته أبو زيد وقيل كان يكنى أبا مروان ولقب بالغريض لأنه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر فلقب بذلك والغريض الطري من كل شيء وهو أحد المغنين ورئيسهم . وابن سريج : هو أبو يحيى عبيد الله بن سريج ذكر صاحب الأغاني أنه كان أحسن الناس غناء وكان يغني مرتجلاً ويوقع بالقضيب .

(٥) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان كان أكولاً قيل انه نزل بالطائف فأكل سبعماية رمانة في يوم وخروفين وست دجاجات وأربعة صحون لوزينج .

(٦) الذلفاء : مغنية كانت لأخيه شراؤها عليه ألف ألف درهم ثم صارت اليه .

ويزيد بن (١) خالدٍ وأبو زيـــدٍ نديمان يشفيان أواره
بحديثٍ يستعجل الراح بالرا ح ويحتث أنجماً سيّاره
إذ يغني سنان (٢) كان يغالي ويجلّي بشدوه أكداره
وابن عبد العزيز (٣) إذ راوح الكأ س وولاه في زمان الإماره
ويزيد (٤) المعمود إذ خامرته نشوة الراح ليله ونهاره
وسبت ليه حُبَابة (٥) واستهـــوته حتى أباح فيها اشتهاره
واستمالت به سَلامة (٦) حتى أقلق الوجـد فكره وأثاره
إذ يناجيه لحن مَعْبَد (٧) بالشجـــو كما شاء معملاً أوتاره

(١) يزيد بن خالد التميمي كان سليمان يخصه وينادمه . وأبو زيد الأسدي كان خاصاً به يجالسه وينادمه .

(٢) مغن كان يأنس به سليمان بن عبد الملك ويسكن اليه ويكثر الخلوة معه ويستمتع بحديثه وغنائه .

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أشج بني مروان وأعدلهم .

(٤) يزيد بن عبد الملك مات عشقاً ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره ودفن بالبلقاء .

(٥) حبابة جارية كانت تسمى العالية أخذت الغناء عن ابن مريج وكانت مدنية شغف بها يزيد فكان يوماً يلاعبها فضربها بحبة رمانة وقبل بعنبة فدخلت في حلقها فشرقت فماتت فامتنع من دفنها حتى أنتنت دفنها قهراً عليه .

(٦) سلامة جارية اشتريت ليزيد من المدينة بعشرة آلاف دينار وكانت حسنة الوجه والغناء .

(٧) هو معبد بن وهب أحد المغنين المشهورين .

ولكم ألّف الغنـاء لديه ضرب عوّادةٍ على زمّاره
وهشامٍ[(١)] إذ استبدّ اختياراً بالرساطون[(٢)] واستلذ اختياره
من شرابٍ ظلتْ أفاويه العطــر به ذات نفحـةٍ سيّاره
والوليد[(٣)] المليك إذ واصل الكا سات واللهو جهده واقتداره
واغتدى في تهتكٍ ومجونٍ كان يجني قطوفه وثماره
ومناه ذكرى سليمى[(٤)] لوجدٍ ظل يذكي لهيبه واستعاره
إذ يغنيه مالك[(٥)] بن أبي السمــح وعمرو[(٦)] الوادي فينفي وقاره
ولكم خفف ابن عائشة[(٧)] اللحــن له فاستخفه واستطاره

(١) هو ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم .

(٢) الرساطون : شراب كان يصنع لهشام يطبخ بأفاويه كثيرة فيجيء طيب الرائحة قوياً صلباً وقيل يتخذ من الخمر والعسل .

(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المتزندق كان محباً للشرب واللهو والطرب وقتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

(٤) سليمى : هي بنت سعيد بن خالد أخت أم عبد الملك التي كانت تحته وله فيها خبر طويل .

(٥) مالك بن أبي السمح الطائي جاء في العقد لابن عبد ربه أنه أخذ الغناء عن معبد بن وهب وكان لا يضرب بالعود وانما يغني مرتجلاً .

(٦) (كذا والصواب عمر الوادي من أهل وادي القرى. اتصل بالوليد بن يزيد بعد أن أخذ الغناء عن أهل الحرم فآثره الوليد وأنس به) .

(٧) هو محمد ابن عائشة ويكنى أبا جعفر أخذ عن معبد ومالك وبغنائه يضرب المثل .

وابن ميّادة [١] بن أبرد والقا سم [٢] كانا يحثثان عقاره
بندامٍ ألذ من زورة الحبّ وأبهى من روضةٍ في قراره
وبُذَيحٌ [٣] أتى بأمرٍ عجاب إذ تولى على القرود الإماره
ويزيد [٤] المليك إذ كان يهوى صوت حدو الحداة في كل تاره
وتغني الركبان مذ كان منشا ه البوادي حتى اعترته الحضاره
ومروان [٥] ذي الفتوة إذ كا ن يوالي في غبطة أسفاره
فيرى اللهو والسماع مناه ويرى الحرب قطبه ومداره

* * *

---

(١) ابن ميّادة اسمه الرمّاح بن أبرد من غطفان (شاعر فصيح) كان ينادمه ويحدثه حديث الأعراب .

(٢) هو القاسم (بن) الطويل العبادي وكان أقرب ندمائه اليه واخصهم به .

(٣) بذيح مولى عبد الله بن جعفر (كان يضرب به المثل في حسن الصوت) .

(٤) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الملقب بالناقص لأنه نقص الجند من عطاياهم فلقب بذلك وقيل لأنه ناقص الوركين وقيل لقصر يديه وكانت المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز لكونه ينتحل مذهبهم .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعدي وكان زنديقاً ويلقب بوأس الحمار لشجاعته وقيل لبلادته وبه تم ملك آل مروان وخلافة بني أمية وأتى الله بالدولة العباسية . وخلفاء بني أمية من لدن معاوية الى مروان الجعدي أربعة عشر رجلاً .

وكآل العباس إذ كان عبد(١) الـلـــه يقضي طوع المنى أوطاره
كم غدا ليـلة الثلاثاء والسبـــت يوالي الغبوق بالقرقاره
وابن صفوان(٢) في الندامى يعاطيـــه كؤوس الحديث خلف الستاره
ولديهم أبو دلامة (٣) طوراً يصطفيه ويجتـلي أشعاره
وتحسّى منصورهم(٤) من وراء النســـك راحاً والى عليها استتاره
حل منه ابن جعفر (٥) في نداما ه محلاً إذ كان يبلو اعتشاره
فيراه فيهم ظريفاً أديباً لسناً حاذقاً لطايف الإشاره
ثم كان المهدي(٦) يجلس للأنـــس فيصفي لشربه أوطاره

---

(١) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (المعروف بالسفاح أول خلفاء بني العباس) .

(٢) هو خالد بن صفوان كان من أقرب الناس منزلة عند أبي العباس السفاح ينادمه ويسامره لطول لسانه وبلاغته وكثرة روايته .

(٣) أبو دلامة اسمه زيد بن الجون وكان ظريفاً فصيحاً كثير النوادر ماجناً خليعاً مدمناً للشراب راوية للأخبار والأشعار .

(٤) المنصور هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب أخو أبي العباس السفاح لأبيه (ثاني خلفاء بني العباس) .

(٥) هو محمد بن جعفر بن عبد الله بن العباس كان المنصور يأنس به ويلتذ بمحادثته .

(٦) المهدي هو محمد بن المنصور وهو الذي زاد . . . الحرام وبنى العلمين .

وفُلَيح [١] العوراء يشدو لديه فيسلّي حنينه وادكاره
ولديه ترب الغناء أبو إسحق [٢] يشدو بصنعةٍ ومهاره
ثم كان الهادي [٣] إذا حاول الشرب وغنى ابن جامع [٤] مختاره
يتولى الندام عيسى [٥] بن دأبٍ بكؤوسٍ من الحديث مُداره
ويفيض ابن مُصعَبٍ [٦] في نثير القول من حيث ينتقي أبكاره
وتحسّى الرشيد [٧] في دير مُرّا ن على كل تلعةٍ وقراره
من مدامٍ حكتْ رهابنةُ الدير بها في بهارةٍ جُلّناره
وعلى ضرب زَلْزَلٍ [٨] كان برصو ما لديه مواصلاً مزماره

(١) فليح بن العوراء المغني ·
(٢) هو ابراهيم الموصلي المشهور بالغناء ·
(٣) الهادي هو أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن المنصور ·
(٤) (اسمعيل بن جامع من أشهر المغنين ومن طبقة ابراهيم الموصلي) ·
(٥) (كان عيسى بن دأب من أكثر الناس أدباً وأكثرهم حظوة عند الهادي) ·
(٦) (هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير شاعر فصيح خطيب) ·
(٧) الرشيد هو أبو جعفر هرون الرشيد بن المهدي لبث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وحج ماشياً رحمه الله تعالى · ودير مران بناحية من دمشق يشرف على قرى ومزارع وغدران ورياض ·
(٨) زلزل اسمه منصور كان يضرب (بالعود) فقط وهو من الطبقة الاولى · وبرصوما كان زامراً في الطبقة الثانية فطرب منه الرشيد يوماً فرفعه الى الطبقة الاولى ·

ثم كان الأمين (١) يمرح من لذ اته في أعنـة مواره
إذ ترامى بحب كوثر (١) حتى سكن الحب قلبه واستخاره
ولديه مخـارق (٢) في المغنيـــن وبذل (٣) الكبيرة المختاره
والحسين (٤) الخليع ينثر عقداً من ندام يشف تحت العباره
ويزف ابن هانيء (٥) للفكاها ت كؤوساً من الهوى مستعاره
وأدار المأمون (٦) أكواب راح شعشع القصر نورها واستناره
حيث علوية (٧) المغني واسحـــق (٨) يزفان في الدجى أقماره

(١) محمد الأمين بن هرون الرشيد وأمه زبيدة هاشمية ، ولم يل الخلافة بعد علي بن أبي طالب هاشمي وأمه هاشمية غيره ، كان فصيحاً أديباً عالماً بأيام الناس وكان له خادم اسمه كوثر وكان يهواه حتى قال فيه :

ما يريد النـاس من صـــب بمن يهوى كئيب
كوثر ديـني ودنيـا ي وسقمي وطبيـبي

(٢) مخارق كان مملوكاً لامرأة من أهل الكوفة فاشتراه منها اسحق بن ابراهيم (الموصلي وعلمه الغناء فبرع فيه) فأخذه الرشيد منه .

(٣) بذل : جارية كانت لجعفر بن موسى (الهادي أخذها منـه الأمين وهي إحدى المغنيات المحسنات) .

(٤) (هو الحسين بن الضحاك الباهلي المشهور بالخليع الشاعر النديم) .

(٥) أبو نواس (الحسن بن هانئ الشاعر المشهور) .

(٦) المأمون هو عبد الله بن هرون الرشيد .

(٧) علوية (هو أبو الحسن علي بن عبد الله كان مغنياً حاذقاً) .

(٨) (اسحق بن ابراهيم الموصلي كبير المغنين العالم الأديب الشاعر النديم) .

حيث يحيي[1] بن أكثم يتولى بسطه وابن طاهرٍ[2] أسماره

وعُرَيب[3] مع القيان تغنيــــه بصوتٍ تخيرتْ أشعاره

وابن هرون[4] كان يألف إبرا هيم[5] شوقاً ويستلذ اعتشاره

واغتدى الواثق[6] المقدَّم في الشعـــر على الكأس مُعملاً أدواره

إذ تولى بأمره مهج[7] الخا دم عنـد اصطباحه إسكاره

واغتدى أحمد النديم[8] على شر ط بني اللهو ناشراً أخبــاره

وانثنى الفتح[9] يفتحي من أحاديـــث الهوى ممتماته وقصــاره

(١) (يحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون أحد أعلام الدنيا علماً وأدباً وعقلاً) .

(٢) (هو عبد الله بن طاهر من أكابر رجال المأمون) .

(٣) عريب جارية عبد الله بن اسمعيل صاحب المراكب كانت أحسن الناس وجهاً وغناء .

(٤) هو محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٥) هو ابراهيم بن المهدي المتقدم ذكره الشاعر المشهور (كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة) .

(٦) الواثق بالله هرون بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٧) مهج : (خادم الواثق الذي كان يأنس به ويهواه وله فيه أشعار كثيرة) .

(٨) (هو أحمد بن حمدون كان مقرباً من الواثق وله كتاب الندماء والجلساء) .

(٩) الفتح هو الفتح بن خاقان (ومن حقه أن يذكر مع المتوكل لأنه مستشاره وصفيه) .

فتنته فريدة (١) وعلى قد ر الهوى يخلع المحب وقاره

وأبو الفضل (٢) كان يغدو على الرا ح مبيداً لجينه ونضاره

حيث كان الكشحي (٣) يأخذ عرض الـ قول فيما أحبه واختاره

وزنام (٤) بالزمر يعزف طوراً وبنان (٥) بالعود تضرب تاره

ويغني عمرو (٦) بن بانة والطبـ ـل عليه سلمان (٧) يبدي اقتداره

وأبو جعفر (٨) أزاح اغتناماً مع يزيد المهلبي (٩) استتاره

وغدا المستعين (١٠) يحرق للند مان بالمن نده وصواره

---

(١) فريدة جارية الواثق كان أهداها له عمرو بن بانة فحظيت عنده وكانت من الموصوفات بالجمال الفائق والغناء الرائق .

(٢) هو جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد .

(٣) أبو بحر كان من أطيب الناس وأكثرهم نوادر وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه ولا يكون له مجلس إلا به .

(٤) (زنام : زمّار حاذق) .

(٥) (من الجواري المحسنات وهي شاعرة) .

(٦) عمرو بن بانة من المغنين (المشهورين وهو معدود في الندماء وله شعر) .

(٧) طبّال ماهر .

(٨) هو محمد المنتصر بن جعفر المتوكل على الله .

(٩) هو يزيد بن محمد المهلبي مدحه ونادمه حتى اشتهر به .

(١٠) المستعين بالله هو أحمد بن محمد المعتصم (الند : العنبر ، والصوار : المسك) .

ثم هام المعتز[١] بابن بُغاء[٢] عند ما شام وجهه وعذاره
وانثنى ابن القصّار[٣] طوراً يغنيه بحذق مرقصاً طنباره
فيناجيه بالهوى ويناغيه ويذكي بين الأضالع ناره
وبدا المهتدي[٤] فكان اصطناع العرف والجود سمته وشعاره
وأناخ ابن جعفرٍ[٥] في مدار القصف والعزف نافياً أكداره
ومناه في الشذو شدو غريب[٦] كلما اعتاده الهوى واستثاره
واحتسى دَرَّة الكروم أبو العبا س[٧] والدَّجنُ يستدر قُطاره
نادمته أبناء حمدون[٨] واستهواه بدر[٩] حين اجتلى إبداره
ورَذاذٌ[١٠] موقّعٌ بغناء ينتحيه بصنعةٍ مختاره

---

(١) المعتز أبو عبد الله بن جعفر المتوكل .
(٢) هو يونس غلامه وكان يفرط في الشغف به .
(٣) (ابن القصار : مغن بارع ومن أشهر الطنبوريين . والطنبار والطنبور واحد) .
(٤) هو محمد المهتدي بن هرون الواثق بالله .
(٥) هو أبو العباس احمد المعتمد بن جعفر المتوكل .
(٦) هي غريب المأمونية وكان معجباً بغنائها .
(٧) هو احمد المعتضد بن طلحة الموفق .
(٨) (آل حمدون جماعة نادموا الخلفاء كما في الفهرست لابن النديم) .
(٩) هو بدر الجلنار غلامه .
(١٠) (رذاذ : مغن ورد ذكره في الأغاني) .

واغتدى المكتفي[١] يمرح والصو لي[٢] يروي بربعه أشعاره
وأبو الفضل[٣] كان يرتع من رو ق صباه في جدةٍ ونضاره
حرق الند والكبا الرطب والعنـ ـبر مستمتعاً وعاف ادخاره
وأقام الراضي[٤] يفرق ما بيـ ـن الندامى في كل وقت نثاره
رب كاسٍ له بقبة شاذكلا وفي حجرة الرخام أداره
ونديمٍ والاه في حجرة الأتـ ـرجّ والماء قد أثار بخاره
ليت شعري أين استقل بنو بر مك[٥] من بعد ما تولوا الوزاره
حين كانت أيامهم غرر العيـ ـش وكانت أكفهم مدراره
والوزير المهلبي[٦] وما نو ل وابن العميد[٧] ترب الصداره
وكذا الصاحب[٨] بن عبّاد حيّا ه وحيا نظامه ونثاره

---

(١) المكتفي هو أبو محمد علي بن أحمد المعتضد .

(٢) (هو أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الأديب المشهور نادم المكتفي والمقتدر والراضي وكان أوحد زمانه في لعب الشطرنج) .

(٣) (هو المقتدر بالله جعفر بن المعتضد) .

(٤) الراضي هو أبو العباس القاهر بن جعفر .

(٥) وزراء الرشيد .

(٦) (يزيد بن محمد المهلبي وقد تقدم الكلام عليه) .

(٧) (أبو الفضل محمد بن العميد الوزير الأديب المشهور) .

(٨) (الصاحب هو أبو القاسم اسمعيل بن عباد صاحب ابن العميد ونظيره في الأدب والمنزلة والعمل) .

بل وأين السراة من آل حمدا ن[١] وما قد تخولوا في الإماره
أين أهل العراق والفرس ممن رفهوا عيشهم وخاضوا غماره
أين من بات رافعاً لبني اللهـو الملهين بالتحايا عَماره[٢]
أين من راح والمجاسد تردا ن عليه بأعين النظّاره
طوقته المخانق البرميا ت فكانت بين الظراف شماره
وتردتْ منه العواتق بالمنديـل مذراح عاقداً زناره
توجوا رأسه بإكليل آسٍ وأناطوا بجيده تِقصاره[٣]
وعلى الأذن منه ريحانة من أذريون[٤] كمن يروم سراره
أين من كان جانبُ الزهو مينا ساً لديه والعيش يندى غضاره
ينتحي مُنْتَحَى المروّات طلقاً في لذاذاته ويبدي افتراره
وترى عنده مزمّلة[٥] الما ء وخيش النسيم يعلو جداره
وسحاب البخور يهطل منه ماء ورد يزجي النسيمُ قطاره

(١) (الأمراء الحمدانيون من أشهر أمرائهم سيف الدولة ممدوح المتنبي) .
(٢) (العَمارة بالفتح : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك مع قوله عمرك الله) .
(٣) (التقصارة : قلادة شبيهة بالمخنقة) .
(٤) (أذريون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود) .
(٥) (المزمّلة : جرة أو خابية خضراء في وسطها ثقب فيه قصبة من الفضة أو الرصاص يشرب منها (عراقية) ومروحة الخيش كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء) .

أين من كان في فضاء من الغـوطة (١) قدماً يجلي بهـا ابصاره
أين من بات ناعماً في مغاني شِعب (١) بوّان ناشقاً أزهاره
أين من أطلق النواظر في صُغـد سمرقند (١) واجتلى أنواره
أين من حلّ بالأُبُلّة (١) قدماً وجلا في رياضهـا أفكاره
أين من بات بالسّماوة (٢) في ميـناف روض ينمّه أسراره
بنسيم يحل في غلس الأسـحار عن جيب نوره أزراره
حيث تندى مباسم الزهر فيه وتَلَقّى أنفاسه زُوّاره
فسقت عهد من مضى أدمع المز ن وجادت بصوبها آثاره
ما سرت نسمة الصباح بروض عبقريّ فهيّجت أطياره

خليل مردم بك

(١) (غوطة دمشق وشعب بوّان وصغد سمرقند والأُبُلّة (في خليج البصرة) جنان الأرض الأربع وأجلها الغوطة كما في معجم البلدان) .
(٢) (السماوة بلدة على الفرات وبادية السماوة بين الكوفة والشام) .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١ -

يشتمل هذا المقال على اصطلاحات فلسفية جمعناها من كتب الفلاسفة وكتب الحدود والتعريفات ومعاجم اللغة وقواميس الفلسفة ، وبينا اختلاف معانيها باختلاف الفلاسفة الذين تداولوها ، وذكرنا إلى جانب كل لفظ ما يقابله من الألفاظ اللاتينية والفرنسية والانكليزية . فنرجو أن يجد إخواننا في هذه الألفاظ المحددة المعرفة بغيتهم وأن يبينوا رأيهم فيها لعلنا نستطيع بعد الاطلاع على آرائهم أن نتمم تعريفاتنا ، ونوحد اصطلاحاتنا . فإن الاتفاق على اصطلاحات واحدة يفهم بها بعضنا عن بعض ضروري لنا في بداية نهضتنا العلمية الحديثة . وهو في نظرنا لا يقل خطورة عن الاختراع العلمي نفسه . فالألفاظ حصون المعاني ، والاصطلاحات نصف العلم ، وكل علم ليس فيه اصطلاح ثابت محدد إنما هو علم ناقص مبدّد .

الأبد

في اللاتينية	—	Aeternitas
في الفرنسية	—	Eternité
في الانكليزية	—	Eternity

الأبد في اللغة الدهر والدائم والقديم والأزلي ، والجمع آباد وأبود . وهو في الاصطلاح الزمان الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء ، أو المدة التي لا يتوهم انتهاؤها بالفكر والتأمل ، أو الشيء الذي لا نهاية له .

والفلاسفة يفرقون بين الأبد الزماني والأبد اللازماني .

فالأبد الزماني هو المدة التي ليس لها حد محدود في الماضي والمستقبل ، أو الزمان الدائم الذي ليس له ابتداء ولا انتهاء . وهو بهذا المعنى صفة من صفات الله ، لأنه تعالى كان وسيكون دائماً . أما العالم الحادث الفاني فليس أبدياً ، لأنه لم يكن ولن يكون دائماً . وفلاسفة القرون الوسطى يقسمون الأبد الزماني قسمين ، فيسمون دوام الوجود في الماضي أزلاً (a parte ante) ، ودوام الوجود في المستقبل أبداً (a parte poste) . ولا فرق بين الأزل والأبد بالنسبة الى الله تعالى لأن أبده عين أزله ، وأزله عين أبده ، بل الأزل والأبد بالنسبة اليه صفتان أظهرتها الإضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده ، وإلا فلا أزل ، ولا أبد ، كان الله ولم يكن شيء معه .

أما الأبد اللازماني فهو المطلق أو الشيء الذي لا نهاية له . وهو مقابل للزمان . فكل حادث وكل موجود متناهٍ هما في الزمان . أما الموجود الأبدي فليس حادثاً وليس له قبل ولا بعد ، بل هو الحاضر الأبدي (Duratio tota simul) ، وهو فوق الزمان . لقد كان الفلاسفة الايليون مثلاً يفرقون بين الوجود والكون ، فيقولون إن المطلق لا يوصف إلا بالوجود ، وان الأشياء المتناهية لا توصف إلا بالكون ، وانه ليس للوجود ماض ولا مستقبل ، ولكنه في حاضر لا يزول . فأخذ أفلاطون وأرسطو عنهم هذا الأصل وقالا إن الموجود الكامل لا يتكون ولا يتغير ، وهو واحد أبدي لا حركة ولا تعاقب في وجوده التام غير المنقسم ، ولا صلة له بالزمان . أما الموجودات غير الكاملة فتولد وتتغير وتتكون بدون انقطاع ، وهي في الزمان . وعلى ذلك فالفرق بين الأبد والزمان ليس بالرتبة والمقدار ، كالفرق الذي بين العدد الغير المتناهي والعدد المتناهي ، وإنما هو بالطبيعة ، لأن أحدهما غير منقسم والآخر منقسم الى غير نهاية . وليس بينهما مقياس مشترك . وعلى ذلك أيضاً يمكن أن يوصف العالم والزمان

بأنهما لا ابتداء لهما ولا انتهاء ولا يكونان مع ذلك أبديين ؛ لأنه يكفي أن يكون وجودهما مشتملاً على التبدل والتغير حتى يكون غير أبدي . هذا الذي أشار اليه أفلاطون بقوله ان الزمان صورة متحركة للأبدية غير المتحركة ، وهذا أيضاً ما ذهب اليه آرسطو عند استدلاله على وجود الله بوجود الحركة والتغير ، فخلص من ذلك الى القول بوجود محرك لا يتحرك . إن هذا الأبد اللازماني هو المعنى الذي أخذ به أيضاً القديس توما الاكويني وديكارت ومالبرانش وبوسويه وفنلون وليبنيز وكانت .

والأبد والأمد متقاربان . لكن الأبد لا يتقيد فلا يقال أبد كذا ، والأمد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمان كذا .

وأبداً ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً وإثباتاً ، فصار كقط والبتة في تأكيد الزمان الماضي يقال ما فعلت كذا قط والبتة ، ولا أفعله أبداً أو أفعله أبداً . ويقال أيضاً لا آتيه أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وآخر الأبد كناية عن المبالغة في التأبيد .

الإبداع

في اللاتينية	Créatio
في الفرنسية	Craétion
في الانكليزية	Creation

الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق . وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب من البديع .

وله في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :

الأول : تأسيس الشيء عن الشيء ، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقاً كالابداع الفني، والابداع العلمي، أو كالتخيل المبدع الذي نتكلم عنه في علم النفس .

والثاني : إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه ، فهو ليس بتركيب ولا تأليف ، وإنما هو إخراج من العدم الى الوجود . وفرقوا بين الإبداع والخلق ، فقالوا : الإبداع إيجاد الشي من لا شيء ، والخلق إيجاد شيء من شيء . لذلك قال الله تعالى : بديع السموات والأرض ، ولم يقل بديع الانسان ، بل قال خلق الانسان ، فالابداع بهذا المعنى أعم من الخلق .

والثالث : إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم ، ويقابله الصنع ، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال (ابن سينا) في الاشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » (الإشارات ، النمط الخامس ، ص ١٥٣ من طبعة فورجت) . وهذا تنبيه الى أن كل مسبوق بعدم فهو مسبوق بمادة وزمان . والغرض منه كما قال (الطوسي) عكس نقيضه ، وهو أن كل مالم يكن مسبوقاً بمادة وزمان فلم يكن مسبوقاً بعدم . فالابداع هو إذن أن يكون من الشيء وجود لغيره دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان . كالعقل الأول في فلسفة (ابن سينا) فهو يصدر عن واجب الوجود دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى أعلى رتبة من التكوين والإحداث فان التكوين هو أن يكون من الشيء وجود مادي ، والإحداث أن يكون من الشيء وجود زماني . وكل واحد منهما يقابل الإبداع . فالتكوين يقابله لكونه مسبوقاً بالمادة ، والإحداث يقابله أيضاً لكونه مسبوقاً بالزمان . والإبداع أقدم منهما ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث . إذن التكوين والإحداث مترتبان على الإبداع ، وهو أقرب منهما الى الله .

والرابع : الإبداع الدائم (Création Continuée) . وهو عند الفلاسفة الأصوليين والديكارتيين الفعل الذي يبقي به الله العالم . وهو عين الفعل الذي

يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله إذن مبدع ومبق ، لأنه إذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة . وهذا أيضاً يقابل التأليف ، لأن التأليف باقٍ وان أمسك المؤلف تأليفه ، أما الإبداع فهو إيجاد وإبقاء .

والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لا يحتاجون الى القول بإبداع العالم ، ولكن الذين يفرقون بين الله والعالم يقولون أن علاقة أحدهما بالآخر لا تعدو ثلاثة أحوال :

فاما أن يقال ان العالم قديم وان الله عالم بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . وهذا مذهب القائلين بالعناية الإلهية كابن سينا وغيره .

واما أن يقال ان لقدرة الله تأثيراً في مبدأ العالم من حيث انها تنظم المادة الموجودة سابقاً وترتبها كما يرتب الصانع إبداعه .

واما أن يقال ان لها تأثيراً في إخراج العالم من العدم الى الوجود . وهذا مذهب القائلين بالإبداع ، أعني القول إن الله ليس مؤلف نظام الأشياء ومرتب صورها فحسب وإنما هو مبدع مادتها أيضاً . ومعنى ذلك أن كل ما لم يكن موجوداً فقد صار بفعل قدرته تعالى موجوداً .

الإحساس

في اللاتينية Sensus

في الفرنسية Sensation

في الانكليزية Sensation

الإحساس ظاهرة نفسية متولدة من تأثر آلة من آلات الحس بمؤثر ما ، وله دلالات مختلفة تابعة لتحليل هذه الظاهرة تحليلاً كلياً أو جزئياً ، فإما أن يطلق على مجموع هذه الظاهرة ، وإما أن يطلق على جزء من أجزائها ، وهو على

كل حال ظاهرة أولية يتعذر عليك أن تظفر بها نقية خالصة مجردة من الشوائب ، ولكنك تستطيع أن تقترب منها تقربك من حد نهائي . ويمكن أن يعتبر الإحساس ظاهرة مختلطة ، أي ظاهرة انفعالية وعقلية معاً ، فهو انفعالي لأنه عبارة عن تبدل في نفس المدرك ، وهو عقلي لأنه يشتمل على معرفة بالشيء الخارجي ، وينحصر معناه فيطلق على الناحية الانفعالية وحدها ، فيصبح بهذا المعنى الأخير مقابلاً للإدراك (راجع مادة إدراك) . قال ابن سينا : « فإني إنما أعرف أن لي قلباً ودماغاً بالإحساس والسماع والتجارب » (الشفاء ١ — ٣٦٣) ، وقال الجرجاني : « الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس ، فان كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات ، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات » (التعريفات) . وقال التهانوي : « الإحساس هو قسم من الإدراك ، وهو إدراك الشيء الموجود في المادة الحاضرة عند المدرك مكتنفة بهيئات مخصوصة من الأين والكيف والكم والوضع وغيرها ، فلا بد له من ثلاثة أشياء : حضور المادة ، واكتناف الهيئات ، وكون المدرك جزئياً ، والحاصل ان الإحساس إدراك الشيء بالحواس الظاهرة على ما تدل عليه الشروط المذكورة » (الكشاف) .

والإحساسات الداخلية (Sensations internes) هي الاحساسات التي يعزوها المدرك الى بدنه لا إلى شيء خارج عنه ، كالجوع ، والعطش ، وآلام الرأس والأسنان ، والصداع وغيرها .

والحس (Sens) هو القوة التي بها تدرك الاحساسات ، والحواس هي آلات الحس . قال ابن سينا : « الحس إنما يحس شيئاً خارجاً ، ولا يحس ذاته ولا آلته ولا إحساسه » (الشفاء ١ — ٣٥٠ ، النجاة ٢٩٣ — ٢٩٤) . وقال أيضاً : (الحس إنما يدرك الجزئيات الشخصية » (النجاة ١٠١) ، وقال التهانوي : « الحس هو القوة المدركة النفسانية » (الكشاف) ، « والحواس هي المشاعر الخمس ، وهي البصر والسمع والذوق والشم واللمس » (الكشاف) .

والحسي أو المحسوس (Sensible) هو ما يدرك بالحواس . قال التهانوي : « الحسي هو المنسوب الى الحس ، فهو عند المتكلمين ما يدرك بالحس الظاهر ، وعند الحكماء ما يدرك بالحس الظاهر أو الباطن ، والحسي يسمى محسوساً ، ويقابل الحسي العقلي » ، وقال أيضاً : « المحسوس هو الحسي أي المدرك بالحس » (الكشاف) ، وقد يطلق الحسي على الشيء المنسوب الى الاحساس أو على الشيء المؤلف من الاحساسات ، كقولنا الأفعال أو العمليات الحسية (Opérations sensitives) ، وقد يطلق أيضاً على الشيء المنسوب الى أعضاء الحس كقولنا الأعضاء الحسية (Organes sensoriels) .

والمذهب الحسي (Sensualisme) هو مذهب القائلين أن المعرفة لا تنشأ إلا عن الاحساس .

والحاس هو الشيء الذي يحس كقولنا الجهاز الحاس (Appareil sensitif) .

والحساسية أو قابلية الحس (Sensibilité) تدل على عدة معان :

آ — قوة الحس وهي بهذا المعنى مقابلة لقوة العقل .

ب — قوة الشعور بالأحوال الانفعالية كاللذات والآلام والميول والهيجانات والأهواء .

ج — دقة الإحساس .

والحساسية العامة (Sensibilité générale) هي ملكة الشعور بالاحساسات الداخلية ، أما الحساسية الخاصة (Sensibilité spéciale) فهي ملكة الشعور بالاحساسات الظاهرة المتولدة من مؤثرات خارجة عن البدن .

الإدراك

في اللاتينية	Perceptio
في الفرنسية	Perception
في الانكليزية	Perception

الإدراك في اللغة هو اللحاق والوصول، يقال أدرك الشيء بلغ وقته وانتهى، وأدرك الثمر نضج، وأدرك الولدُ بلغ، وأدرك الشيء لحقه، وأدرك المسألة علمها، وأدرك الشيء ببصره رآه. فمن رأى شيئاً ورأى جوانبه ونهاياته قيل انه أدركه، ويصح: رأيت الحبيب وما أدركه بصري، ولا يصح أدركه بصري وما رأيته، فيكون الإدراك بهذا المعنى أخص من الرؤية.

١ – وللإدراك في الفلسفة العربية عدة معانٍ:

فهو يدل أولاً على حصول صورة الشيء عند العقل سواء كان ذلك الشيء مجرداً أو مادياً، جزئياً أو كلياً، حاضراً أو غائباً، حاصلاً في ذات المدرك أو آلته: قال ابن سينا: «إدراك الشيء هو أن تكون حقيقته متمثلة عند المدرك يشاهدها ما به يدرك، فإما أن تكون تلك الحقيقة نفس حقيقة الشيء الخارج عن المدرك إذا أدرك، فتكون حقيقة ما لا وجود له بالفعل في الاعيان الخارجة مثل كثير من الأشكال الهندسية، بل كثير من المفروضات التي لا تمكن إذا فرضت في الهندسة مما لا يتحقق أصلاً، أو تكون مثال حقيقته مرتسماً في ذات المدرك غير مباين له، وهو الباقي» (ابن سينا، الاشارات ص ١٢٢) فالحقيقة المتمثلة عند المدرك ليست نفس حقيقة الشيء الخارجي، وإنما هي مثال لها مرتسم في ذات المدرك. فاذا دلّ الادراك على تمثل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات سمي تصوراً، واذا دل على تمثل حقيقة الشيء مع الحكم عليه بأحدهما سمي تصديقاً (الجرجاني، التعريفات).

والادراك بهذا المعنى مرادف للعلم ، وهو يتناول جميع القوى المدركة ، فيقال إدراك الحس ، وإدراك الخيال ، وإدراك الوهم ، وإدراك العقل . ولكن بعض الفلاسفة يحدد معنى الإدراك فيخصه بالإحساس وحده ، وحينئذ يكون أخص من العلم وقسماً منه ، كما ان بعضهم يوسع معناه فيطلقه على حضور صورة المشعور به في الشاعر ، أو يطلقه على الكمال الذي يحصل به مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان . وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكاً (كليات أبي البقاء) .

وكما يتناول الإدراك الحس والخيال والوهم والعقل ، فكذلك يتناول معرفة أعلى من المعرفة العقلية ، وهي المعرفة الحاصلة من الكشف الباطني ، فيقال إدراك الذوق وإدراك الحدس . قال الغزالي : « وأما ما عدا ذلك من خواص النبوة إنما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف » (المنقذ - ص ١٣٩) ، وقال ايضاً : « بل الإيمان بالنبوة أن يقر باثبات طور وراء العقل ، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان ، والبصر عن إدرك الأصوات ، وجميع الحواس عن إدراك المعقولات »

وفي اصطلاحات الصوفية الإدراك البسيط هو إدراك الوجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق سبحانه ، والادراك المركب هو عبارة عن إدراك الوجود الحق سبحانه مع الشعور بهذا الإدراك وبأن المدرك هو الوجود الحق سبحانه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) .

والإدراك عند معظم الفلاسفة إما أن يكون إدراك الجزئي أو إدراك الكلي ، وإدراك الجزئي قد يكون بحيث يتوقف على وجوده في الخارج وهو الحس ، أو لا يتوقف وهو الخيال . وإدراك الجزئي على وجه كلي هو إدراك كليه الذي ينحصر في ذلك الجزئي . أما إدراك الكلي فهو ان الاشخاص

الانسانية مثلاً متساوية في معنى الانسانية ومتباينة بأمور زائدة عليها كالطول والقصر والشكل واللون . وما به المشاركة غير ما به المخالفة ، فالانسانية من حيث هي هي تكون أمراً مغايراً لهذه الزوائد ، فادراكها من حيث هي هي هو المسمى بالإدراك الكلي (لباب الإشارات للرازي ص ٧٤) .

٢ — أما في الفلسفة الحديثة فان الإدراك يدل أولاً على شعور الشخص بالإحساس أو بجملة من الاحساسات التي تنقلها اليه حواسه ، أو هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي والرد على هذا المؤثر بصورة موافقة . وهذا المعنى العام يدل على أن الادراك يختلف عن الاحساس . فالظاهرة النفسية التي تحصل في ذات المدرك عند تأثر أحد أعضاء الحس تشتمل على وجهين أحدهما انفعالي (Affective) والآخر عقلي (Intellectuelle) ، فاذا تناول الشعور هذه الظاهرة من ناحيتها الانفعالية سميت إحساساً وإذا تناولها من ناحيتها العقلية سميت إدراكاً . فليس الإدراك والاحساس إذن ظاهرتين مختلفتين وإنما هما وجهان مختلفان لظاهرة واحدة . ولكن بعض الفلاسفة يطلق لفظ الإحساس على هذه الظاهرة بوجهيها ، فيكون الإحساس حالة انفعالية وعقلية معاً ، ويكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم عليه بأنه ناشئ عن مؤثر خارجي . فالادراك بهذا المعنى هو الادراك الخارجي (Perception exterieure) كما يقول (ريد Reid) والايكوسيون ، أو هو الاحساس المصحوب بالانتباه كما يقول (مين دوبيران Maine de Biran) . والواقع أن الاحساس والادراك كليهما مصطبغان بلون انفعالي وعقلي معاً ، ولكن الادراك يزيد على الاحساس بأن آلة الحس تكون فيه أشد فعلاً ، والنفس أكثر انتباهاً ، فيكون الشيء الخارجي أبين والصورة المرتسمة في النفس أوضح وأميز . وعلى كل حال فالادراك يقتضي الاحساس ، فإما أن يطلق على الشعور بالاحساس ويكون عند ذلك حالة عقلية ، ويكون الاحساس حالة انفعالية . وإما أن يكون الاحساس دالاً على الشعور بالتغير

الذي أحدثه المؤثر في النفس فيكون الادراك عبارة عن الاحساس مع الحكم على ذلك الاحساس بأنه ناشئ عن سبب خارجي ، أو يكون عبارة عن الاحساس المصحوب بجهد الانتباه ٠

وكما يختلف الادراك عن الاحساس فكذلك يختلف عن العاطفة ، لأن الادراك كما يقولون حالة عقلية والعاطفة حالة وجدانية انفعالية ، وهذا الفرق بين الادراك والعاطفة تناوله (ليبنيز) في مذهبه على وجه أتم وأوفى قال : « ان الحالة الموقتة التي تنطوي على كثرة في الوحدة ، ليست سوى الشيء الذي يسمّى إدراكاً بسيطاً (Perception) ويجب تمييزها عن الادراك المركب (Aperception) أو الشعور » (المنادولوجيا فقرة ١٤) ٠ فالادراك البسيط عند ليبنيز هو التبدل الذي يحدث في (المناد) وهو يهب (المناد) فرديته وذاتيته ويجمع الكثرة فيه الى الوحدة ، والاشتهاء (Appétition) هو القوة الداخلية أو النزوع الذي يولد الادراكات ، والادراك المركب هو الشعور بالادركات البسيطة ٠ ولذلك كان للادراك عند (ليبنز) درجات أعلاها الادراك المركب أو الادراك المميز الواضح ، وأدناها الادراك المبهم الغامض ، وهو ما يسميه (ليبنيز) بالإدراك غير المحسوس (Perception insensible) ٠

والادراك في الاصطلاح الديكارتي يطلق على جميع أفعال العقل وهو مقابل للارادة والرغبة ٠ قال ديكارت : « إن فينا نوعين من الأفكار هما إدراك العقل وفعل الارادة » (المبادي ، القسم الأول ، ٣٢) ٠ وكلمة (أفكار) تدل عنده على ما نسميه اليوم بحوادث الشعور ٠

وقد يطلق لفظ الادراك على القوة المدركة (Faculté de percevoir) أو على فعل الادراك (Acte de percevoir) أو على المعرفة (Connaissance) التي تنتج من هذا الفعل ٠

وكما يكون الادراك خارجياً (Perception externe) فكذلك يكون داخلياً (Perception interne) والمقصود من هذا الادراك الداخلي هو الشعور أي معرفة النفس بأحوالها ٠

وفرقوا بين الادراكات الطبيعية (Perceptions naturelles) والادراكات المكتسبة (Perceptions acquises) فقالوا : الادراكات الطبيعية هي المعارف التي تنشأ مباشرة عن فعل أعضاء الحس ، كرؤية الألوان ، فهي إدراك طبيعي لحاسة البصر ، أما الادراكات المكتسبة فهي المعارف التي تتولد في النفس من تربية الحواس ٠ ان هذه الادراكات المكتسبة ليست في الحقيقة ادراكات ، وإنما هي أحكام وتأويلات ، ولولا هذه الأحكام التي نستنبطها من منظر الجسم ونواحيه المضيئة والمظلمة وتغيرات هيئته المقابلة لحركاته ، وتقارب محوري العينين بالنسبة اليه ، وعدم تطابق الصورتين الشبكيتين المتولدتين منه لما أدركنا المسافة ولا التحديب والتقعير ٠

ومن اصطلاحات ليبنيز الادراكات الصماء (Perceptions sourdes) ، والادراكات الغامضة (Perceptions obscures) ، والادراكات غير المدركة (Perceptions inapercues) ، والادراكات الصغيرة (Petites perceptions) ٠

والمحدثون يطلقون الادراك على تمثل الشيء الخارجي وحده ، فيقولون ان الادراك هو الفعل الذي ينظم به المدرك إحساساته الحاضرة ، فيؤولها ويكملها بالصور والذكريات ، ثم يعزوها الى شيء مقاوم له مع الحكم عليه حكماً عفوياً بأنه شيء خارجي معلوم عنده ومتميز عنـه ٠

(يتبع) جميل صليبا

حريق

الجامع الأموي بدمشق

سنة ٧٤٠ هـ

من الحوادث ذات الشأن في تاريخ دمشق ، ما كان يُصاب به المسجد الجامع بها من حريق . فلقد أحرقه المصريون متعمدين سنة احدى وستين وأربع مئة بغضاً بالدماشقة الشاميين وحقداً على خلفائهم الأمويين . ففقد المسجد بهجته ونضارته ، ورونقه وتزويقه [1] ثم جهد الملوك من السلاجقة ، والنوريين ، والأيوبيين ، والمماليك ، في إعادة المسجد الى سالف عهده [2] ، وعُني بعض الولاة بتجديده [3] . حتى اذا كانت سنة ٧٤٠ هـ أصيب المسجد بحريق كبير أتلف قسماً منه ، وأخذ ما يحيط به شرقاً وجنوباً ، من القيساريات ، والمدارس ، والأسواق . وقد كان لهذا الحريق أثر كبير في نفوس الفقهاء والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وسنتكلم على ذلك ، ونتج عنه نتائج مزعجة . وقد لا يوازي هذين الحريقين في عظمهما إلا الحريق الأخير الذي أتلف المسجد في أيام العثمانيين .

وقع حريق سنة ٧٤٠ هـ في السنة الأخيرة من ولاية تنكز [4] . ففي السادس

(١) عن حريق سنة ٤٦١ انظر : القلانسي ، تاريخ ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية ١٢ : ٩٧ – ٩٨

(٢) انظر أعمال هؤلاء الملوك في كتابنا « مسجد دمشق » ص ١٣ وما بعدها .

(٣) مثل تنكز سنة ٧٣٠ هـ . انظر المصدر السابق

(٤) ولي تنكز دمشق سنة ٧١٢ هـ وبقي الى أواخر سنة ٧٤٠ . انظر كتابنا : أمراء دمشق في الإسلام ص ٢٢

عشر من شهر شوال ، شب[1] الحريق أوائل الليل ، بقيسارية الدهشة بسوق اللبادين . وكانت هذه القيسارية أمام باب الجامع الشرقي ، فتوصلت النار الى دكان فقاعيٍّ مجاورةٍ للباب الشرقي - أي باب الساعات ، أو باب جيرون - ، ثم كشفت وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر - وهو الذي في شرق المصلى - ، ثم شبت فبلغت أعلى المأذنة الشرقية فاشتعلت ناراً وتفجرت أحجارها ، ثم سقطت على سقف المسجد الجملون ، حتى كادت تأخذ المسجد كله . فسارع الناس ، والعسكر جميعه ، وأمراء الألوف ، وعلى رأسهم تنكز إلى إخماد النار . فما خمدت إلا بعد يومين وليلتين .

وبعد ليالٍ - على قول ابن كثير[2] - أو أسبوعين - على قول المقريزي[3] - ، وقع حريق ثانٍ في قيسارية القواسين ، والكفتيين ، وسوق الخيل . وكانت هذه كلها في جنوب الجامع . مقابل باب الزيادة - ويسمى باب الساعات أيضاً ، وباب المنبرانيين - ، فكانت الخسارة جسيمة عظيمة : عدم خمسة وثلاثون ألف قوس ، وعدمت للناس أموال عظيمة كان مبلغ ما للتجار منها خاصةً ألف ألف وست مئة ألف دينار . ثم لفت النار حول قيسارية القواسين فاحترقت المدرسة الأمينية - وكان بها سلاح للمسلمين - ، والخيميين ، وجاء نائب الشام تنكز والعسكر فأطفأوا النار في يومين وليلتين .

أثار نشوب هذين الحريقين المتواليين حول المسجد ، الشك في نفوس الناس والاستغراب ، فطفقوا يتساءلون عن الأسباب ، ولم يلبث أن وُجدت ورقة

(١) مصادرنا عن هذا الحريق هي : ابن كثير ، البداية ١٤ : ١٨٦ ؛ المفضل بن أبي الفضائل ، (مخطوطة باريز 4525) ؛ المقريزي ، السلوك ٢/١/٤٩٧ ؛ ابن فضل الله ، مسالك الأبصار ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ٦ : ١٢٦

(٢) البداية ، المصدر السابق

(٣) السلوك ، المصدر السابق

كتبها مجهول اسمه «المملوك الناصح» يذكر فيها أن الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش . فأمسك وسئل . وما زالوا به حتى أخبرهم بالأمر . وتبين أن جماعة من رؤوس النصارى ، بعضهم من كتّاب الدولة وعمّالها ، دبروا أمر هذين الحريقين .

وقد عثرنا على نصّ المحضر ـ الذي كُتب يومئذ وأرسل الى سلطان مصر ـ في مكتبة جامعة ليدن [١] . وهو نصّ مهم جدّاً [٢] ، لأنه يُظهر لنا كيف تآمر هؤلاء الكتّاب ، وأحرقوا المسجد . وثمة ناحية ثانية تزيد في شأنه هي أنه نصٌ رسمي ، حكومي . والوثائق المماثلة له نادرة جداً .

ويتبين مما جاء في المحضر ، ومما ذكره المقريزي وابن كثير ، أن راهبين وردا الى دمشق من قسطنطينيّة « ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها ، وقد باعا نفسيهما على ذلك » ، اسم الأول «ميلاني» واسم الثاني « عازر » . فاجتمعا بعامل الجيش وكاتب الخوطات ، وثالثٍ كان كاتب بهادر آص [٣] . والثلاثة من النصارى . وكان «ميلاني» عارفاً « بصناعة النفط والنار » ، فاتفقوا « على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق » ، وقدّم لهم عامل الجيش ما يحتاجون اليه من نفط وغيره ، فعملوا سبع كعكات حشوها باروداً ونفطاً ودقّ فحم وغير ذلك ، وغيّر الراهبان ملابسهما ، وأتيا الدهشة ، فتحيّل أحدهما وجعل إحدى الكعكات في دكانٍ شرقي القيسارية ، ثم ألقى كعكة ثانية بين الدراريب ، ثم عادا الى حيث نزلا : في بستانٍ بقريةٍ بجوبر .

---

(١) ليدن Cod. Or. 951 .

(٢) انظر المحضر في ذيل المقال .

(٣) كان بهادر آص من أمراء الألوف بدمشق . وله تربة تعرف به . مات سنة ٧٣٠ . انظر الثاني من الدارس

ويذكر ابن كثير «أنهما تلطفا وعملا النفط لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر» . فلما كان الليل لم يشعر الناس إلاّ والنار عملت في تلك الدكاكين حتى تعلقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق وكان ما كان من أمر الحريق الأول .

أما الحريق الثاني فقد تمّ على يد لحام نصراني كانت له دكان على باب قيسارية القواسين ، فقد دفعت الجماعة له خمس مئة درهم كي يضع كعكة من كعكات النفط في سقف الدكان ، فوضعها فشبّ الحريق الثاني .

- ٢ -

ونتساءل الآن لماذا وقع هذان الحريقان ، ومن دبر أمرهما .

الظاهر أن الهدف كان الإضرار بمسلمي دمشق بإتلاف أموالهم وتخريب مسجدهم . وقد كان النصارى يلجأون الى الحريق أحياناً بقصد الاضرار . وفي تاريخ مصر حوادث كثيرة تدل على ذلك . ففي سنة ثلاث وستين وست مئة ، أيام الظاهر بيبرس ، كثر الحريق في القاهرة ، واحترقت حارة الباطلية بأمرها ، وتبين أن النصارى هم الذين فعلوا ذلك[1] . وفي أيام الملك الناصر محمد ، سنة احدى وعشرين وسبع مئة قبض على راهبين من دير البغل رميا النار في المدرسة المكارية ، واعترفا أنهما أحرقا أماكن كثيرة في القاهرة[2] . وقد اتبع هذان الراهبان الطريقة التي سلكها راهبا دمشق ، من صنع الكعكات المحشوة بالخرق والنفط والقطران . ولعل هذه أول مرة يعمد فيها

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ١ : ٨

(٢) المقريزي ، السلوك ٢/١/٢٢٣

النصارى الى إحراق دمشق ومسجدها[1] . وقد سبقوا في حريق القاهرة[2] .

وقد جاء في المحضر أن الراهبين اللذين أحرقا مسجد دمشق أتيا من القسطنطينية . ويذكر المقريزي أنهما أتيا ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها . ويوضح ابن كثير ـ وقد كان أثناء الحريق بدمشق ـ «ان جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم ، وجمعوا من بينهم مالاً فدفعوه للراهبين» . ولا شك أن من بين الرؤوس الذين يشير إليهم ابن كثير الموظفين الرسميّين الذين ورد ذكرهم في المحضر كعامل الجيش وكاتب الحوطات . ويخيّل لنا انه كانت صلة بين بعض نصارى البلاد ـ سواء في مصر أو الشام ـ ، وبين بعض الدول النصرانية ، فالمحضر يذكر أنّ الراهبين كتبا بعد الحريق الأوّل الى صاحب سيس يبلّغانه أمر الحريق ، وان صاحب سيس أرسل لهما الى دمشق تقرين وعرض عليهما إذا شاءا أن يكتب لصاحب السرب ليُكاتب السلطان . واذا كان المحضر لا يفصح عن غرض المكاتبة الى السلطان فإنه واضح أن ذلك من أجل حماية النصارى أو حماية الراهبين . ثم إن المحضر يشير الى عامل بيروت ، وكانت مهمته تجهيز الراهبين الى قبرص . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد انه كانت سلسلة لها حلقات في سيس وقبرص وبيروت والقدس ودمشق والقاهرة ، تيسّر الإضرار بالمسلمين ، وتسهّل سبله . وكل ذلك من آثار الروح الصليبيّة التي كانت منتشرة يومئذ[3] .

---

(١) بين حريق المسجد سنة ٤٦١ وحريقه سنة ٧٤٠ ، وقع فيه الحريق أو حوله أربع مرات : سنة ٥٦٢ ، وسنة ٥٧٠ ، وسنة ٦٤٦ ، وسنة ٦٨١ ، ولم تذكر المصادر أن النصارى هي التي سببت ذلك . انظر كتابنا « مسجد دمشق » والمصادر المذكورة فيه .

(٢) انظر تفصيل مؤامرة رهبان دير البغل لحرق القاهرة في كتاب « اهل الذمة في الإسلام » تأليف « ترتون » الفصل الرابع

(٣) أنظر : A. S. Atiya, *The Crusades in the Later Middle Ages* (London, 1938)

- ٣ -

ماذا حدث بعد الحريق ؟

يبدو أن الراهبين فرا الى قبرص بوساطة عامل بيروت . أما نائب السلطان تنكز ، فلما تحقق لديه أن الحريق من عمل النصاري أمسك من رؤوسهم نحواً من ستين رجلاً - على قول ابن كثير - . ووجهت فتيا الى قضاة القضاة الأربعة بدمشق : تقي الدين السبكي الشافعي ، وعماد الدين الطرسوسي الحنفي ، ومحمد ابن أبي بكر المالكي ، وعلي بن المنجا الحنبلي ، سئلوا فيها إذا كان النصارى قد نقض عهدهم بما فعلوه ؟ وهل يلزمهم ضمان ما أتلفوه ؟ وهل يقتلون أو ينفون ؟ الى غير ذلك . فأجمعوا على أن عهدهم ينتقض ، وأن أموالهم تؤخذ ، وأفتى الحنفي بقتلهم سياسة ، والمالكي بقتلهم لنقض العهد ، وسكت عن أمر القتل الشافعي والحنبلي . وقد عثرنا على نص الفتوى وأجوبة القضاة في مكتبة جامعة ليدن . وهي وثيقة هامة لها شأن (١) .

وعمد عندئذ تنكز - على قول ابن كثير - الى رؤساء النصارى هؤلاء فأخذهم بالمصادرات والعقوبات وأنواع المثلات ، وصلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد ، فجعلوا يتماوتون واحداً بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار (٢) .

ويروي المفضل ابن أبي الفضائل - وهو مؤرخ نصراني (٣) - رواية ثانية نقلها

---

(١) انظر نصها في ذيل المقال

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٨٦

(٣) كان في القرن الثامن . له تاريخ اسمه « النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » منه نسخة مخطوطة في باريز ، الجزء الأول رقم 4525 . انتهى من جمعه سنة ٧٥٩ . وعلى هذه النسخة اعتمدنا . وما رويناه من النسخة مذكور في الورقة ٢٤٥ ب

عنه المقريزي بنصها ولم يشر اليه [١] . فيذكر أن تنكز سمّر أحد عشر رجلاً هم : المكين يوسف بن يحيى عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب الحوطات ، والمكين [يوسف] كاتب بهادرأص ، وسمعان ، وأخوه بشارة ، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار ، والعلم الدميتري عامل بيروت ، والجرائحي عيسى ، وجزاران نصرانيان ، وشخص يعرف بسبيل الله [٢] . ولما سمّروا وُسّطوا بعد يومين . ووُجد لهم ما ينيف على ألف ألف درهم أنفق منها على عمارة الجامع [٣] والدهشة » .

واذا كان عمل تنكز قد أرضى المسلمين فإنه أغضب السلطان الناصر محمداً ، فكتب الى تنكز ينكر عليه قتله النصارى ، وإن في ذلك إغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، وأمره أن يحمل اليه ما وجد من المال مع النصارى ، وأن يجهز اليه بناته اللاتي عُقد لأولاد السلطان عليهن . فأجاب تنكز أن المال الذي وُجد للنصارى صُرف على عمارة الجامع ، واعتذر عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق . فلم يرض السلطان . وكان ذلك بدء تغيّره عليه وعزله بعد شهر من ذلك وحمله مقيداً الى الاسكندرية ثم قتله هناك .

(١) في السلوك ٢/١/٤٩٧ . وقد أغار المقريزي على كتاب المفضل كما أغار على كتب الأوحدي

(٢) يذكر المفضّل أن هذا الرجل كان بالقاهرة سنة ٧٢٥ بزي غريب جداً ، يلبس جلداً ويحمل على كتفه زيراً نحاساً أندلسياً ، وبيده شربات كذلك ، ويقول بلسان غتمي (عجمي) « سبيل الله » ، ويسقي الناس بغير جُعل . فمن الناس من اعتقده ، ومنهم من اتهم انه جاسوس . ثم خرج حاجاً وقدم دمشق وأقام يسقي بها الماء حتى دخل مع النصارى فيما قاموا به من أمر الحريق . المصدر السابق . وكذا المقريزي

(٣) انظر وصف إعادة عمارة المنارة عند العمري ، مسالك ص ٢٠٠ و ٢٠١

- ٤ -

ذلك مجمل خبر الحريق من الناحية الرسمية الحكومية ، وما أحاط به . ولا بدّ من التنويه بأثر آخر من آثاره هو الأثر الأدبي . فقد هزّ الأدباء والشعراء فنظموا وكتبوا عنه . فمما عرفته كتاب ابن غانم الذي كتبه عن تنكز لنائب طرابلس ووصف الحريق فيه . ولم أعثر على نصه [1] . ونظم محمد الخياط قصيدة رائية في (٦١) بيتاً ، عثرت عليها [2] . وألّف الصلاح الصفدي مقامة سماها «رشف الرحيق في وصف الحريق» [3] . وكذلك ألّف ابن الوردي مقامة ثانية سمّاها «صفو الرحيق في وصف الحريق» [4] . وقصيدة الخياط ومقامتا الصفدي وابن الوردي جديرة كلها بالنشر .

(القاهرة) الدكتور صلاح الدين المنجد

---

(١) ورد ذكره في مسالك الأبصار ص ٢٠٢

(٢) في مكتبة جامعة ليدن ، وعندنا صورة عنها

(٣) منها نسخة في الاسكوريال ضمن كناش رقمه 524 ، وعندنا صورة عنها

(٤) منها نسخة في معهد المخطوطات مصورة عن دار الكتب المصرية . رقم معهد المخطوطات ٧٨٩ أدب . ومنها نسخة ثانية في توبنجن

- ١ -

صورة المحضر الذي كتب بدمشق المحروسة

(مكتبة ليدن • Cod. Or. 951)

حضر الى شهوده يوم تاريخه : الرشيد سلامة بن سليمان بن مُرَجّى النصراني كاتب المقرّ العلمي سنجر الجقدار الملكي الناصري • وشهوده به عارفون ، وأشهد على نفسه طائعاً أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر عنده في بستانه المكين يوسف بن مجلى النصراني عامل الجيش ، والمكين جرجس بن أبي الكرم كاتب الحوطات ؛ والمكين يوسف النصراني الراكبلي كاتب بهادر اص كان ، وأحضروا معهم راهبين أحدهما يسمى « ميلاني » - يعرف صناعة النفط - ، والآخر يسمّى « عازر » ، وذكروا أنّ الراهبين المذكورين حضرا من بلاد قسطنطينيّة • ثم انهم تحادثوا أن الراهب المسمّى « ميلاني » يعرف صناعة النفط والنار ، واتفقوا على حريق ما يقدروا (كذا) عليه من أماكن المسلمين بدمشق المحروسة • ثم إنهم توجهوا بعد ذلك الى بستان المكين يوسف الراكبلي بجوبر • وأقام الراهبان المذكوران عنده في طبقة على باب البستان المذكور • وأحضر لهم المكين عامل الجيش ما أرادوا من النفط والحوائج ، وعملوا سبع كعكات محشوة باروداً ونفطاً ودقّ فحم وغير ذلك مما يعرفوه (كذا) ، وألبسوا الراهبين المذكورين قباءين تترية ، وتخفيفتين بيض ، وهورات ، ثم نزلا من البستان المذكور ، ودخلا الى الدهشة الأموية ، وقعد أحدهما على دكان شرقيّ القيسارية وعدّ على باب الدكان فلوساً ، وتحيّل حتى أدخل كعكة واحدة من تلك الكعكات ، ثم خرجا الى قصبة السوق البرّاني واشتريا قباء برد (؟) ، ثم بسطا القباء على أنها يطويانه فانبسط أحدهما الى الدكان وألقى كعكة ثانية بين الدراريب ،

وركبا من باب الفراديس دابتين وطلعا الى البستان المشار اليه وأخبرا بما فعلاه . وفي تلك الليلة احترق الحريق الأول . ثم إن المكين الراكبلي كتب ورقة وأرسلها الى (ا آ) المكين عامل الجيش والمكين جرجس عرفهما بصورة الحال . ثم كتب الى الحاضر المسمى أعلاه المشهود عليه ، وهو الرشيد ، ورقة وأرسلها مع مملوكه مبارك يعرفه من جهة دراهم لناظر الجيش ، وفي آخر الورقة أن الشغل قد انقضى ، ثم إنهم كتبوا لهما كتاباً الى العلم الدميتري عامل ببروت أن يجتهد في تجهيزهما ويركبوهما من البحر الى قبرص ومنها الى البلاد . ثم إنهم بعد ذلك أحضروا عيسى الجرائحي المعروف بابن ريش الروقة ، ووافقوه على أنه يتحيل في إدخال النار الى داخل دكان اللحام المستجدة على باب قيسارية القواسين ، وواعدوه بخمسماية درهم قبض منها ثلاث مئة ، وأخذ كمكة ثالثة واستمال النصراني ساكن الدكان حتى وضع الكمكة في سقف الدكان . وفي تلك الليلة احترق الحريق الثاني ، وهو قيسارية القواسين وما معها . ثم إنهم دفعوا خمسمائة درهم لمخلوف النصراني الطواف على أنه يرمي حراريق دهن بأقطار البلد لينفي عنهم الظن بذلك . ثم إنه حضر عندهم نفران من سيس معهم كتاب صاحب سيس يعرفهم انه بلغه خراب ما حول الكنيسة فإن كانوا يختاروا (كذا) أن يكتب الى صاحب السرب بكتاب مولانا السلطان الملك الناصر في ذلك يعرفوه وفيه فصول كثيرة . فتجهز النفران المذكوران الى القدس الشريف فلما قدما كتبوا لهما كتاباً من يوسف الراكبلي الى صهره المسمى بطرس كاتب المقر العالي طنبغا حاجي بقرية ريحا بالوصية بهما وإكرامهما ، وكتبوا كتاباً الى صاحب سيس قبل الحريق الثاني يعرفوه (كذا) بالأول ، وفيه فصول كثيرة . وكتبوا فيه بالرد لمماليك لداخلة (؟) ذمشق يعنوا (كذا) بذلك أكابر النصارى بدمشق . وهذه صورة ما أقر به الحاضر المسمى أعلاه من غير زيادة ولا نقصان . والله المستعان .

في تاسع ذي القعدة سنة أربعين وسبعماية .

- ٢ -

الله الموفق ..

صورة الفتيـا

(مكتبة ليدن Cod. Or. 951)

ما قولُ أئمة المسلمين فيما اعتمده النصارى بدمشق المحروسة ، وحريق أوقاف الجامع الأموي عمّره الله تعالى بذكره ، وحريق المأذنة الشرقية ، وأوقاف المدرسة الأمينية ، وما بها من صلاح المسلمين ، وغير ذلك من الأموال .

هل يُنقض بذلك عهدهم ، وهل يلزمهم ضمان ما تلف بالحريق ، ويؤخذ ذلك من أموالهم ؟ واذا انتقض عهدهم فما الحكم فيهم : هل يُقتلون أو يُنفَوْن الى بلاد النصارى ؟ وإذا كان متموّليهم (كذا) وكبارهم ورؤساؤهم شارطوا على حريق الجامع المذكور وحريق دمشق المحروسة بمال معلوم ، واعترفوا بذلك ، فهل يجب على هؤلاء المتولين المستأجرين الضمان أم لا ؟ وهل ينقض عهدهم أم لا ؟ وإذا أسلم أحدهم فهل يصح إسلامه أم لا ؟ وإذا صح إسلامه فهل يصح إسلامه خاصة ؟ أو دمه وماله ، وهل ينجيه إسلامه من الضمان بسبب الحريق أم لا ؟ واذا كان لهم كبير وهو غائب عن البلد ، وهم يعتقدونه ولا يرون مخالفته وأمرهم بما فعلوه ، فهل ينتقض عهده أم لا ؟ .

أفتونا مأجورين .

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي (١)

ينتقض عهدهم ، وتؤخذ أموالهم ، ولولي الأمر ، أعزه الله تعالى ، صرفها في عرض ما تلف بالحريق المذكور منهم من وقف وعقار وقماش وغير ذلك من الأموال ويثاب أعزه الله تعالى على ذلك . والله أعلم (٢) . كتبه علي السبكي .

جواب الحنفية

نعم ، يلزمهم ضمان ما أتلفوه من الأموال والعقار والسلاح وغير ذلك . وإذا كانوا قد سعوا في الأرض بالفساد فللإمام أن يقتلهم سياسة ، وله إجلاؤهم عن أماكنهم الى موضع يراه الإمام من دار الإسلام ، ويكون ذلك مانعاً من فسادهم . واسلام من أسلم منهم لا يكون موجباً لسقوط ما وجب عليه (١ ب) من حقوق العباد من مال أو قتل . والله أعلم (٣) .

جواب المالكية

الجواب وبالله التوفيق

الحريق المذكور موجب لنقض العهد ممن صدر منه . ونقض العهد موجب للقتل . ومعلوم ما اشتمل عليه الفعل المذكور من المفاسد من خراب المأذنة والأوقاف وإتلاف السلاح المستعد للتقوي على العدو المخذول ، وما قصد من

(١) أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الشافعية بدمشق . توفي سنة ٧٥٦ . انظر شذرات الذهب ٦ : ١٨٠

(٢) لم أجد نص هذه الفتيا في فتاوى السبكي المطبوعة .

(٣) ليس في الأصل اسم قاضي قضاة الحنفية . وقد كان يومئذ عماد الدين الطرسوسي الحنفي ، وهو علي بن أحمد . توفي سنة ٧٤٨ (قضاة دمشق لابن طولون ، مخطوط ورقة ١٣٨)

إتلاف المسلمين وأموالهم وخراب مدينتهم وأماكنهم ، وما في إظهار ذلك من القوّة والجرأة على هذه الدولة القاهرة خلّد الله ملك مالكها ، وأدام اقتداره وأعزّ أنصاره وأهلك عدوّه ، ثم ذلك موجب لتضمين ما أتلفوه ، وأخذ ذلك من أموالهم ، ويُمنعون من الرجوع الى بلادهم ومساكنهم ونسائهم وكبارهم ، ومَنْ استأجروهم ، ومَنْ تواطأ معهم في الغرم ونقض العهد ، ولا يكون إسلام من أسلم موجباً لسقوط الضمان ، ولا مانعاً من أخذ أموالهم ، وإنما يكون موجباً لحقن دمهم إذا تبيّن صحة إسلامهم ، وينتقض عهد من أمرهم بذلك ممن له عهد ، ويصير حربياً . والله أعلم .

كتبه محمد بن أبي بكر المالكي (١) .

جواب الحنابلة

نعم ينتقض عهدهم بذلك ، ويتعيّن قتلهم ويلزمهم ضمان ما أتلفوه بذلك من الأوقاف والأموال وغيرها ، ولا يكون إسلامهم مانعاً من ذلك (٢ آ) وما يعد ذلك من أموالهم يكون فيئاً للمسلمين ، ومن واطأ على شيء مما ذكر وأعان عليه بوجه من الوجوه أو علم به ولم يُعلِم به المسلمين انتقض عهده أيضاً . والله أعلم .

كتبه عليّ بن المنجا الحنبلي (٢) .

---

(١) هو شرف الدين محمد بن ابي بكر الهمداني المالكي ، قاضي قضاة المالكية . توفي سنة ٧٤٨ . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٢٢١

(٢) علي بن المنجّا ، قاضي قضاة الحنابلة . توفي سنة ٧٥٠ ، انظر شذرات الذهب ، ٦ : ١٦٧

كتاب الموجز

في علم القوافي

تأليف كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري

نشرنا في الجزء الماضي من هذه المجلة (المجلد ٣٠ ، الجزء ٤ ، ص ص ٥٩٠ — ٦٠٧ وص ٦٩٥) كتاب (اللمعة في صنعة الشعر) لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، ووطأنا له بكلمة موجزة ألممنا فيها بترجمة المؤلف وعصره وموضوعات كتبه المطولة والمختصرة .

وقد ذكرنا في تلك المقدمة أن للأنباري كتاباً آخر في علم القافية ، أحال إليه في خاتمة (اللمعة في صنعة الشعر) وسماه : الموجز في علم القوافي [١] ، وأشار اليه بعض من ترجموا الأنباري ؛ فالسيوطي يثبت له في (بغية الوعاة) كتاب (الموجز في القوافي) وحاجي خليفة يذكر له في (كشف الظنون)

(١) أشار الأنباري في خاتمة كتابه (اللمعة) إلى هذا الموجز وذلك في أثناء كلامه على التضمين (ص ٦٠٧) فقد عرّفه وقسمه إلى ضربين : أحدهما يدخل في صنعة الشعر ومثّل له بشيء من شعر العرب ، وثانيهما لا يدخل في صنعة الشعر وقد عرّفه ولم يمثّل له وذكر انه بيّنه في كتابه (الموجز في علم القوافي) . وفي خاتمة (الموجز) الذي ننشره هنا كلمة في التضمين ، اقتصر الأنباري في تعريفه إياه على ما أورده في الضرب الثاني من التضمين في اللمعة ، وضرب له مثالاً من الشعر . فالأنباري كما ترى ، منسّق لفكرته ، ذكور لما قال في كتبه ، بعيد عن الحشو والتكرار .

كتاب (الموجز في القوافي) ويورد أول هذا الكتاب : الحمد لله على ما خفي من نعمه .... وگوتهولد ڤايل – في المقدمة التي صدّر بها كتاب الأنباري (الإنصاف في مسائل الخلاف) وأحصى فيها ما سمع به من تصانيف المؤلف – يشير في ص ٩٧ إلى (شرحه الموجز في القوافي) ....

وقد ورد إلى المجمع العلمي العربي تصاوير تسع رسائل مخطوطة للأنباري (أشرنا إليها في ص ٦٩٥ من الجزء الماضي لهذه المجلة) ومنها مخطوط (كتاب الموجز في علم القوافي) ، وأوله يطابق ما ذكره حاجي خليفة في كلامه عليه . وجاء هذا المخطوط في الصفحة الثانية من الورقة ١٠٦ وفي صفحتي الورقة ١٠٧ من مجموع الرسائل ، فهو في ثلاث صفحات قسمت أولياها ثلاثة أجزاء : أصل في الوسط وهامش في أعلى الصفحة وجانبها وأسفلها بسطور مائلة ، أما الصفحة الثالثة فخلو من الهامش ، والنص متساوق في الأصل والهامش . ولا تجاوز سطور المخطوط خمسين ومائة سطر كتبت بخط فارسي واضح تغلب عليه الصحة . على أننا لم نتقيد دائماً برسم الناسخ ، فهو يكتب (الصبى) بدل (الصِبا)[1] و (كان لا يسلوا) بدل (كان لا يسلو) و (ترجوا النساء) بدل (ترجو النساء) ويحذف الألف اللينة من (ثلاثة) و (مالك) ويسهل همزة (زائل) . وقد يخطئ في رسم ما استغلق عليه فهمه ، فهو يكتب (التوحية) بدل (التوجيه) و (المقعد) بدل (المقمّر) . وقد أشرنا الى بعض هذه الاختلافات في حواشي النص الذي ننشره بعد هذه التوطئة .

* * *

(١) وإن كان لكتابتها منقوصة غند كسر أولها وجه كما في تاج العروس .

أما قيمة (الموجز في علم القوافي) فتضارع قيمة (كتاب اللمعة في صنعة الشعر) للمؤلف نفسه ؛ إذ اشتمل الموجز على خلاصة وافية لهذا العلم ، سهلة المأخذ ، واضحة النهج ، منسّقة الفصول ، جامعة أكثر ما يحتاجه المتلقن والمتلقف . وقد أجاد المؤلف تقسيم هذا العلم ، وضرب لكل قاعدة مثالاً من مشهور كلام العرب . هذا وقد درج أكثر المؤلفين المتقدمين على التقيد بإثبات مثال بعينه للقاعدة ينقله الخلف عن السلف ، أما الأنباري فكثيراً ما يمثّل بأبيات وردت في دواوين العرب ولكن لم تجر عادة العروضيين بالاستشهاد بها .

لن تجد في هذا الكتاب جديداً في علم القوافي ، فقد ولد هذا العلم كاملاً - فيما يقولون - ، ولكنك ستجد فيه لُباب العلم دون قشوره ، معروضاً بأُسلوب رشيق مشرق وتحديد محكم بارع وبسط موجز بيّن ، وسترى ذلك في الصفحات التالية التي ينشر فيها هذا الكتاب لأول مرة .

(دمشق) عبد الهادي هاشم

كتاب الموجز في علم القوافي

تأليف كمال الدين الأنباري النحوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخفيَ من نعمه وخفَا(١) ، وصلواته على عبده ونبيه المصطفى ، وعلى سائر عباده الذين اصطفى ، وبعد فاني أودعت في(٢) هذا المختصر من أصول علم القافية ، نُبَذاً وافية ، ونُكَتاً كافية ، في التأسيس لقواعد أصوله ، والتأنيس بفروعه وأصوله ؛ وقسمته فصولاً ، ليكون أدنى إلى متلقّنه وصولاً ، وأدعى لمتلقّنه حصولاً ، وبالله التوفيق وكفى به كفيلاً .

فصل في معرفة القافية

اعلمْ أن علماء العربية اختلفوا في القافية ، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحرف المتحرك الذي قبله . وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أنها آخر كلمة في البيت . وذهب أبو علي قطرب وأبو العباس ثعلب الى أنها حرف الرويّ ، وهو مذهب الشعراء . وقال بعضهم : القافية ما لزم الشاعر إعادته . وإنما سميت قافية لأنها تتبع ما قبلها من الكلام ، من القَفْوِ وهو الاتباع ، يقال : قفوتُ أثره اذا اتبعته ، وقال الله تعالى(٣) : «ولا تقفُ ما ليس لك به علم» .

---

(١) خفا الشيءُ يخفو : ظهر .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الناسخ هو الذي أقحم الجارّ (في) هنا .

(٣) الاسراء (١٧) ٣٦

فصل في معرفة ما يعرض في القافية

ويعرض في القافية ستة أحرف وست حركات . فالأحرف : الرّويّ والوصل والخروج والردف والتأسيس والدخيل . والحركات : المجرى والنفاذ والحذو والرسّ والاشباع والتوجيه (١) .

فصل في معرفة الأحرف

الرّويّ :- هو الحرف الذي يلزم القصيدة بأسرها وتنسب إليه ، كقوله :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائـلُ

فاللام هو الروي ، وكذلك القصيدة لاميّة .

والوصل :- يكون بأربعة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي يتبعن الرّويّ والهاء سواء كانت ساكنة أو متحركة . فالألف كقوله :

أمِن آل سلمى عرفت الطلولا بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مثولا

فاللام الرويّ والألف بعدها وصل . والياء كقوله :

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتها من جنوب وشمألِ

والواو كقوله :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقلُ

والهاء الساكنة كقوله :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطلُهْ وعُرّيَ أفراسُ الصبا ورواحلُهْ

والهاء المتحركة كقوله :

أجاد المسدّي سردَها وأذالها

(١) يستبدل الناسخ دائماً كلمة التوحية بكلمة التوجيه ، ولعل الأمر قد التبس عليه .

والخروج :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن الزوائد اللواتي يتبعن الصلة المتحركة[١] . فالألف كقوله :

[طعنتُ ابن عبد القيس طعنة ثائرٍ] لها نفذ لولا الشّعاعُ أضاءها[٢]

فالهمزة هي الرّويّ ، والهاء وصل ، والألف بعدها خروج .

والياء كقوله : تجرّد المجنون من كسائهِ . والواو كقوله :

كأن لونَ أرضه سماؤهُ[٣] .

والردف :- يكون بثلاثة أحرف : الألف والياء والواو السواكن اللواتي قبل حرف الرّويّ من غير فصل . فالألف كقوله :

ولو أدركته صَفِر الوطابُ

فالباء الرّويّ والألف قبلها ردف . وأما الياء والواو فيشتركان في القصيدة الواحدة بخلاف الألف ، كقوله :

ولا تكثير على ذي الضغن عتباً ولا ذكر التجرم للذنوبِ
ولا تسأله[٤] عما سوف يبدي ولا عن عيبه لك بالمغيبِ
متى تكُ في صديق أو عدو تخبّركَ العيون عن القلوب

(١) يريد المؤلف بالصلة المتحركة هاء الوصل إذا كانت متحركة فاذا كانت ساكنة لم يكن خروج ، كما لا يكون خروج إذا كان الوصل ألفاً او واواً أو ياء .

(٢) ذكر المؤلف عجز البيت فقط وهو لقيس بن الخطيم (اللسان ، مادة : نفذ) ، وفي الأصل نقد بدل نفذ .

(٣) الواو المقصودة هنا هي التي تلي الهاء المضمومة في (سماؤه) وكذلك الياء في البيت السابق فهي التي تلي الهاء المكسورة .

(٤) رسمت الكلمة على هذا الشكل : تسئله .

التأسيس :– كل ألف[١] بينها وبين الرّويّ حرف ، والدخيل هو ذلك الحرف الذي بين التأسيس والرّويّ ، وذلك نحو قوله :

كِليني لِهمٍّ يا أُميمة ناصبِ   وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكبِ

فالباء هي الرّويّ ، والألف قبلها التأسيس ، والكاف بينهما الدخيل ولا يلزم تكريره ، كقوله : ناصبِ والكواكبِ ؛ وكقوله :

خليليَّ عوجا من صدور الرواحلِ   بجمهور حُزْوَى[٢] فابكيا في المنازلِ

وكان بعض المتقدمين يسميه التوجيه[٣] لأنه يجوز لك أن تغيّره بأي حرف شئتَ ، والأكثرون على أن التوجيه من جملة الحركات لا الحروف ، وستراه في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة الحركات

المَجرى[٤] :– حركة حرف الرّويّ ، نحو ضمة لام زائلُ ، وفتحة لام مثولا ، وكسرة لام شمألِ .

والنفاذ :– حركة هاء الوصل ، نحو فتحة هاء أضاءها ، وكسرة هاء كسائهِ ، وضمة هاء سماؤهُ .

---

(١) في المخطوط : كألف .

(٢) في اللسان (مادة حزا) : حُزْوَى بالضم اسم عُجْمة من عجم الدهناء وهي جمهور عظيم يعلو تلك الجماهير (والجمهور : الرمل الكثير المتراكم ، والعُجْمة ما تعقّد منه) .

(٣) في الأصل : تسمية التوحية .

(٤) حيثما وردت هذه الكلمة ضبطها الناسخ بضم الميم ، ولعل الصواب فتحها ، لأن المجرى موضع جري حركات الإعراب والبناء ، والفتح هو المشهور عند ارباب هذا العلم .

والحذو :— حركة الحرف الذي قبل الرّدف ، نحو فتحة طاء الوطاب ، وكسرة غين المغيب ، وضمة لام القلوب .

والرّسّ :— هو الفتحة قبل التأسيس ، نحو فتحة الواو من الكواكب .

والإشباع :— هو حركة الدخيل ، نحو كسرة الزاي من المنازل .

والتوجيه :— حركة الحرف الذي قبل الرّويّ المقيّد ، وكان بعضهم يسميه الاجازة مأخوذ من إجازة الحبل اذا لم يحكم فتله فتراكبت قواه ، قال الفرّاء : الاجازة عند الخليل أن تكون القافية طاء والأخرى دالاً وهو الاكفاء ، وسنذكر هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

فصل في معرفة أنواع القافية

وهي خمسة : المتكاوس والمتراكب والمتدارك والمتواتر والمترادف .

فالمتكاوس :— كل قافية آخرها أربعة أحرف متحركة بين ساكنين ، ولا يجتمع في الشعر أكثر من أربعة أحرف متحركة متوالية ، وذلك نحو قوله :

قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرْ .

والمتراكب :— كل قافية آخرها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين ، نحو قوله :

قف بالديار التي لم يعفها القِدَمُ ... بلى وغيّرها الأرواحُ والدِيَمُ

والمتدارك :— كل قافية آخرها حرفان متحركان بين ساكنين ، نحو قوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

والمتواتر: – كل قافية آخرها حرف متحرك بين ساكنين، كقوله:

أقول لصاحبي والعيسُ تهوي[1] بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

والمترادف: – كل قافية اجتمع فيها ساكنان، كقوله:

قلتُ لها قِفي لنا قالت قافْ[2]

فافهمه إن شاء الله تعالى.

فصل في معرفة عيوب القافية

وهي خمسة: الإقواء والإكفاء والإيطاء والتضمين والسناد.

فالإقواء: – أن يجتمع الرفع والجر في قصيدة واحدة، نحو قوله:

آذنتنا ببينِها[3] أسماءُ رب ثاوٍ يُمَلُّ منه الثواءُ

وقال فيها:

فملكنا بذلك الناس حتى ملك المنذر بن ماء السماءِ

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه قال: الاقواء نقصان حرف من الفاصلة، كقوله:

---

(١) في اللسان (مادة عرر): (تخدي) بدل (تهوي)، وبعد البيتين بيتان آخران هما:

ألا يا حبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

(٢) في (أف) عشر لغات على الأقل، فنها ما هو بتخفيف الفاء فلا يصلح مثالاً للترادف، ومنها ما هو بتشديدها منوّناً أو غير منوّن؛ (راجع اللسان في مادة: أفف).

(٣) في المخطوط: اذنتنا بينها.

أفبعد مقتل مالكِ بن زُهَيْرٍ ترجو النساء عواقب الأطهارِ [1]

وكان الخليل يسمي هذا المقعَّر [2] . والمعتمد أن الاقواء أن يكون الرفع والجر في قصيدة واحدة على ما بيّنا . فإن كان مع الرفع أو الجر نصبٌ سُمّي إصْرافاً ، ولا يجيزه الخليل بن أحمد والبصريون ، وأجازه المفضّل الضبّيّ والكوفيون .

والإكفاء :— أن يختلف الرّويّ في قصيدة واحدة ، وأكثر ما يكون ذلك في الحروف المتقاربة كالميم والنون ، والطاء والدال ؛ فالميم والنون كقوله :

بُنَيَّ إن البِرَّ شيءٌ هيّنُ المنطق الليّـــن والطعيّمُ

والطاء والدال كقوله :

إذا ركبتُ فاجعلوني وسطا إني كبير لا أطيـق العَنَدا [3]

وبعضهم يجعل الإكفاء بمنزلة الإقواء ، والأكثرون على ما ذكرناه [4] .

والإيطاء :— أن تكرر القافية في القصيدة الواحدة باللفظ والمعنى ، كقوله :

أو كاهــتزاز ردينيّ تداوله أيدي التجار فزادوا متنه لينـا

وقال فيهـا :

. . . . من الأحاديث حتى زدتني لينا [5]

---

(١) رسمت مالك بلا ألف في المخطوط ، والبيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي (الحماسة ص ٤٤٧) .

(٢) في المخطوط : المقعد ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) العَنَد : الجانب ، يقال : يمشي وسطاً لا عَنَداً ، وفي المخطوط : العُنْدا .

(٤) في هامش المخطوط هذه الزيادة : قال أبو عمرو : الإكفاء عند العرب المخالفة في كل شيء .

(٥) ورد هذان البيتان في المخطوط على هذا الشكل :

أو كاعتزاز رداني تداوله أتريد التجار فزادوا متنه ليناه

ان في نازعت البانها لبن بمتصر من الأحاديث حتى زدتني لينا

وفي الهامش ما نصه : هذا الشعر لابن مقبل . ولم نقع على صوابها فيا بين يدينا من المراجع .

فان اختلف المثيان لم يكن إيطاء [و] ليس بعيب عند العرب ، والمذهب المذكور ما بيّناه .

والتضمين :— ان تتعلق قافية البيت [الأ]ول بالثاني ، كقوله :

فسائل تميماً بنا والرباب وسائل هوا[ز]ن عنا إذا ما

ثم قال [في] البيت الثاني :

لقيناهمُ كيف نعلوهمُ ببيض يفلّقن بَيْضاً وهاما [1]

والسناد :— كل عيب يقع في القافية ، مثل أن تأتي القافية مرة مردفة ومرة غير مردفة ، ومرة مؤسسة ومرة غير مؤسسة ، وأن تختلف حركة الاشباع والحذو ، كقوله :

كأن عيونهنّ عيون عِين

ثم قال :

وأصبح رأسه مثل اللجَيْنِ

واختلفوا في اختلاف ما قبل الرّويّ المقيّد ، فذهب بعضهم إلى أنه ليس بعيب ، والذي عليه الجمهور والمذهب المشهور أنه عيب والله أعلم .

تم المختصر بحمد الله تعالى ، فلله الحمد على ما أولى .

---

(١) في المخطوط : ..... نعولهم .. ببيض فلقن ..... :

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

- ٧ -

(أو لا يكون بين أجزاء البيت التئام) ·

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب التحام أجزاء النظم وعند الكلام على عيار التحام أجزاء النظم ·

(أو تكون القافية قلقة في مقرها أو مَعيبة في نفسها) ·

تقدم الكلام على هذا عند الكلام على باب شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية من الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر وعند الكلام على عيار شدة اقتضاء اللفظ والمعنى للقافيــة ·

(أو يكون في القَسْم أو التقابل أو في التفسير فساد) ·

أما فساد التقسيم فهو ضد صحة التقسيم وهو يكون على وجهين أحدهما أن يأتي الشاعر بتقسيم وليس هو بتقسيم كقول هذيل الأشجعي :

فما برحتْ تومي إليَّ بطرفها　　　وتومض أحياناً اذا خصمُها غفل

فان تومي وتومض متساويان · وقريب منه قول لبيد :

كدخان مشعلة يشب ضرامهـا ·

ثم قال بعده فيها :　كدُخان نار ساطع أسنامهـا

وثانيها ان يترك شيئاً من التقسيم كقول جرير :

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

وسكت عن الثلث الثالث .

وأما فساد التقابل فهو فساد التضاد المقصود كقول ابي عدي :

رُحماء لذي الصلاح وضرّابو ن قدماً لهامة الصنديد

فقابل ذا الصلاح بالصنديد وقد يكون الصنديد صالحاً فيضربون هامته وقد يكون غير الصنديد شريراً فلا يضربون هامته . وأما فساد التفسير فهو فساد البيان بأن لا يلاقي البيان لما أجمل سابقاً كقول بعضهم مادحاً :

فيأيها الحيران في ظُلَم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغي من العدى

تعالَ اليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندى

فتبيين ما يترقبه في ظلمة الدجى بحصول ضياء وجه الممدوح تفسير صحيح ولكن تبيين ما يترقبه خائف البغي بحصول الكرم تبيين فاسد . ومن فساد التفسير سخافته كقول عز الدين الموصلي في بديعيته .

ذكر الإمام وابنيه بفسره عليٌّ والحسنان أكرم بذكرهم

على ما في البيت من ضرورات ركيكة ثلاث .

(أو في المعنى تناقض) .

بحيث يقتضي بعض المعاني نقيض البعض الآخر في الغرض الواحد بلا تأويل ومن المعلوم مراعاة شروط التناقض في هذا وهي ما يعبر عنها بالوحدات الثمانـ في علم المنطق والا فان من التناقض ما هو معدود من لطائف الأساليب كقوله تعالى : «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» . ومنه ما يسمى بالطباق وهو الجمع بين معنيين متضادين ولو في الجملة .

ومثال ما وقع فيه التناقض وعيب على قائله قول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواحُ والديم

إذ جمع بين قوله لم يعفها وبين نقض النفي بحرف بلى وقد يغتفر ذلك لضرب من التمليح كقول بعض الأدباء :

أسكرُ بالأمس إن عزمت على الشرب غداً إن ذا من العجب

وليس ذلك بظريف لما فيه من الغلو وكذا قول ابن الفارض :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقد عابوا على عبد الرحمن بن عبيد الله القس قوله :

فاني اذا ما الموت حل بنفسها يزال بنفسي قبل ذاك فأقبر

لأن شرط إذا يقتضي المستقبل أي إذا هي ماتت يموت هو قبل ذلك .

(أو خروج الى ما ليس في العادة أو الطبع)

سماه خروجاً لأنه مخالفة لصحة الكلام فكأن صاحبه خرج من حظيرة معاني الشعر الى الهوس وهو يرجع الى الخطأ في المعاني . مثال الخروج الى ما ليس في العادة قول أبي الطيب :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

إذ ليس من عادة المحبين الرغبة في نسيان الأحباب إلا أن يكون الذي أراد منه ذلك غير نفسه فتأمله .

ومثال الخروج الى ما ليس في الطبع قول المرار :

وخال على خديك يبدو كأنه سنا البرق في دعجاء بادٍ دجونها

فجعل الخال مفرطاً في البياض وطبيعة الخال السواد وإلا فقد انقلب بهقاً .

(أو يكون الوصف غير لائق بالموصوف) .

من أغلاط الشعراء في الجاهلية في الوصف قول المسيب بن علس :

وقد أتلافى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مِكدَم

الناجي الجمل الفحل والصيعرية سمة يسم بها أهل اليمن النوق الكرائم فلا يوسم بها الجمل وأنشد هذا البيت بحضر طرفة بن العبد وهو يومئذ صبي فقال طرفة: «استنوق الجمل» وضحك منه فأرسلها مثلاً . وقد ورد في كتب الأدب كثير من هذا كما في الموازنة للآمدي ولذا قال المؤلف فيما مضى «وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز» .

وقد يجيء الخطأ من حصر في التعبير كما وقع لعبد الله بن السمط في مدح الخليفة المأمون العباسي قوله:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً   بالدين والناسُ بالدنيا مشاغيل

قالوا لما سمعه المأمون نظر اليه نظرة كاد أن يصطلمه عليها فلما حدث عبد الله بذلك عمارةَ بن عقيل بن بلال بن جرير قال عمارة: «لقد أحسن إذ لم يؤدبك وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يشتغل بها هلا قلت كما قال جدي جرير في عمر ابن عبد العزيز:

فلا هو في الدنيا مضيع لدينه   ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وفي رواية أنه قال له: ما زدت على أن جعلت أمير المؤمنين عجوزاً في محرابها .

(أو يكون في البيت حشو لا طائل فيه) .

الحشو بكسر الحاء هو الكلام الذي ليس فيه فائدة في الغرض بمعنى الحشو لأنه لا جدوى له إلا الزيادة في الكلام كقول مصقلة بن هبيرة:

ألكني إلى أهل العراق رسالة   وخص بها حييت بكر بن وائل

فقوله حييت دعاء لا جدوى له في هذا المقام . ومنه قول أبي فراس:

ولكنني والحمد لله حازم   أعز إذا ذلت لهن رقاب

فحمدُ الله هنا حشو إذ لا جدوى في الغرض . ومن قبيحه[1] قول بعضهم:

(١) أنشده قدامة في كتاب نقد النثر ص ٧٤ .

أمْ سَلاَم أثيبي عاشقاً يعلم الله يقيناً ربه
أنكم في عينه من عيشه فاعلميه يا سليمى حسبه

فقوله يقيناً ربه حشوان وكذلك في عينه وكذلك فاعلميه يا سليمى •

(الى غير ذلك مما يحصِّله لك تأمُّلك جملَ المحاسن وتفصيلَها وتتبُّعك ما يضادها وينافيها وهذا هين قريب) •

أي ان المحاسن وأضدادها لا تنحصر فيما ذكره فقد تذكر بعض المحاسن ولا تذكر أضدادها وقد تذكر بعض العيوب ولا تذكر محاسن الخلو عنها والتأمل في الجميع يحصل للمتأمل انتباهاً الى إدراك ما عسى أن يغفلوا عنه •

(وإنما قلت هذا لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه مالو سئل عن سبب اختياره إياه وعن الدلالة عليه لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول : هكذا قضية طبعي أو ارجعْ الى غيري ممن له في[1] الدربة والعلم بمثله فانه يحكم بمثل حكمي وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار لأنه لا شيء من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه) •

اسم الاشارة راجع الى ما تقدم من قوله « واعلم انه قد يعرف الجيد من يجهل الرديء الى قوله : وهذا هين قريب » يعني أنه إنما اهتم ببيان المقابح إجمالاً ثم تفصيلاً لتكون نموذجاً من علل النقد وأسباب السقوط بحيث يتمكن مزاولها والمتأمل فيها وفي ما يماثلها أن يبين وجه رداءة ما يحكم برداءته من الشعر لأن بيان أسباب الرداءة أيسر من بيان أسباب الجودة وقد تقدم قول الآمدي في الموازنة « وأبيّنُ الرديء وأرذله » •

ومراد المؤلف بقوله « لأنه لا شيء إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه وإقامة البرهان على رداءته فاعلمه » إظهار الفرق بين حالة الحكم بالاجادة وحالة الحكم

(١) الصواب اسقاط (في) كما في النسخة التونسية •

بالرداءة فان الأولى قد يكون الرجوع فيها الى الطبع والذوق وان الثانية لا يعسر معها الاحتجاج بعلة الرداءة ولعله يشير بقوله « فاعلمه » الى الرد على الآمدي إذ سوّى بين الحالتين في الموازنة فقال « وأذكر من علل الجميع ما ينتهي اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى ما لم يمكن إخراجه الى البيان ولا إظهاره بالاحتجاج وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته اه » .

(وأما تمنيك معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والبلغاء والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين والعلة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثر المفلقين لا يبرعون في إنشاء الكتب وأكثر المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر فاني أقول في كل ذلك [1] بما يحضر والله ولي توفيقي وهو حسبي وعليه توكلي) .

جمع المؤلف هذه الأسئلة جمعاً واحداً لأنه أراد الجواب عنها برمتها إذ كان بيان أسبابها آخذاً بعضه بحجز بعض كما سيأتي .

(اعلم ان تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء موجبة تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب لأمرين : أحدهما أن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ويعدونها أكمل أسباب الرئاسة وأفضل آلات الزعامة فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر فأحسن الاقتضاب عند البداهة وأمعن في الإسهاب وقت الإطالة ، أو اعتلى في ذروة منبر فتصرف في ضروب من تخشين القول وتليينه داعياً الى طاعة أو مستصلحاً لرعية أو غير ذلك مما تدعو الحاجة اليه كان ذلك أبلغ عندهم من إنفاق مال عظيم وتجهيز جيش كبير) .

ابتدأ البحث بالتفضيل بين الكلام النثر والنظم وبنى تأخر الشعراء عن رتبة

---

(١) كذا في نشرة الدكتور شكري فيصل غير مثبت اختلاف النسخ . والذي في نسخة الاستانة ونسختي تونس « فاني أقول في كل فصل من ذلك » .

الخطباء والكتاب على أساس تأخر المنظوم عن رتبة المنثور فأثار مبحثاً قديماً خاض فيه الأدباء وقد احتفل به ابن الأثير في كتابه الجامع الكبير فقال :

« اعلم أن الأقوال متعارضة في تفضيل كل واحد من هذين القسمين على الآخر إلا ان المذهب الفحل والقول القوي هو ان الكلام المنثور أفضل من الكلام المنظوم الخ » .

واعلم أن مناط التفاضل وموضوعه إنما هو النثر الخاص الذي يقصد منه تأثر السامع وإقناعه بغرض، وذلك هو النثر الذي يصاغ في قالب البلاغة والفصاحة كالخطب والرسائل والأمثال والقصص التي يقصد حفظها والتأدب بها والأحاجي والنكت المستظرفة فيقصد واضعوها التأنق فيها لتكون أبقى في ذهن السامع . فليس من موضوع التفاضل ما يجري بين الناس من المخاطبات في الشؤون المعتادة والحادثات العادية ولا نحو كتابة ديوان الجند وكتابة الأموال . والمؤلف بنى تفضيل النثر على ما حف بصناعته من العوارض العرفية والدينية وذكر لتفضيل النثر على الشعر سببين . وابن الأثير ذكر أربعة أسباب وبعضها يتداخل مع ما ذكره المؤلف وقول المؤلف « عن رتبة البلغاء » أراد بالبلغاء غير الشعراء لأن الشعراء وان كانوا من أهل البلاغة إلا انهم لما كان لصناعة الشعر اسم خاص من بين الكلام البليغ شاع اطلاق وصف الشعراء عليهم وبقي وصف البلغاء مطلقاً على من عداهم من الخطباء والكتاب وهو إطلاق قديم مشهور ومنه قول أبي العلاء المعري :

لا تطلبن بدون حظ رتبة قلم البليغ بدون حظ مغزل

يعني بالبليغ الكاتب . وابتدأ المؤلف بحالة العصر الجاهلي فقصر كلامه على الخطباء إذ لم تكن في الجاهلية رسائل واعتبر المؤلف من عصر الجاهلية العصر الذي عني الأدباء بتدوين آثاره دون ما قبل ذلك ، فقد زعم ابن رشيق في العمدة في باب التكسب بالشعر أن الشاعر كان في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم

من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه اهـ .

(وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ويعده ملوكهم دناءة وقد كان لامرئ القيس في الجاهلية مع أبيه حُجر بن عَمرو حين تعاطى قول الشعر فنهاه عنه وقتاً بعد وقت وحالاً بعد حال ، ما أخرجه الى أن أمر بقتله وقصته مشهورة فهذا واحد) .

عد المؤلف أنفة سادة العرب في الجاهلية من الاشتهار بقرض الشعر تكملة للأمر الأول من أسباب تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب وكان الأولى للمؤلف أن يجعله من جملة الأمر الثاني لأن الأنفة من قرض الشعر عندهم أوجبها اعتياد الشعراء التلبس بالأحوال التي هي من شأن أهل البطالة والتي لا تليق بالسؤدد في عرف زمانهم ومن ذلك ما سيذكره المؤلف عند تعرضه لأحوال الشعراء في مقابلة أحوال الكتاب إذ لا فرق في تلك الأحوال بين شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام وما قصة امرئ القيس مع أبيه إلا من ذلك القبيل فكان الوجه تأخير هذا ليستقيم قول المؤلف فهذا واحد . وأشار الى قضية امرئ القيس مع أبيه حجر ملك بني أسد [1] وحاصلها أن حجراً سمع ابنه امرأ القيس يترنم في مجلس شرابه بقوله :

اسقيا حُجراً على عِلاته من كميت لونُها لون العلق

فهم أبوه بقتله ثم نهاه فلما لم ينته اطرده من وجهه فكان بعيداً عنه الى أن قتل أبوه . والقصة مشهورة في كتب الأدب .

(والثاني انهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة وتوصلوا به الى السُّوَق كما توصلوا به الى العلية وتعرضوا لأعراض الناس فوصفوا اللئيم عند الطمع فيه بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بصفة اللئيم حتى قيل : الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني . فهذا الباب أمره ظاهر . واذا كان شرف الصانع

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ٦٠ جزء ١ .

بمقدار شرف صناعته وكان النظم متأخراً عن رتبة النثر وجب أن يكون الشاعر أيضاً متخلفاً عن غاية البليغ) .

يعني أن الشعراء في الجاهلية اتخذوا الشعر مكسبة وتعرضوا به للعطاء مثل الأعشى والنابغة فغض منهم وبعضهم تعرض به الى أعراض الناس فسخطه الناس مثل الحطيئة ، وسكت المؤلف عن الذين اتخذوه للغزل واللهو فشغلهم عن عظائم الأمور . والحاصل ان في نحلة الشعر ما كان مجلبة للغض من أصحابه بالرغم على ما يعترف لهم به الناس من حسن البيان ، فقول من قال الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني قول صادر عمن لحظ من الشعر بعض عوارضه وإلا فقد كانوا يعدون الشاعر ينافح عن القبيلة ويرفع من ذكرها فقيل كانوا يولمون إذا نبغ فيهم شاعر ، وقد قال النبي ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » وقد تصدى عبد القاهر في أول دلائل الإعجاز لإبطال شبه من ساء اعتقادهم في الشعر فانظره . قال الجاحظ في البيان (١) قال عمر بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذا قال الأول « الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني ولقد وضع الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الأول ما زاده ذلك إلا رفعة اهـ » .

وقولهم أدنى مروءة السري هو من الدناءة بمعنى الحطة أي هو أحط مروءة السري فالمروءة اجتماع الصفات التي تعتبر في الرجال وقد اشتقت من لفظ المرء كما اشتقت الرجلة من لفظ الرجل. فالشعر من المزايا التي يمتاز بها صاحبها إذ

(١) ج ١ صفحة ١٧٠ طبع التجارية سنة ٤٥ .

لا يحصل لكل أحد فجعلوه أقل كمالات الإنسان الشريف وجعلوه أشرف كمالات الدني وحسبك بهذا ثناء عليه، ولكن غرض المؤلف التنبيه الى أعراض أوجبت تنقص الشعر وان النثر سالم من تلك الأعراض وانه وإن شغل أصحابه عن عظائم الأمور لم يخل من إفادتهم قبولاً في قومهم ونفعاً يجره اليهم، وقد قال بعض شعراء بكر بن وائل :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم .
يفاخرون بها مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم .

ووقع في كلامه لفظ السُّوَق وهو بضم السين وفتح الواو بوزن صُرد اسم جمع سوقة والسوقة اسم للجماعة المنسوبة الى السوق وهم العامة من الناس . والعِلية بكسر العين وسكون اللام الجماعة المعتلون أهل الرفعة والخصوصية .

(وما يدل على أن النثر أشرف من النظم أن الإعجاز من الله تعالى جده والتحدي من الرسول عليه السلام وقعا فيه دون النظم يكشف ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام في أوقاتهم كانت من جنس ما كانت أممهم يولعون به في حينهم ويغلب على طبائعهم وبأشرف ذلك الجنس على ذلك كانت معجزة موسى عليه السلام لأنها ظهرت عليه وزمنه زمن السحر والسحرة فصارت من ذلك الجنس وبأشرفه .

وكذلك كان حال عيسى عليه السلام لأن زمنه كان زمن الطب فكانت معجزته وهي إحياء الموتى من ذلك الجنس وبأشرفه .

فلما كان زمن النبي ﷺ زمنَ الفصاحة والبيان جعل الله معجزته من جنس ما كانوا يولعون به وبأشرفه فتحداهم بالقرآن كلاماً منثوراً لا شعراً منظوماً وقد قال الله عز وجل في تنزيه النبي ﷺ : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» وقال أيضاً : «والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون» .

ولما كان الأمر على ما بيناه وجب أن يكون النثر أرفع شأناً وأعلى سمكا وبناء من النظم وأن يكون مزاوله كذلك ، اعتباراً بسائر الصناعات ومزاوليها) .

ساق المؤلف هذا الكلام كتكملة للسبب الثاني في تفضيل النثر على الشعر ببيان أن ذلك فضل اكتسبه في الجاهلية . وعززه له الإسلام ولهذا لم يجعل هذا دليلاً ثالثاً وقد عده ابن الأثير في الجامع الكبير سبباً مستقلاً ، وفي نسخة الاستانة بعد قوله أشرف من النظم «وان النظم أقصر درجة من النثر» .

(وأما السبب في قلة المترسلين وكثرة المفلقين وعزّ من جمع بين النوعين مبرزاً فيهما فهو أن مبنى الترسل على أن يكون واضح المنهج سهل المعنى ممتد الباع واسع النطاق تدل لوائحه على حقائقه ، وظواهره على بواطنه إذ كان مورده على أسماع مفترقة من خاصي وعامي وأفهام مختلفة من ذكي وغبي فمتى كان متسهلاً متساوقاً ومتسلسلاً متجاوباً تساوت الآذان في تلقيه والأفهام في درايته والألسن في روايته فيسمح شارده اذا استدعي ويتعجل وافده اذا استدني وإن تطاوَلَ أنفاسُ فصوله وتباعَد أطرافُ حزونه وسهوله .

ومبنى الشعر على العكس من جميع ذلك ، لأنه بني على أوزان مقدرة وحدود مقسمة وقوافٍ يساق ما قبلها اليها مهيأة ، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر الى غيره إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه .

فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتاً بيتاً وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى وان يبلغ الشاعر في تلطيفه والأخذ من حواشيه حتى يتسع له اللفظ فيؤديه على غموضه وخفائه حداً يصير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتنمها والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن اغماء الأثر ، وتباطؤ المطلوب على المنتظر ، فكل ما يحمد في الترسل ويختار يذم في الشعر ويرفض .

فلما اختلف المبنيان كما بينا وكان المتولي لكل واحد منهما يختار أبعد الغايات لنفسه فيه اختلفت فيهما الاصابتان لتباين طرفيهما وتفاوت قطريهما فبعد على القرائح الجمع بينهما) .

انتقل المؤلف الى بيان فضل النثر البليغ على الشعر البليغ في عصور دول الإسلام وجمع هنا الجواب عن مسألتين : مسألة السبب في قلة المترسلين من الكتاب وكثرة المفلقين من الشعراء . ومسألة السبب في عزة من يجمع بين الترسل والشعر .

وابتدأ بجواب المسألة الثانية في سبب عزة الجمع بين الترسل والشعر بقوله : « فهو ان مبنى الترسل الى قوله أولى وأخص » وحاصل السبب ان مقتضى الصناعتين مختلف فكان ذلك الاختلاف سبباً في ندرة العقول التي تجيد كلتا الصناعتين لأن العناية بأحد الأسلوبين واجادته تباعد الفكر عن الاهتمام بالآخر والاشتغال به . والانصراف والتوجه الى احدى الصناعتين حتى تستولي على الذهن هو أمر يتبع اختلاف توجه النفوس وميلها وقوله : « فيسمح شارده اذا استدعي . ويتعجل وافده اذا استدني » بفتح حرف المضارعة في يسمح ويتعجل مبنيين الى الفاعل وأراد بالشارد المعنى العزيز الممتنع وبالوافد المعنى السهل استعار الشارد للنادر لقلة حضوره واستعار الوافد للسهل لأنه كالذي يأتي بدون استدعاء واستعار لمحاولة اختراع المعنى النادر والتمكن من تقويمه في الذهن فعلي الاستدعاء والسماح . واستعار لإبراز المعنى السهل بعد خطوره في الذهن فعلى التعجل والاستدناء لأن الوافد يُستدنى للإكرام والقرى .

« وقوله أنفاس فصوله » كذا ثبت في نسخة الاستانة والنسختين التونسيتين . ووقع في نشرة الدكتور شكري « أنفاس وصوله » بواو عوض الفاء ولا يظهر له كبير معنى .

وقول المؤلف « إلا أن يكون مضمناً بأخيه وهو عيب فيه » أشار الى ما يسمى عندهم بالتضمين وهو أن يتوقف فهم معنى البيت على معرفة البيت الذي بعده وهو عيب في الشعر العربي ومع ذلك وقع في شعر فحول الشعراء ، ووقع للنابغة في عدة قصائد كقوله :

فهم دِرعي التي استلأمت فيها وهم أصحاب يوم عكاظ إني

شهدتُ لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مني

وقوله : « وكل بيت يتقاضاه بالاتحاد » وقع في نسخة الاستانة مخالفاً بالترتيب وبالاعجام فكتب « يتقاضاه كل بيت بالاتخاذ » بالخاء والذال المعجمتين والمعنى على معظم النسخ بالمهملتين ان كل بيت يطالب الشاعر بأن يجعله متحداً مع الأبيات أقرانه ففي ذلك التقاضي زيادة كناية للشاعر وعمل ليناسب بين البيت وأخيه كما قال رؤبة : « قد قلتَ لو كان له قران » فتأمل .

وأما الاتخاذ بالمعجمتين فلا يظهر له معنى لأن الشاعر إذا نظم البيت فقد اتخذه فهذا تحصيل حاصل . وقوله « وفي مثل ذلك يحسن انمحاء الأثر . وتباطؤ المطلوب على المنتظر » انمحاء الأثر كناية عن كثرة الترداد على الطريق حتى لا تبين فيه آثار أقدامٍ معينة وقد جعله تمثيلاً لحالة وفرة المحاولين لانتزاع المعاني وتهذيبها وإفراغها في قوالب النظم بحالة كثرة السائرين في جادة الطريق حتى تصير الطريق صلبة لا تظهر فيها آثار أقدام السائرين ولا سنابك الركاب كما يقال بيض الطرائق . والمعنى ان في هذا العمل ومثله يحسن الدأب على الطلب ومحاولة الظفَر بالغاية .

وقوله « وتباطؤ المطلوب على المنتظِر » أي هذا تباطؤ حسن غير مذموم وانتظار لذيذ لأجل ما يجده المنتظر في أثناء انتظاره من توسم توالُ غنم نفيس وظهور بشائر اقترابه كما قال أبو الطيب :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

(يكشف ذلك أن الرجز وان خالف القصيد مخالفة قريبة ترجع الى تقطيع شأو اللفظ فيه وتزاحم السجع عليه ، قلّ عدد الجامعين بينهما لتقاصر الطباع عن الإحاطة بهما ، فاذا كان الرجز والقصيد مع أنهما من واد واحد أفضت الحال بتعاطيهما الى ما قلت على خلاف يسير بينهما ، فالنثر والنظم وهما في طرفين ضدين وعلى حالتين متباينتين أولى وأخص) .

كان العرب قد خصوا الرجز بأغراض غير مهمة وهي الحداء والمتح على المياه وترقيص الأمهات أطفالهن . وكانوا ينظمونه على حالة عجلة وكيفما اتفق فلذلك لم يكن يعبأ به الشعراء . وربما ارتجز البطل عند الخروج الى صف المقاتلة يرهب الناس بما يذكره من بأسه الى أن ظهر منهم الرجاز المجيدون مثل العجاج وأبي النجم وكانوا كلهم من أهل البداوة فبقي الرجز شعار الأديب البدوي ولم يبرّز فيه أهل الحضر وقد عد من مقدرة بشار بن برد انه ارتجز بأراجيز فاق فيها مشاهير الرجاز مثل أرجوزته الطويلة :

يا طلل الحي بذات الصمد بالله حدّث كيف عدت بعدي

وقصته فيها مع عقبة بن رؤبة مذكورة في ترجمة بشار .

(وأما السبب في قلة البلغاء وكثرة الشعراء ونباهة أولئك وخمول هؤلاء) .

أراد بالبلغاء الكتاب البلغاء كما يبينه قوله : « منها أن المترسل محتاج الخ » ويبينه أيضاً انه موضوع البحث لقوله في حكاية السؤال « معرفة السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » وقد تقدم وجه هذه العبارة عند شرح قوله « اعلم أن تأخر الشعراء عن رتبة البلغاء الخ » وكأنّ اللام في البلغاء للعهد لأنه لما ذكر في صدر المقدمة رغبة السائل الكشف عما تخير فيه قال هنالك « وقلتُ أيضاً أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء

عن رتبة الكتاب البلغاء » وسبب ذلك كله أن أغلب المترسلين كانوا في عداد كتاب الدولة فصار الترسل مقارناً في الأذهان لصناعة الكتابة التي لها نباهة في الدولة ولذلك لم يتعرض المؤلف للخطباء في الإسلام اكتفاء بما ذكره من فضل الخطابة في العصر الجاهلي واعتداداً بأن الكتابة غطت على الخطابة وغمرتها بين أهل الدولة . والنباهةُ مصدر نبُه بضم الباء ويجوز فيها الفتح والكسر وهي الشرف وعلو القدر والخمول ضد النباهة ولم يصرحوا بحركة الخاء منه ولكن قياسه ضم الخاء لأن مصدر فعل المفتوح العين اللازم يكون على وزن فعول بضم الفاء باطراد إلا في أفعال الامتناع وأفعال الاضطراب وأفعال الادواء .

(فهو ان المترسل محتاج الى مراعاة أمور كثيرة إن أهملها أو أهمل شيئاً منها رجعت النقيصة اليه وتوجهت اللائمة عليه) .

يُبين كلامَ المؤلف هنا كلامٌ صدر عن ابن الأثير في الفصل الثاني من مقدمة المثل السائر إذ قال : « وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم ، حتى قيل كل ذي علم يسوغ له ان ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة وذلك لما يفتقر اليه من الخواص في كل فن » .

وذكر ابن الأثير أن فن الكتابة يفتقر الى سبعة أنواع من الآلات . هي علوم العربية ، وعلم اللغة وأمثال العرب ، والاطلاع على تآليف من تقدمه من أرباب الصناعة المنظومة والمنثورة ، ومعرفة الأحكام السلطانية ، وحفظ القرآن ، وحفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبي ﷺ . وقال القلقشندي : « ان كاتب الانشاء في الحقيقة لا يستغني عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن » وعلى هذا الاعتبار توسع القلقشندي فألف كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء في عشرين جزءاً . وقال : [1] « واعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان

---

(١) صفحة ١٤٦ جزء ١ .

يحتاج الى التعلق بجميع العلوم فليس احتياجه الى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج اليه بطريق الذات وهي مواد الإنشاء التي يستمد منها كاللغـة والنحو والبلاغة ومنها ما يحتاج اليه بطريق العَرَض كالطب والهندسة فإنه يحتـاج الى الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم والى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه بل ربما احتاج الى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية الخ » .

وأقول ان الكتّاب المشروطة فيهم هذه الشروط هم كتاب الرسائل السلطانية ومن كان في مرتبتهم وهم الذين منهم تختار الوزراء دون أصناف آخرين من الكتاب مثل كاتب القاضي وكاتب الخراج وكاتب الجند وكاتب الحساب وغيرهم وهم مراتب وشروطهم كذلك وهي منحصرة فيما به إجادة عملهم [1] .

(منها تبين مقادير من يكتب عنه واليه حتى لا يرفع وضيعاً ولا يضع رفيعاً ـ ومنها وزن الألفاظ التي يستعملها في تصاريفه حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفخمة لحضرة سلطانه التي يصدر عنها ـ ومنها أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرف معها على مقاديرها في النقض والإبرام والبسط والانقباض ـ ومنها ان يعلم أوقات الإسهاب والتطويل والايجاز والتخفيف فقد يتفق ما يحتاج فيه الى الاكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ؛ ويتفق أيضاً ما تغني فيه الاشارة وما يجري مجرى الوحي في الدلالة ـ ومنها ان يعرف من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل فلا يشتط في الحكومة ولا يعدلَ فيما يخط عن المحجة فهو إنما يترسل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والائتمان وعمارة البلدان وإصلاح فساد وتحريض على جهاد وسد ثغور ورتق فتوق واحتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء الى ألفة أو نهي عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك من جلائل الخطوب وعظائم الشؤون التي يحتاج فيها الى أدوات كثيرة ومعرفة مفتنة) .

(١) انظر صبح الأعشى صفحة ١٤٣ جزء ١ .

أشار الى أشد ما يحتاج اليه كاتب الإنشاء وهو أهم ما ذكره صاحب صبح الأعشى آنفاً .

(فلما كان الأمر على هذا صار وجود المضطلعين بجودة النثر أعز وعددهم أنزر وقد وسمتهم الكتابة بشرفها وبوأتهم منزلة رئاستها فأخطارهم عاليـة بحسب علو صناعتهم ومعاقد رئاستهم وشدة الفاقة الى كفايتهم) .

جعل السبب في قلة الكتاب هو السبب أيضاً في رفعة شأنهم وقد يكون للسبب الواحد مسببان فأكثر . وحاجة السلاطين والأمراء والسادة الى الكتاب معلومة وفي تضاعيف شواهد التاريخ منها كثير . وقصة غناء عبد الله بن المقفع الكاتب عن مخدومه علي بن عبد الله بن عباس في صده كيد السفاح عنـه بما كتبه من صيغة الأمان الذي رضي السفاح بيذله لعمه علي بن عبد الله بن عباس ، مذكورة في ترجمة ابن المقفع ويقال هي كانت سبب نكبة ابن المقفع . وذكر الحريري في المقامة ٢٢ بعض مزايا الكتاب أهل الإنشاء وبعض وجوه الحاجة اليهم فقال «والمنشيء جهينة الأخبار . وحقيبـة الأسرار . ونجيّ العظماء . وكبير الندماء . وقلمه لسان الدولة . وفارس الجولة . ولقمان الحكمة . وترجمان الهمة . وهو البشير النذير . والشفيع السفير . به تستخلص الصياصي . وتملك النواصي . ويقتاد العاصي . ويستدنى القاصي . وصاحبه بريء من التبعات . آمن كيد السعاة» .

وفي صبح الأعشى من كلام ابن جعفر الفضل بن أحمد : «للكتاب أقرت الملوك بالفاقة والحاجة . واليهم ألقوا الأعنة والأزمة . وبهم اعتصموا في النازلة والنكبة . وعليهم اتكلوا في الأهل والولد . والذخائر والعقد . وولاية العهد . وتدبير الملك ونزع الأعداء . وتوفير الفيء . وحياطة الحريم . وحفظ الأسرار . وترتيب المراتب . ونظم الحروب» .

(والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون اليها ، وصف الديار والآثار والحنين الى المعاهد والأوطان والتشبيب بالنساء والتلطيف في الاجتداء والتفنن في المديح والهجاء والمبالغة في التشبيه والأوصاف ، فاذا كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار . وإذ قد أتينا بما أردنا ووفينا بما وعدنا فانا نشتغل بما هو القصد من شرح الاختيار والله الموفق للصواب والصلاة والسلام على رسوله وآله الأخيار) .

أشار الى أن أغراض الشعراء وإن كانت رائقة للنفوس ومرغوبة عند أهل الذوق السليم فان للكتّاب المرتبةَ المهيبة ، والآثارَ العجيبة .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس

ايوانية البحتري

- ١ -

كان للملوك فارس عواصم متعددة أولها (اصطخر) وآخرها (المدائن) وكانوا قبل سابور (توفي سنة ٢٧٢ م) ينزلون (طيسفون) وهي المدائن الغربية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى . فبنى سابور الإيوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه فصار دار الملك من بعده الى ظهور الإسلام . وسميت (المدائن) مدائن لأنها كانت مؤلفة من عدة مدن وكانت هذه المدن عامرة بالسكان أثناء الفتح الاسلامي وفتحت آخر سنة ١٦ هـ (نصف كانون الثاني ٦٣٧ م) ودخلها سعد ابن أبي وقاص آخر شهر آذار من السنة نفسها . ثم لما بنى المنصور بغداد انتقل سكان (المدائن) اليها . وبني قصر (التاج) من حجارة الإيوان . وأخذت المدائن من يومئذ بالخراب والاضمحلال . ولم يبق من آثارها اليوم سوى البناء الفخم الذي يسمى (ايوان) كسرى واختلفوا في بانيه هل هو سابور أو غيره . والصحيح أنه تعاون على بنائه عدة من ملوكهم . وهو من أعظم أبنية العالم : مبني بالآجر على مرتفع من الأرض مساحته (١٥٠) ذراعاً في مثلها وأمامه ميدان طوله (٨٠) ذراعاً في عرض (٢٥) ذراعاً . وقيل ان سعة الإيوان من ركنه الى ركنه (٩٠) ذراعاً وارتفاعه (٨٠) ذراعاً . ومن أقسامه قصر لسابور اشتهر باسم (الأبيض) و (القصر الأبيض) و (أبيض المدائن) . وقد تهدم الإيوان ولم يبق منه سوى قنطرة عظمى اشتهرت باسم

(الطاق)[1] أو (طاق كسرى) أو (طاق الايوان) والطاق كلمة فارسية معربة بمعنى القنطرة . ومنه قولنا (طاقة) للنافذة لأن قسمها العلوي بشكل قنطرة في الأصل . والطاق مبني بالآجر : طول كل آجرة ذراع في عرض أقل من شبر . ومن أقسام الإيوان بناء عظيم يسمى (الجرماز) وقد اندرس ولم يبق له أثر . وفي الإيوان من التماثيل والصور شيء كثير : من جملتها صورة كسرى أنوشروان (وهذه الصورة في الجرماز فلعل الجرماز من بناء كسرى أنو شروان) وهو يحاصر أنطاكية وأهلها الروم يردونه عنها تحت راية ملكهم قيصر . وقد قال الشعراء في وصف الإيوان أشعاراً كثيرة أشهرها قصيدة البحتري فيه . وقد مرّ البحتري على الايوان ومعه ابنه (أبو الغوث) وكأنّ زيارته له كانت بعد شهوده مقتل المتوكل وحزنه الشديد عليه . فهاله ما رأى من فخامة البناء وغريب الصُور والتماثيل . فوصفه ووصف القصر الأبيض وصفاً عاماً ثم (الجرماز) ثم الصورة المذكورة التي تمثل حصار كسرى لأنطاكية ثم صورة تمثل مجلساً لكسرى مع نسائه وقيانه وعظماء مملكته . والقصيدة البحترية من خير أشعار البحتري على غموض في كثير من أبياتها لم نعهده في شعر البحتري الذي وُصف بسلاسل الذهب ، وقد اجتهدت كثيراً في مقابلة نسخ القصيدة ومعارضة بعض النسخ ببعض حتى استخرجتُ منها نسخةً ربما كانت أكملها ضبطاً وتحقيقاً ، وقد علّقت عليها شرحاً موجزاً أرجو أن تكون فيه الكفاية للطالب الحريص على فهم هذه القصيدة الفريدة .

* * *

(١) والطاق يبعد ٣٠ كم للجنوب الشرقي من بغداد . وقنطرة الطاق علوّها نحو أربعين متراً وسماكة الجدران نحو سبعة أمتار وطول فراغ بهو الإيوان ٦٦ خطوة وعرضه ٣٥ خطوة (والخطوة نحو ثلثي متر) .
والإيوان اليوم عاطل بقفر على مقربة من مصبّ نهر (ديالا) القادم من إيران – في دجلة . وكان أي الإيوان قديماً عاطلاً بمدينة (المدائن) عاصمة كسرى اهـ . ملخصاً من رحلة جرجس الخوري المقدسي المنشورة في مجلته (المورد الصافي) .

(صُنتُ نفسي عما يدنّس نفسي وترفّعت عن جَدا كل جِبْس)

(الجدا) العطية ويروى (ندا) وهو بمعنى الجود والسخاء . و (الجِبْس) بكسر الجيم الغبي الدنيء الثقيل الروح (والمعنى) أنه يصون نفسه عما يُهينها ويدنس كرامتها: من ذلك أنه يربأ بها عن تناول عطيّة من الأدنياء السِفَل لأنهم يستكثرون عطاياهم ولا يزالون يمُنون بها .

(وتماسكتُ حيث زعزعني الدهـ ـر التماساً منه لتعسي ونكسي)

ويروى (حين) مكان (حيث) وحين للزمان كحيث للمكان ومآل المعنى فيهما واحد . و (التعس) أن يخرّ الانسان على وجهه والنكس أن يخرّ على رأسه . هذا أصلهما ثم نُقلا الى معنى الهلاك: (تَعِسَ) كفرح اذا هلك و (تَعَسَه وأتعسه) أهلكه فهو تاعس وتعِس . و (نُكِسَ) على البناء للمجهول ونَكَسَه ونكّسَه فهو منكوس . (والمعنى) أن الدهر اذا نكبه نكبةً زعزعته وقلقلت عيشه مريداً إهلاكه وإسقاطه بين الناس فإنه يتماسك ويتجلّد ويصبر غير جَزوع ولا هَلوع .

(بُلَغٌ من صُبابة العيش عندي طفّفتها الأيام تطفيف بَخْس)

(البُلَغ) جمع (بُلْغَة) وهي ما يُتبلّغ به «أي يُكتفى به» من موادّ المعيشة بحيث لا يفضل منه شيء . و (الصُبابة) بالضم البقية الباقية من طعام وشراب . و (التطفيف) و (البَخْس) كلاهما بمعنى النقص: (طفّف) الكيل والوزن نقصه . و (بَخَسَه) حقّه نَقَصَه (يقول) انه اذا صان نفسه عن عطايا اللئام وصَبَر على نكبات الدهر فليس ذلك عن غنيً وسعةٍ من الرّزق بل هو على العكس: لم يبق لديه من مرافق الحياة وأسباب المعيشة سوى بقية مُجلّفة منقوصة .

(وبعيد ما بين واردِ رَفْه عَلَلٌ شربه وواردِ خِمس)

ذكر في هذا البيت حالةً من حالات الإبل في ورودها الماء قلةً وكثرة .

وقد ضربها مثلاً لنفسه : (الرِّفْه والرفاهة) لين العيش ورغد الحياة في البشر . أما في الإبل فهو (أي الرفه) أن ترد الماء كل يوم متى شاءت . وفعله (رَفَهَ) من باب قَطَع و (رفُه) من باب حَسُن . ويغلط الناس في مصدريه فيقولون (رَفَه) بفتح الفاء مع أن الواجب تسكينها ويقولون (رفاه) بزيادة الألف وصوابه (رفاهة) بتاء في آخره كالرفاهية . و (العَلَل) ضد النَهَل : فالنهل أن تورد الإبل ثم تُرَدّ الى العطن (وهو موضع بروكها على مقربة من المورد) وبعد قليل يوردونها مرةً ثانية ، وهذا الورود الثاني يسمى العَلَل . حتى إذا رويت ساقوها الى المرعى أو المراح وهو مبيتها ليلاً . ولا ريب أن سقي الإبل متى شاءت وسقيها ثانية : في ذلك زيادة ريّ لها وعناية بخدمتها وترفيه عيشها . وقد ضربه شاعرنا البحتري مثلاً لحالة الانسان اللّين العيش الذي تيسّرت له أسباب الخفض والدعة . قال وشتان من كانت حالته كذلك ومن كانت حالته كحالة البحتري : لا يرد رفهاً ولا عَلَلاً بل يرد خِمساً . والخِمس بكسر الخاء ظِمْءٌ من أظماء الإبل كالربع والسِدس : فهي ضد الرفه والعَلَل فان فيها (أي في هذه الأظماء الخِمس والربع والسِدس) تعطيشاً للإبل . وتزنيقاً عليها في المعيشة . وذلك يكون منهم إذا أرادوا سفراً بعيداً فإنهم يعوّدونها العطش رُوَيداً رويداً ربعاً فخِمساً فسِدساً . وبذلك تمرن الإبل على تحمّل العطش ثم يرمون بها في الفلوات أياماً وأياماً . فالخِمس والسِدس طريقة من طرائق خديعة الإبل والاحتيال عليها . ومن هنا المثل (فلان يضرب أخماساً لأسداس) أي يُري صاحبه أنه يُطيعه وهو إنما يراوغه ويحتال عليه . ويغلط الناس في استعمال هذا المثل فيقولون يضرب (أخماساً في أسداس) وصوابه (لأسداس) كما يضربونه مثلاً لمن يفكّر في الأمر كي يتبيّن وجه الصواب فيه . و (البحتري) يقول : الفرق بعيد بينه وهو عطشان كالبعير الوارد خِمساً ــ وبين آخر توفرت له جميع أسباب الرغد ولين العيش .

(وكأنّ الزمان أصبح مَخبو لاً: هواه مع الأخسِّ الأخسِّ)

في النسخ كلها (مخرولاً) بالميم وصوابه (مخبولاً) بالباء وهو من أصيب بفساد في عقله وأصبح كالمجنون لا يدري وجه الصواب في معالجة الشؤون، وهكذا الزمان في تضييق العيش على الكرام أمثال البحتري . (على الأخس الأخس) أي الأرذل الأرذل من الناس: فهو كأنه يؤثرهم ويسارع في هواهم .

(واشترائي العراقَ خُطّةُ غَبنٍ بعد بيعي الشآمَ بَيْعةَ وَكْسِ)

(الخُطة) بضم الخاء الخصلة ويكون بمعنى الأمر تهيؤه في نفسك لتجري عليه في عملك و (الغبن) أن تُخدع فتخسر في بيعٍ أو شراء و (الوكس) النقص والخسارة أيضاً، ووُكِسَ في تجارته أي خسر فذهب ماله . كأنّ (البحتري) ندم على تركه بلاده الشامية (وبلده منبج في حلب) الى الديار العراقية التي لم يعطه الزمان فيها ما يتمناه من طيب عيش ورغد حياة: فهو يقول: ان بيعه للشام وإفلاتها من يده كان عليه فيه وكسٌ وخسران، كما أن تخوضه الى العراق واشتراءه لها بعد ما باع الشام تدبيرٌ غير مصيب ومعاوضة أصبح فيها مخدوعاً مغبوناً .

(لا تَرُزْني مزاولاً لاختباري عند هذي البلْوى فتنكر مسّي)

(الرَّوْز) أن تجرِّبَ آخر وتختبر ما عنده من علمٍ وجهلٍ أو صبرٍ وجزعٍ أو حبٍّ وبغضٍ . وهكذا، فامتحان الطلاب لمعرفة ما عندهم من العلم هو في الحقيقة رَوْز، والمسّ معلوم لكنه هنا بمعنى التجربة والاختبار كالجسّ: أصله المس باليد ثم أصبح بمعنى الفحص والاختبار . والبحتري بعد أن وصف ما وصف من حالته الشوهى في العراق علم أن صديقه سوف يعاتبه على تطليقه الشام وتركه لها حتى وقع فيما وقع به من هذه البلوى فبادره قائلاً: أتحاولـ معرفة تجلدي ومقدار صبري على هذه المصيبة التي أنا فيها؟ فانك بذلك ربما تحملني على الغضب والغلظة

فتبرى مني خشونة تنكر مسّها . وتسمع كلاماً مؤلماً لم تعهده مني من قبلُ ، دعني وما أنا فيه من الحزن والغم .

(وقديماً عهدتني ذا صفاتٍ آبياتٍ على الدنيئات شمْسِ)

في الأصل (ذا هنات) ولا يلائم معناها هنا إلا على إرادة معنى الأمور الغريبة . فالصواب ما قلناه و(أبى عليه) امتنع ونفر ولم يطع . ومثله شمَسَ يَشْمُسُ فهو شامس وجمعه (شُمْس) . والشموس في الفرس أن لا يمكن أحداً من ظهره ولا يكاد يستقرّ من قلقه . ولعل نفور الفرس هذا ناتج من رؤيته لخياله في الشمس . ومن هنا جاء فعل شمَسَ اذا نفر وأبى . يقول البحتري لصديقه لا تكثر من لومي وإرهاقي بالعتب فانك تعلم مني قديماً الإباء والنفور من فعل ما يشين . فطباعي وأخلاقي كالأفراس الشُّمْسُ التي تنفر مما تكره وتأبى على الراكب أن يُسرجها أو يُلجمها .

(ولقد رابني نبوُّ ابنِ عمي بعد لينٍ من جانبيه وأُنسِ)

(النبوّ) الارتفاع ومنه نبا السيف عن الضريبة . والمراد بارتفاع ابنِ عمهِ شموخُه على البحتري وتعاليه : يقول ان من جملة البلوى سوء عشرة ابن عمي لي فهو يشمخ بأنفه عليّ وينأى بجانبه عني على غير ما أعهده فيه من لين الجانب وأُنس الطباع .

(واذا ما جُفيتُ كنتُ حَرِيًّا أن أرى غير مُصبحٍ حيثُ أُمسي)

المعنى أنني إذا جُفيتُ وأُسيئتْ معاملتي على هذه الصورة من الناس عامةً ومن ابن عمي خاصةً كنت حَرِيًّا وجديراً بأن لا يراني الناس باقياً وقتَ الصباح في المكان الذي عوملت فيه بالجفاء وقتَ المساء بل أرحل من فوري .

(حضرتْ رحلي الهُمُومُ فوجهـــتُ إلى أبيض المدائن عَنْسي)

(الرحل) للبعير كالسرج للفرس والإكاف للحمار ثم صار الرحل يطلق على

المثوى أي موضع الإقامة حيث توضع الرحال عادة عن ظهور الإبل وهذا هو المعنى المراد هنا • والهموم جمع هم بمعنى الحزن والغم وهو فاعل حضرت ورحلي مفعوله مقدم عليه و (أبيض المدائن) أحد قصور إيوان كسرى كما تقدم سمي بذلك لما يأتي في وصفه من بياض شرفاته و (العَنْس) بفتح العين وسكون النون الناقة الشديدة (يقول) إن الهموم والأحزان لمّا ألمّتْ به وخيَّمت على منزله وجّه راحلته شطر مدائن كسرى وقصرها الأبيض • ولعل منزله كان يومئذٍ في بغداد وقد ارتاع من مقتل (المتوكل) إذ كان قد شهد (أي البحتري) الحادثة كما وصف ذلك في قصيدة رثائه للمتوكل التي مطلعها :

(محلٌّ على القاطولِ أُخلِقَ داثره وعادت صُروف الدهرِ جيشاً تُغاوِرُهْ)

فأحب أن يرحل الى الإيوان فيفرِّج كربه برؤية ما فيه من عجائب البناء وغرائب الصور والتماثيل •

(أتسلّى عن الحظوظِ وآسى لمحلٍ من آل ساسان دَرْسِ)

يريد (بالحظوظ) حظوظ الدنيا وخيراتها التي تخطته الى غيره من الناس فكان هو محروماً منها ، وهم المتمتعون بها • وكأنَّ حرمانه إياها هاج في نفسه اللوعةَ والأسف وما كان ليخفّف من برحاء ذلك إلا رؤيتُه مصائبَ غيره فيحزن لمصائبهم، ويكون في طي ذلك الحزن شيءٌ من تخفيف حزنه هو • على حدّ قول ابن دريد (وفي خطوب الناس للناس أُسَى) • وقوله : (وآسى) أي أحزن (لمحلٍ) أي مكان حلول وإقامة وهو الإيوان و (دَرْس) بفتح الدال الطريق الخفي والدِرس بكسر الدال (وقد تفتح) الثوب البالي كالدَريس وهو المراد هنا فيكون شبّه بِلَى القصر ببِلَى الثوب • ويجمع (درس) بالكسر على أدراس ومنه قول أبي تمام :

(ما في وقوفك ساعةً من باس تقضي ذِمامَ الأربُعِ الأدراس)

و (آل ساسان) هم الطبقة الأخيرة من ملوك فارس التي قضى عليها الإسلام . وقد تشتتت أفرادها في ذلك العهد كتشتت أفراد ملوك الروس من آل رمانوس وملوك الترك من آل عثمان في أقطار المعمور ، وكان بعض أولئك الساسانيين يطوفون البلادَ مُكدين مُستجدين . ويذكرون من نسبهم ما يرقّق القلوب عليهم . ثم أخذ الشحاذون الآخرون ينتمون الى ملوك ساسان كذباً واستدراراً لصدقات الناس . ومن ثم يُسمى الشحّاذون (أبناء ساسان) أما كلمة ساسان فيقول بعضهم في تحليلها إنها محرفة عن كلمتي (شاه شاهان) أي ملك الملوك فعربت شينها الى سين وخففت بحذف الهاءين فأصبحت (ساسان) . والمعنى أن البحترى شخَصَ الى الإيوان ليسلّي نفسه عن الحظوظ التي فاتته برؤيه تصوز آل ساسان الدارسة البالية ويحزن ويرقّ لها ، في ذلك تخفيف لهمّه وحزنه .

(ذكّرتنيهمُ الخطوبُ التّوالي ولقد تُذْكِرُ الخطوبُ وتُنسي)

ضمير (ذكرتنيهم) لآل ساسان و (التوالي) جمع تالية أي تابعة ولاحقة ولعله يشير بالخطوب التوالي الى الخطوب التي صُبّت على الخلافة العباسية بقتل المتوكل ، فهذه المصيبة التالية أي التابعة لخطوب آل ساسان ذكّرته بآل ساسان أنفسهم ، ومن أجل ذلك شدّ الرحال الى آثارهم في عاصمتهم (المدائن) ليراها ويرى قصرها الأبيض والخطوب التي حاقت بها ويقارن بينها وبين الخطوب التي نزلت ببغداد وقصرها (الجعفري) الذي جرت فيه حادثة قتل المتوكل . وقوله (ولقد تُذكر الخطوب وتنسي) يريد أن خطوب الدهر أحياناً يذكّر بعضُها ببعض وأحياناً يغطّي بعضها على ذكر بعض فيُنسي اللاحقُ السابقَ والمتأخرُ المتقدمَ ، أو المعنى أن الخطوب تذكر بخطوبٍ مثلها في الخطورة والشدة بينما هي تنسي ما كان دونها في العظم والهول .

(وهمُ خافضون في ظلِّ عالٍ . مُشْرِفٍ يُحسِرُ العيونَ ويُخسي)

قوله (وهمُ خافضون) حال من الضمير في (ذكرتنيهم) أي ان الخطوب ذكرتني بآل ساسان حالة كونهم (خافضين) أي وادعين آمنين ليِّني العيش في قصورهم . و (عالٍ) صفة لمحذوف . أي قصر عالٍ يعني به الإيوان أو القصر الأبيض . و (مُشرِف) مرتفع ولشدة ارتفاعه يُحسِرُ عيون الناظرين اليه ويُخسِؤها أي يردّها حسرَى كليلة . فقوله (يُخسي) بالياء في آخره أصله (يخسئ) بالهمزة خُفِّفت بقلبها ياء . وهو من (أخسأه) تعدية خسأ البصر خسوءاً و (يُحسِر) تعدية (حَسَرَ) البصرُ حسوراً كلاهما بمعنى كَلَّ البصر وأعيا بحيث لم يعد يستطيع النظرَ ثانيةً . يقول إنه تذكّرهم وهم ناعمون ترفون في إيوانهم الذي يرتدّ عنه الطرف كليلاً لارتفاعه .

(مُغْلَقٍ بابُه على جَبَلِ القبْقِ . إلى دارتَي خِلاطٍ ومُكْسٍ)

- (مغلقٍ) بالجر صفة لقوله عالٍ في البيت قبله أي ان ذلك القصر العالي أغلق بابه على جبل (القَبْق) وهو جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان في تخوم آذربيجان . وضبطه ياقوت القبْق بالسكون أما صاحب التاج فضبطه بتحريك الباء فكأن الشاعر سكّنه للضرورة . وباب الأبواب هي المدينة المسماة (دَرْبَنْد شِروان) على الساحل الغربي من بحر الخزر . فجبل القبق إذن هو جبل قفقاسيا المسمى أيضاً جبل القفنج والقفجاق وكلها أسماء محرف بعضها عن بعض . أما ان القبَق هو جبل قفقاسيا نفسه فيستدل عليه أيضاً من قول صاحب (مراصد الاطّلاع) عند الكلام على مدينة (باب الأبواب) - وسميت باب الأبواب لأنها أفواه شِعاب في جبل القبق وكل فم شِعْبٍ بابٌ يوصل الى قُطر من الأقطار و (خلاط) مدينة مشهورة في أرمينية على ساحل بحيرة (وان) وهي ما زالت الى اليوم . أما (مُكس) فبضم الميم كما ضُبط في معجم البلدان بالشكل قرية

عامرة في بلاد أرمينية أيضاً واقعة بين خلاط وأرزروم . و (الدارة) كل أرض واسعة بين جبال . خلاط ومكس كلتاهما واقعتان في دارتين ، والمعنى ان الإيوان متراي الأطراف متسع الباحات فمن دخله وأغلق بابه لا يظن أنه أغلق بابه على قصر بل على بلاد شاسعة تمتد من جبال القبق الى بلاد خلاط ومكس . وبينهما مسافات شاسعة .

(حلل لم تكن كأطلال سعدى   في قفار من البسابس ملس)

(حلل) جمع حلة بكسر الحاء المنزل يحل به القوم ، والقوم الحالون في الحلة أنفسهم و (البسابس) جمع بسبس القفر . و (ملس) جمع أملس وهو ذو الملاسة . والملاسة النعومة . والنعومة إنما تأتي من عدم وجود شيء على سطح الجسم . فهذه القفار ملساء أي جرداء لا شيء على سطحها من شجر أو نبات . وقالوا (فلاة إمليس وبيد أماليس) أي ليس فيها نبات .

والمعنى أن تلك الحلل والمنازل التي كانت تسكنها الأكاسرة هي ذات شأن وخطورة بالرغم من اندراسها وعفاء أثرها وليست كتلك الأطلال المنقطعة في القفار الجرداء والتي يولع بذكرها شعراء العرب وينسبونها الى سعدى ويكثرون من وصفها والتغني بها : فشتان بين هذه الحلل ذات الروعة والهيبة والجمال . وتلك الحلل حلل سعدى ولبنى والرباب التي ليس فيها من آثار الجمال سوى بعر الظباء . وأوتاد الخيام . وأثافي المواقد . وكأن البحتري يتكلم بلسان الشعوبية الذي لهج به أبو نواس مذ قال :

(عاج الشقي على رسم يسائله   وعجت أسأل عن خمارة البلد)
(يبكي على طلل الماضين من أسد   لا در درك قل لي من بنو أسد ؟؟)

* * *

(ومساعٍ لولا المحاباةُ مني   لم تُطِقْها مَسْعاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ)

(مساع) جمع مسعى ومسعاة بمعنى السعي لكنّ المسعاة والمسعى السعي الشريف في عمل المكارم · كما أن السعاية على العكس إذ يُراد بها النميمة والوشاية · وأراد بالمساعي هنا مساعي الأكاسرة وأعمالهم الجليلة التي نشاهد آثارها في بناء الإيوان ·

إن البناء اذا تعاظم قدرُه   أضحى يدل على مَقام الباني

و (المحاباة) المسامحة والتساهل في الأمر وعدم التشدّد فيه · و (عنس) اسم قبيلة مشهورة في اليمن و (عبس) قبيلة أخرى أشهر منها في الحجاز ·

كأن البحتريّ أدرك أنه في بيته الأول (حال لم تكن كأطلال سعدى) كاد يزلق الى الشعوبية · ويخون أمته العربية · لذلك عاد فتماسك في البيت الثاني وقال (ومساعٍ لولا المحاباة مني الخ) يريد أن من تأمل في إيوان كسرى آنسَ فيه مساعيَ فارسية مجيدة · ثم قال ولولا التساهل مني والتسامح لقلت إن قبائل قومي العرب كعنسٍ وعبس لا تُطيق أمثال تلك المساعي والأعمال أي إن للفرس أعمالاً مجيدة أكادُ أقول إن العرب لا يُطيقونها ، لكني لا أقول ذلك محاباةً لقومي · وميلاً اليهم · وإبقاء على كرامتهم · ففي البيت إيجاز يكاد يخلّ بالمعنى تقديره أو تقويمه أن يقال هكذا : وللفرس مساعٍ لولا حبّي لقومي لكنت قلتُ إنه لم تُطقها مَسعاةُ قبائلهم لكنني لا أقول ذلك محاباةً لقومي ·

على أن البحتري اذا لم يقل ذلك صراحةً فقد قاله ضمناً أو تعريضاً بحيث يوقع في نفس السامع أن الفرس يأتون من أعمال المجد بما لا تطيقه العرب : ففي البيت رائحة خبيثة من الشعوبية ، إلا أن يكون المعنى هكذا (للفرس مساعٍ لولا محاباتي لهم أي للفرس لقلتُ إن قومي العرب لا يطيقونها لكن محاباتي للفرس جملتني أقولَ إنهم يطيقونها) وليس حَلّ المعنى على هذا الشكل بصحيح

لأنه صرح بالنفي مذ قال لم تطقها مَسَّاة عنس وعبس فالمعنى الأول هو الصواب ولعل البحتري تأثم من تهمة الشعوبية فاضطرب ولم يعرف كيف يقول .

(نقلَ الدهرُ عهدَهن عن الجِـــدَّةِ حتى غدون أنضاءَ لُبس)

ضمير عهدهن يرجع الى الحِلَل) و (الأنضاء) جمع نِضو بكسر أوله وهو كما يُستعمل في معنى المزيل من الحيوان يستعمل في معنى الدريس البالي من الثياب وقد أجراه هنا وصفاً للحِلل أي منازل ايوان كسرى و (لُبس) بضم اللام مصدر لَبِس الثوبَ . والمعنى أن الدهر نقل عهد منازل الإيوان وغيرها عن حالة الجدّة حتى أصبحت مندرسة بالية بِلى الثياب التي لُبست كثيراً .

(فكأنَّ الجرمازَ من عَدَم الأُنـــس وإخلاقِهِ بَنِيَّةُ رَمْس)

(الجرماز) اسم قسم خاص أو جناح خاص من الإيوان كما مر ، وقالوا في تعريفه إنه بناء عظيم كان عند (أبيض المدائن) ثم درس أثره . وقوله (عدم الأُنس) بضم الهمزة ضد الوحشة كأنه قال من الوحشة ، أو هو بكسر الهمزة بمعنى الناس وبمعنى الأنيس : وقوله و (إخلاقه) مصدر أخلق اذا بَلِيَ وهو معطوف على عدم الأُنس وضميره يرجع الى الجرماز . والإخلاق أصله للثوب لكنه استعمله في بِلَى المكان وكثيراً ما استعملوا ألفاظ هذا في هذا . و (بَنِيَّة) فعيلة من بنى يبني أي مبنية . و (الرَّمْس) القبر غير المنشرف وهو المستوي مع وجه الأرض . يقول ان قصر (الجرماز) أصبح لوحشته أو لعدم وجود الأنيس فيه ولإخلاقه وذهاب آثاره كالرمس الذي بُني على مساواة سطح الأرض ، فما زالت تطؤه الأقدام ، وتتعاوره الرياح حتى اندرس وعفا أثره .

(لو تراه علمتَ أنَّ الليالي جَعَلَتْ فيه مأتماً بعد عُرْسِ)

أي انك اذا نظرت الى الجرماز خُيِّل اليك أنه كان عُرساً اجتمعت

فيه النساء يلهون ويرقصن ويغنين فحولتــه صروف الليالي الى مكان اجتمعت فيه النساء يبكين ويندبن وينحن على الموتى من ساكنيه . ولو قيل (فيه مأتماً) مكان منه مأتماً لكان حسناً .

(وهو يُنبيك عن عجائب قومٍ لا يُشاب البيانُ فيهم بلَبْس)

(اللَّبْس) بفتح اللام بمعنى الالتباس والاشتباه يقول إن الجرماز يُخبرك بعجائب من أمر هؤلاء القوم الذين بَنَوْه وأقاموا فيه . وبيان الجرماز (أي لسان حاله) وإفصاحه عنهم لا تشوبه شائبةُ التباس فيهم وفي ما وصفهم به من العَظَمة ورفعة الشأن وقوة السلطان : أو المعنى أن الجرماز يُخبرك بعجائب قوم لهم ـ بمجرد النظر الى آثارهم ـ بيانٌ وإفصاح عن أمرهم وعما كان لهم من العظمة ورفعة الشأن بحيث أن بيانهم عن أنفسهم هذا لا يشوبه التباس ولا اشتباه في صدقه ومطابقته للواقع .

(يتبع) المغربي

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ١ -

(المدخل)

إن السنة والشيعة هما أكبر مظهر للمسلمين اليوم ، وإنْ بلغ أهلُ السنة أضعافَ الشيعة عَددا ، وإن أضر شيء في الأمة الواحدة هو العصبية الموروثة والتفرق الذميم ، « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شِيَعًا لست منهم في شيء » .

وقد كان ينبغي على كل مَن يدّعي الحب والولاء للإمام عليّ (عليه السلام) أن يأخذ بأدبه وهَدْيه ، ويقف من محاربيه عند حدود أمره ونهيه ، وها هي ذي أقواله وأعماله في « نهج البلاغة » وغيره .

لقد بايع علي للأئمة الثلاثة من قبله ، وتنازل ولده الحسن عن الخلافة لمعاوية من بعده ، وأصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، طبقًا لما أخبر به جدّه الصادق الأمين ، عليه وآله الصلاة والتسليم . في (نهج البلاغة) أنّ عليًا سُئل عن الخوارج : أكفار هم ؟ قال : من الكفر فرّوا ! قيل أفمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلاّ قليلاً ، ولا يأتون الصلاة إلاّ وهم كُسالى ، قيل فما هم ؟ قال : قوم بغَوا علينا فقاتلونا وقاتلناهم . وفي (نهج البلاغة) أيضًا أنه قال ـ وقد سمع قومًا من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين ـ : إني لأكره أن تكونوا سبّابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر .

قلت : ومعلوم من حال أهل السنة أنهم يقصون ما جرى بين الصحابة (رضي الله عنهم) ويصفون أعمالهم ، ويذكرون حالهم ، ولكنهم يؤولون التشاجر بينهم تأدباً معهم واحتراماً لصحبتهم ، وحفظاً لكرامتهم ، ولحسن بلائهم في نشر الدعوة الإسلامية . على أنه قد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفّين ، وحسابنا وحسابهم على ربّ العالمين :

وليس بضائري ما قد أتوه إذا ما الله أصلح ما لديّه

وقد كنت قرأت كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد (م ٤١٣ هـ) ومعه شرح عقائد شيخه ابن بابويه القمّي المعروف بالصدوق (م ٣٨١ هـ) فرأيت فيها بعض ما في غيرهما ـ كالكافي والتهذيب والوافي ـ من الأحكام الصادرة : باللعن والتكفير والتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار !! قلت : لا شكّ أنّ هذه الكتب تورث قراءها وَغَراً وحقداً ، وعداءً وبغضاً ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنصّ القرآن ، ولم نر انتقاداً ولا اعتراضاً على الكتابين الأوّلين ممن صححوهما ، وهم ثلة من أشهر مجتهدي الشيعة في عصرنا . بل رأينا حركة الطبع والنشر قد قويت في العراق وإيران والشام ، وصدرت منها كتب كثيرة ، في هذه الأعوام الأخيرة ، وكلها ردود على السنّيين ، وزراية على أهل المفاخر والمآثر في الإسلام ، وهي لا تعدو أمّهات المسائل التاريخية التي وقعت في الصّدر الأول والأحداث التي تلتها .

ولمّا كانت هذه الوقائع قد أحاط بها خُبرا شيخ الشيعة الإمامية في عصره ابن المطهر الحلي (م ٧٢٦) في مؤلّفه الذي سمّاه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) وأجابه عنها واحدة فواحدة إمام السنة أحمد بن تيمية (م ٧٢٨) في

ردّه (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقَدرية) في أربعة أجزاء ، جاء الحافظ الذهبي (م ٧٤٨) واختصره بكتاب سماه (المنتقى) وقد حققه وعلق حواشيه ووقف على طبعه الكاتب الكبير السيد محب الدين الخطيب ، (طبع سنة ١٣٧٤ هـ) . وقد أهديت منه نسخ الى المجمع العلمي بدمشق ولبعض الفضلاء ، والمهدي هو الأستاذ السلفيّ الشهير الشيخ محمد نصيف عين أعيان الحجاز ، كما أهدي الى المجمع العلمي وبعض أعضائه من كتب الشيعة أيضاً ، ومنهم كاتب هذه السطور ، وقد وصفنا بعضها في باب «التعريف والنقد» من مجلة المجمع .

ونصف الآن كتاب (المنتقى) الذي يقع في مجلد ضخم يقرب من ستمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وهو يشتمل على فصول كثيرة في إمامة الخلفاء الراشدين ، وما ظهر على أيديهم من الخير العظيم . ومجمل القول : إنّ ابن المطهّر ينفي الخصائص ويثبت النقائص ، للخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ويتعقبه ابن تيمية فيثبت العكس ، وهما إماما السنة والشيعة في عصرهما ، وقد كتب من جاء بعدهما في موضوع الإمامة الكبرى ، ولكن الحملة قد اشتدت في هذا الزمن العصيب على السنيين ، وان اختلفت كتب الشيعة وردودهم في الأسلوب قوة وضعفاً ، وقسوة ولينا .

ولمّا كانت مجلة مجمعنا العلميّ تعنى بنشر حقائق التاريخ ، مصفّاة من الشوائب ، بعيدة عن عصبية المذاهب ، مسجلة ما يجب تسجيله من الوقائع والحوادث ، لا سيما ما كان بأقلام الأعلام ـ رأينا أن نثبت فيها شذرات من هذا الحوار ، موردة بغاية الاختصار ، مغنية عن قراءة هذه الكتب التي ظهرت وستظهر في أمر الخلافة العظمى ، وما جرى بين الصحابة الكرام في شأنها ، وقد افتتن الناس بها ، وتمادّوا من أجلها هذه القرون الطويلة ، ولكن أجوبة الإمام

ابن تيمية التي أوجزناها وأجملناها هنا بالكلام الوجيز كما ستراها ـ جواباً من كل سني ، وجعلنا كل ما نقلناه عن الأستاذ (الخطيب) بين قوسين . ونبدأ القول بايراد فصل عقده كتاب (المنتقى) في تقديم الخلفاء الأربعة بترتيبهم الزمني ، سلك فيه الإمام ابن تيمية طريقة المعقول ، الموافقة لصريح المنقول قال(١) (رحمه الله تعالى) :

(فصل) وهنا طريق يمكن سلوكها لمن له معرفة بالأخبار ، فإن كثيراً من العلماء يتعذر عليهم التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد ، وإنما ينهض بذلك جهابذة الحفاظ : نقدّر أن الأخبار المتنازع فيها لم تكن ، فنرجع الى ما هو معلوم بالتواتر ، أو بالعقل والعادات ، أو ما دلت عليه النصوص المتفق عليها فنقول : من المتواتر أن أبا بكر لم يطلب الخلافة برغبة ولا برهبة ، فلا بذل فيها مالا ، ولا شهر عليها سيفا ، ولا كانت له عشيرة ضخمة ولا عدد من الموالي تقوم بنصره كما جرت عادة طلاب الملك ، بل ولا قال : بايعوني ، وانما أشار ببيعة عمر أو ببيعة أبي عبيدة ، ثم من تخلّف عن مبايعته لم يؤذه ولا أكرهه عليها كسعد بن عبادة . ثم الذين بايعوه طائعين ، هم الذين بايعوا رسول الله (ﷺ) تحت الشجرة ، الذين رضي الله عنهم ، فقاتل بهم المرتدّين ، وفارس والروم ، وثبّت بهم الإسلام وأهله ، ولا أكل منها ولا لبس إلاّ كعادته وعيشه ، فلما جاءه اليقين ، خرج منها أزهد مما دخل فيها ، ولم يستأثر فيها بشيء عنهم ، ولا آثر بها قرابته ، بل نظر الى أفضلهم في نفسه فولاّه عليهم (وهو عمر رضي الله عنه) فأطاعوه كلهم ففتح الأمصار ، وقهر الكفّار ، وأذلّ أهل النفاق ، وبسط العدل ، ووضع الديوان والعطاء ، لازماً لعيش من قبله في مأكله ومشربه وملبسه ، حتى خرج منها شهيداً لم يتلوث لهم بمال ،

(١) (ص ٤٨٢) من المنتقى .

ولا ولّى أحداً من أقاربه ولاية ، هذا أمر يعرفه من يعرف وينصف . ثم بايعوا عثمان كلهم طوعاً منهم ، فسار ، وبنى على أمر قد استقر قبله ، بسكينة وحلم ، وهدى ورحمة ، وكرم ولين ، لكن لم تكن فيه قوة عمر ، ولا سياسته التي بهرت العقول ، ولا كمال عدله الذي ملأ الوجود ، ولا فرط زهده الذي ما ينكره إلا جاهل . فطمع فيه الناس بعض الطمع ، وتوسّعوا في الدنيا ، وكثرت عليهم الأموال ، ودخل ـ بسبب توليته أقاربه ـ عليه الداخل ، وأنكرت منه أمور ما اعتادها الناس قبله ، وتولّد من رغبة بعض الناس في الدنيا ـ وضعف خوفهم من الله تعالى ، ومنه ومن ضعفه هو ، بالنسبة إلى كمال الذين قبله ، ومما حصل من أقاربه في الولاية والمال ، ـ ما استحكم به الشرّ ، وحرك الفتنة ، حتى قتل مظلوماً ، وذبحوه صبراً .

فتولى علي رضي الله عنه والفتنة قائمة ، واتهم بالتخلي عن عثمان حتى قُتل ، وبعضهم اتهمه بدمه ، والله يعلم براءته من دمه : ثبت عنه أنه لم يرض بقتله ولا أعان عليه ، فلم تصفُ قلوب كثير منهم ، ولا أمكنه هو قهرهم حتى يطيعوه ، ولا اقتضى رأيه الكفّ عن القتال حتى ينظر ما يؤول إليه أمره كما أشار عليه ولده الحسن .

فظنّ أن الطاعة تحصل ، والأمة تجتمع بالقتال ، فما زاد الأمر إلا شدة وافتراقاً ، حتى خرج عليه من جنده ألوف ومرقوا ، وكفّروه وقاتلوه قاتلهم الله ، حتى كان في آخر أمره يطلب هو الكفّ عن قتال من لم يطعه ، فكان آخر الخلفاء الراشدين الذين ولايتهم خلافة النبوة .

ثم آل الأمر الى معاوية أول الملوك كما قال عليه الصلاة والسلام « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً » وسيرة معاوية من أجود سير الملوك بالنسبة » اهـ .

هذه فلسفة عقلية للامام ابن تيمية في شأن الخلافة الإسلامية ، وتولية الخلفاء الراشدين الأربعة ، وقد جاءت طبيعية كما ترى . ومن هنا نبتدئ بذكر نماذج من الحوار الذي دار بين ابن المطهر وابن تيمية ، جاعلاً إياه على طريق السؤال والجواب ، مجرداً عن التنابز بالألقاب ، لتتجلى شمس الحقيقة للناظرين ، لا يغشاها حجاب ولا سحاب ، ونرمز للأول بحرف الميم ، وللثاني بحرف التاء .

(ابن المطهر) : «إن مذهب الإمامية واجب الاتباع ... أخذوا دينهم عن المعصومين ، وغيرهم اختلفوا ، وتعددت آراؤهم وأهواؤهم ، فمنهم من طلب الأمر لنفسه بغير حق ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا» .

(ابن تيمية) : هذا الصنف هو أشرف الأمة ، وقد قال سبحانه في شأنهم : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» الآية . فوعدهم الاستخلاف ، وأخبر برضاه عنهم ، وبأنهم متقون ، وبأنه أنزل السكينة عليهم . وهذه النعوت منطبقة على الصحابة الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، فانه إذ ذاك الزمان حصل لهم الاستخلاف ، وتمكين الدين والأمن بعد الخوف ، الى أن قهروا فارس والروم ، وافتتحوا الشام والعراق ، ومصر والمغرب وخراسان وأذربيجان وغير ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئاً ، بل طمع فيهم الروم وغيرهم .. وأريقت الدماء ، فأين ما بعد قتله مما قبله ؟؟

(م) فاذا قلت : إن أبا بكر ومبايعيه طلبوا الدنيا والرياسة .

(ت) (فالجواب أن أبا بكر) : بويع باختيارهم بلا سيف ولا عصا ، واستوسق له الأمر فلم يولِّ أحداً من أقاربه ، ولا خلّف لورثته مالا ، وأنفق مالاً كثيراً في سبيل الله ، وأوصى الى بيت مالهم ما كان عنده ، حتى قيل : يرحمك الله أبا بكر لقد أتعبت الأمراء بعدك ، وما قتل مسلم على إمارته ، بل قاتل بالمسلمين المرتدين والكفار ، فلما احتضر استخلف على الأمة القوي

الأمين العبقري (عمر) لا لقرابة ولا لنسابة ولا لدنيا ، بل اجتهد للمسلمين ، فحمدت فراسته وشكر نظره ، بالذي افتتح الأمصار ، ونصب الديوان وملأ بيت المال ، وعمّ الناس بالعدل ، مع ملازمته لهدي صاحبه وخشونة عيشه ، وعدم توليته أقاربه ، ثم ختم الله له بالشهادة» .

(م) نقلك عن أهل السنة : أن العبد لا تأثير له في الكفر والمعاصي :

(ت) نقل باطل ، بل جمهور من أثبت القدَر يقول : إن العبد فاعل لفعله حقيقة ، وان له قدرة واستطاعة ، ولا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ، بل يقرّون بما دلّ عليه الشرع والعقل من أن الله يخلق السحاب بالرياح ، وينزل الماء بالسحاب ، وينبت النبات بالماء ، والله خالق السبب والمسبب .

(القول الثاني) ان الظلم مقدور لله منزه عنه كتعذيب الإنسان بذنب غيره ، كما قال تعالى : «ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضماً» وهؤلاء يقولون : الفرق بين تعذيب الإنسان على فعله الاختياري وغير فعله الاختياري مستقرّ في فِطَر العقول ، ويقولون : الاحتجاج بالقدَر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فان الظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدَر أيضاً فالاحتجاج على فعل المعاصي بالقدر باطل باتفاق الملل والعقلاء ، وانما يحتج به مَن اتبع هواه كما قيل : أنت عند الطاعة قدَريّ وعند المعصية جبريّ ، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ، ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يكن أن يلوم أحدٌ أحداً ، ولا أن يعاقب أحد أحداً .

(م) وذهب مَن عدا الإمامية والإسماعيلية الى أن الأنبياء والأئمة غير معصومين ، فجوّزوا بعثة من يجوز عليه الكذب والسهو والسرقة» .

(ت) ما ذكرته عن الجمهور في تجويز ذلك على الأنبياء (باطل) فانهم متفقون على عصمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ الرسالة ، وطاعتهم واجبة

إلاّ عند الخوارج ، والجمهور يجوزون عليهم الصغائر وانهم لا يُقرّون عليها . وأمّا عصمة الأئمة فنعم كما قال ، لم يقل بها إلاّ من ذكر ، وناهيك بقول عريّ عن الحجة ، قالوا : إن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف ، قلنا : فهذا النائب المنتظر المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف سواء كان ميتاً كما تقول ، أو حياً كما تزعمه الإمامية .. ثم لم يحصل بعده أحد من الاثني عشر له سلطان إلا علي كرم الله وجهه . ومن المعلوم بالضرورة أن حال اللطف والمصلحة التي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم مما كان في زمانه من الفرقة والفتنة والقتال ، والله قد أمرنا بالرد عند التنازع الى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول لوجّه الرد اليه .

(م) وهم يرون القول بالقياس والرأي ، فأدخلوا في دين الله ما ليس منه ، وحرّفوا أحكام الشريعة ، وأحدثوا مذاهب أربعة لم تكن في زمن النبي (ﷺ) وأهملوا أقاويل الصحابة .

(ت) فالجواب أن هذا وارد عليكم ، فالزيدية تقول بالقياس ، ثم قوله : «أدخلوا في دين الله ما ليس منه» فهذا ليس في طائفة أكثر (من الإمامية) ... حيث قالوا «مرج البحرين» علي وفاطمة «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الحسن والحسين «في امام مبين» علي «وآل عمران على العالمين» آل أبي طالب وسموا أبا طالب عمران ، «والشجرة الملعونة» بني أمية «أن تذبحوا بقرة» عائشة «لئن أشركت ليحبطن عملك» لئن أشركت بين أبي بكر وعمر ، ونحو ذلك مما وجدته في كتبهم ، ومن ثمّ دخلت الإسماعيلية في تأويلات الواجبات والمحرّمات .

(م) وأحدثوا مذاهب أربعة ، وأهملوا أقاويل الصحابة !

(ت) متى كانت مخالفة الصحابة منكراً عندكم ؟ ومن الذي يخالف إجماع الصحابة نحن أو انتم ؟ ومن الذي كفّرهم وضلّلهم ؟ ... انه لم يكن في

العترة النبوية ـ بني هاشم ـ على عهد رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) من يقول بامامة اثني عشر ، ولا بعصمة أحد بعد النبي (ﷺ) ولا بكفر الخلفاء الثلاثة ، بل ولا من يطعن في إمامتهم . وأما المذاهب فان الأربعة لم يكونوا في وقت واحد . ولا كان فيهم من يقلد الآخر ، ولا من أمرَ الناس باتباعه ، بل كان كل منهم يدعو الى متابعة الكتاب والسنة ، ويردّ على صاحبه ، وان قلت ان الناس اتبعوا الأربعة فهذا أمر اتفاقي .. والأربعة لم يخترعوا علماً لم يكن .. ثم لم يقل أهل السنة إن إجماع الأربعة حجة معصومة ، ولا أن الحق منحصر في قولهم ، وأن ما خرج عنه باطل .... ولا شك أن القياس فيه فاسد ، وليس يوجب بطلان جميعه ، كما أن وجود الموضوعات في المرويات لا يوجب بطلان جميع الحديث .

(لشيخ الإسلام رسالة في بيان القياس الصحيح والقياس الفاسد ، ولتلميذه الإمام شمس الدين بن القيم تحقيق واسع في ذلك ، وسبق لنا جمعها في كتاب عنوانه « القياس في الشرع الإسلامي » (الخطيب)

(م) ثم ذكر (أي ابن المطهر) حديث ابن عمر : « يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي ... الحديث » .

(ت) قلنا : ذا حجة عليكم ، فان لفظه « يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي » يعني اسمه (محمد بن عبد الله) لا (محمد بن الحسن) . ثم قد رُوي عن علي (رضي الله عنه) أنه من ذرية الحسن ، لا الحسين .

(م) فهؤلاء الأئمة المعصومون الذين بلغوا الغاية في الكمال .

(ت) إن دعوى العصمة في هؤلاء لم يذكر عليها حجة إلا ما ادعاه من أنه يجب على الله أن يجعل للناس إماماً معصوماً ، ليكون لطفاً ومصلحة في التكليف . وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا ـ أي اللطف والمصلحة ـ

مفقود لا موجود ، فانه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ، ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلاّ المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ، ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف ، لكان هذا دليلاً على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك ؟

(م) لم يتخذوا ما اتخذ غيرهم من الأئمة المشتغلين بالملك والمعاصي .

(ت) كلام باطل ، فان علماء أهل السنة المعروفين بالعلم عند أهل السنة متفقون على أنه لا يُقتدى بأحد في معصية الله ، ولا يتخذ إماماً في ذلك ، وان أراد أن أهل السنة يستعينون بهؤلاء الملوك فيما يحتاج اليه في طاعة الله ، ويعاونونهم على ما يفعلون من طاعة الله ، فيقال له : ان كان اتخاذهم أئمة بهذا الاعتبار محذوراً ، (فالإمامية) أدخل منهم في ذلك [والنصير الطوسي شيخ المؤلف مثل واضح على استعانة علمائهم بالملوك الكفار والفجار . وإعانتهم والعمل في خدمتهم . وهو المسئول مع عدو الله ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد ، عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هلاكو في أمة محمد (ﷺ) سنة ٦٥٥ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد بخيانة ابن العلقمي ومستشاره ، وتحريض هذا الفيلسوف) .

(م) ومنع أبو بكر فاطمة إرثها ، والتجأ الى رواية انفرد بها ، وكان هو الغريم لها ، لأن الصدقة تحل له ؟ لأن النبي (ﷺ) قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » على ما رووه عنه .

(ت) بل رواه ـ أي هذا الحديث ـ عن النبي (ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن بن عوف والعباس ، وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

وقوله : كان الغريم لها : إن أبا بكر لم يدع التركة لنفسه ، وإنما هي صدقة

لمستحقها . وأيضاً فتيقن الصحابة ، وأولهم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) لا يورث ، ولهذا لما ولي علي الخلافة لم يقسم تركة النبي (ﷺ) ولا غيرها عن مصرفها ، وعموم آية الميراث قد خص منه هذا ، وانه لا يرث الكافر ، ولا القاتل عمداً ، ولا العبد وغير ذلك . ثم إن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) قد أعطيا علياً وبنيه (رضي الله عنهم) من المال أضعاف ما خلفه النبي (ﷺ) . وما خلفه النبي (ﷺ) فقد سلمه عمر الى علي والعباس (رضي الله عنهم) يليانه ويعملان فيه ما كان النبي (ﷺ) يفعله ، وهذا مما ينفي التهمة عن أبي بكر وعمر .

[لو كان إرثنا لما كان منحصراً بفاطمة ، بل هو إرث زوجاته أمهات المؤمنين أيضاً ، فالذي وقع لفاطمة من أمر الإرث المزعوم وقع مثله لعائشة وحفصة وسائر أمهات المؤمنين ، ووقع مثله لعمه العباس . . . ومع ذلك فان ريع فدك وخمس خيبر أبيح لآل البيت يأكلون منه حاجتهم ، كما كانت الحال في حياته (ﷺ) والباقي صرف حيث كان يصرف النبي (ﷺ) ما زاد عن حاجته منه] .

(م) وأجمعوا على قتل عثمان !

(ت) إن الجمهور لم يأمروا بقتله ، ولا رضوه ، ولم يكن أكثر المسلمين بالمدينة ، بل كانوا بالأمصار ـ من بلد المغرب الى خراسان ، ـ ولم يدخل خيار المسلمين في ذلك ، وانما قتله طائفة من المفسدين في الأرض ، من أوباش القبائل ورؤوس الشر . وعن علي قال : اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل ، غاية ما يقال : انهم لم ينصروه ، وفتروا عن إعانته بما رأوه ، وما ظنوا أن الأمر يبلغ الى قتله .

ومن المعلوم أن المسلمين أجمعوا على بيعة عثمان ، وما أجمعوا على قتله ، فهلا كان الإجماع على بيعته حقا لتيقن الإجماع عليها ؟؟ . . . إن عثمان من

أعيان السابقين الأولين من المهاجرين ، من طبقة عليّ وطلحة والزبير ، وهو خليفة للمسلمين أجمعوا على بيعته ، بل لم يشهر في الأمة سيفا ولا قتل على ولايته أحدا [ولما جاء البغاة المدينة للبغي عليه ، كانت جيوش عثمان ، ورجال الكفاح من الصحابة كلهم في ميادين القتال في الغرب والشرق الى أعمال آسيا التي يحكمها السوفييت الروسيون الآن(١)] .

(م) ان النبي (ﷺ) لعن معاوية الطليق ابن الطليق ، وقال : إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه .

(ت) هذا الحديث ليس في شيء من كتب الاسلام ، وهو عند الحفاظ كذب ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . [وقد رآه الحسين وغيره من الصحابة على المنبر النبوي ، وصلّوا كلهم وراءه ، لأنه كان إمامهم ، وخليفة رسول الله فيهم] . وأما قولك الطليق ابن الطليق ، فما هذا بصفة ذم ، فإن الطلقاء غالبهم حسُن إسلامهم ، كالحارث بن هشام ، وابن أخيه عكرمة ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وأمثالهم ، وكانوا من خيار المسلمين . ومعاوية ممن حسن إسلامه ، وولاه عمر بعد أخيه يزيد ، ولم يكن عمر والله ممن يحابي ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ؛

ثم إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة ؛ ورعيته يحبونه لإحسانه وحسن سياسته وتأليفه لقلوبهم .

---

(١) دخل الروس على أيدي الصحابة الكرام في دين الله أفواجا . وقد لبّى مجمعنا العلمي دعوة المجمع الموسكوي سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٤ م . واجتمعت أنا هناك بإخواني المسلمين ، وصليت الجمعة في جوامع موسكو وطاشقند ، وزرنا قثم ابن العباس (رضي الله عنهما) في سمرقند وشاهدنا جامع لينين گراد الذي بنوه بعد الانقلاب الأخير في عاصمة الروس القديمة « ويأبى الله إلا أن يتم نوره » .
(محمد بهجة البيطار) ..

(م) وقاتل عليا وعلي عندهم رابع الخلفاء ، إمام حق ، وكل مَنْ قاتل إمام حق ، فهو باغ ظالم .

(ت) قلنا نعم ، والباغي قد يكون متأولاً معتقداً أنه على حق ، وقد يكون بغيه مركبا من تأويل وشهوة وشبهة ، وهو الغالب ، وعلى كل تقدير فهذا لا يرد ، وإنا لا ننزه هذا الرجل ولا من هو أفضل منه عن الذنوب ، والحكاية مشهورة عن المسور بن مخرمة أنه خلا بمعاوية ، فطلب منه معاوية أن يخبره بما ينقمه عليه ، فذكر المسور أمورا ، فقال (أي معاوية) يا مسور ألك سيئات ؟ قال نعم . قال : أترجو أن يغفرها الله ؟ قال نعم ، قال : فما جعلك أرجى لرحمة الله مني ؟ وإني مع ذلك والله - ما خيِّرت بين الله وبين سواه إلاّ اخترت الله على ما سواه ، ووالله لَما أليه من الجهاد ، وإقامة الحدود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أفضل من عملك ، وأنا على دين يقبل الله من أهله الحسنات ، ويتجاوز لهم عن السيئات » .

ثم أهل السنة تقول : الإمام الحق ليس معصوماً ، ولا يجب على الإنسان أن يقاتل معه كل من خرج عن طاعته . ولا أن يطيعه الإنسان فيما يعلم أنه معصية ، وأنْ يتركه أولى ، وعلى هذا ترك جماعة من الصحابة القتال مع علي لأهل الشام .

(م) إن معاوية قتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة .

(ت) الذين قُتلوا من الطائفتين ، قتل هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء . وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون عليّا ولا معاوية . وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكفّ الدماء من أكثر المقتتلين ، لكن غُلبا فيما وقع . والفتنةُ اذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها .

(م) وتمادى بعضهم في التعصب حتى اعتقد إمامة يزيد ، مع ما صدر عنه من قتل الحسين ، وسبي نسائه في البلاد على الجمال بغير قتب ، وزين العابدين مغلول» .

(ت) أما يزيد فلم يأمر بقتل الحسين ، باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب الى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق ، ولما أراد الحسين (رضي الله عنه) أن يخرج الى أهل العراق - لما كاتبوه كتباً كثيرة - أشار عليه أفاضل أهل العلم والدين كابن عمر ، وابن عباس أن لا يخرج ، وغلب على ظنهم أنه يقتل ، حتى ان بعضهم قال : أستودعك الله من قتيل ، وقال بعضهم : لولا الشناعة لأمسكتك ، ومنعتك من الخروج . وهم بذلك قاصدون نصيحته ، طالبون لمصلحته ومصلحة المسلمين ، فتبين أن الأمر على ما قاله أولئك ، إذ لم يكن في الخروج مصلحة ، لا في دين ولا في دنيا ، بل تمكن أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله (ﷺ) حتى قتلوه مظلوماً شهيداً . (ثم) إن عنيت باعتقاد إمامة يزيد أنه كان ملك وقته ، وصاحب السيف كأمثاله من المروانية والعباسية ، فهذا أمر متيقن ، وحكم يزيد على حوزة الاسلام سوى مكة ، فانه غلب عليها ابن الزبير ، وامتنع عن بيعة يزيد ، ولم يدعُ إلى نفسه حتى بلغه موت يزيد ، وهذا معنى كونه إماماً ، وخليفة وسلطاناً ، وأما كونه برّاً أو فاجراً ، مطيعاً أو عاصياً ، فذاك أمر آخر ، فأهل السنة اذا اعتقدوا إمامة الواحد من هؤلاء : يزيد أو عبد الملك أو المنصور أو غيرهم ، كان بهذا الاعتبار . وكذلك كونه عادلاً في جميع أموره مطيعاً في جميع أفعاله ليس هذا اعتقاد أحد من المسلمين ، وكذلك وجوب طاعته في كل ما يأمر به ، وان كان معصية لله ليس هو اعتقاد أحد من المسلمين ، ولكن مذهب أهل السنة والجماعة أن هؤلاء يشاركون فيما يُحتاج اليهم فيه من طاعة الله .

وكان قتل الحسين (عليه السلام) مما أوجب الفتن ، كما كان قتل عثمان (رضي الله عنه) مما أوجب الفتن ، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي (ﷺ) من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد

في المعاش والمعاد ، وأنَّ مَن خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد ؛ ولهذا أثنى النبي (ﷺ) على الحسن بقوله : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ولم يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة ، ولا بخروج على أئمة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا بمفارقة الجماعة .

وقد ثبت في البخاري من حديث ابن عمر عن النبيّ (ﷺ) : «أول جيش يغزون القسطنطينية مغفور لهم» فأول من غزا القسطنطينية جيش بعثهم معاوية وعليهم ابنه يزيد ، وفيهم من سادات الصحابة أبو أيوب الأنصاري ، فحاصروها .

(م) وأما قوله (أي ابن المطهر) «السبي والحمل على جمال بلا أقتاب» .

(ت) (فالجواب) : ما استحلّت أمة محمد (ﷺ) سبي هاشمية ، وانما قاتلوا الحسين خوفاً منه ، ومن أن يزيل عنهم الملك . فلما استشهد فرغ الأمر ، وبعث بآله الى المدينة ، ولا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب ، وفاعله والراضي به مستحق للعقاب . لكن ليس قتله بأعظم من قتل أبيه ، وقتل زوج أخته عمر ، وقتل زوج خالته عثمان .

(م) ومنها (أي من فضائل علي كرم الله وجهه) ما رواه أحمد بن حنبل أن أنساً قال لسلمان : سَلِ النبي (ﷺ) مَن وَصيه ؟ فسأله ، فقال : يا سلمان مَن كان وصيّ موسى ؟ قال : يوشع ، قال : فان وصيي ووارثي علي» .

(ت) هذا الحديث موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل . وأحمد قد صنّف كتاباً في فضائل الصحابة ، ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجماعة من الصحابة ، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك .

[نقل المامقاني في كتابهم تنقيح المقال (٢ : ١٨٤) عن محمد بن عمر الكشي ـ رأس علمائهم في الجرح والتعديل ، وأول من فتح لهم باب التأليف فيه ـ ما نصه : « وذكر أهل العلم أنّ عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، ووالى علياً ؛ وكان يقول ـ وهو على يهوديته ـ في يوشع بن نون (وصي موسى) فقال في إسلامه في علي مثل ذلك » فهذا نصّ عنهم صريح صحيح بأن مخترع لقب (الوصي) لعلي هو عدو الله بن سبأ . وما دام خبر أنس عن سلمان مكذوباً من أساسه كما سترى ، فان الخبر اليقين هو الذي نقله المامقاني عن الكشي عن علمائهم أنّ صاحب الحق في هذا الاختراع هو ابن سبأ اليهودي .

وبذلك برّأ الله نبيه من هذه التهمة كما برأ صاحبيه أنساً وسلمان ، بل برأ الله آخر رسالاته من أن توصم بهذا الاحتكار الذي تكون فيه الأمة يتيمة مسلوبة التصرّف ، تحت أوصياء من البشر ، آخرهم لم يلد ولم يولد ، وهي . . من بعدُ تائهة ضائعة راسفة في قيودها بين الأمم ، بينما رسالة الإسلام جاءت لتحرير الإنسانية كلها ، وإطلاق العقول في الأخذ عن ينبوع هذه الهداية العظمى بالغة راشدة ليس عليها قيّم ولا وصي إلاّ هذا الشرع العالي القويم] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٥ —

نشأة « التصريف » وأثر ابن جني رحمه الله فيه :

علم التصريف أو علم الصرف هو صنو علم النحو وأخوه ، وكما أن النحو قد وجد لما أراد العلماء طرد القواعد لضبط أواخر الكلمات ونفي الشواذ ، كذلك وجد علم الصرف لما أراد العلماء ضبط صيغ الاشتقاق وطردها فوضعوا هذه القواعد العامة في الاشتقاق والابدال والاعلال [1] وما الى ذلك .

---

(١) يجب أن نذكر هنا رأي بروكلمان في نشأة هذين العلمين حيث يقول ما ترجمته : أوائل النحو والصرف ستبقى مجهولة الى الأبد لأن أملنا قليل بالعثور على نصوص أقدم من النصوص التي بين أيدينا ؛ فلا يمكننا إذن أن نعرف أي مقدار أخذه النحاة العرب عمن سبقهم من النحاة الأقدمين . يقول الأستاذ Braunlichi براونليكي إن تأثير الأقدمين على النحو العربي لم يبدأ إلا مع سيبويه وإن من كان قبله من العلماء — كالخليل — كانوا عرباً أقحاحاً » ولا يمكننا أيضاً أن نعتبر أن الخليل هو الواضع فقد كان قبله آخرون ؛ أما قصة أبي الأسود فهي الى الخرافة أقرب منها الى أي شيء آخر .

أما التصريف فيقولون إنه نشأ مع معاذ بن مسلم الهرّاء (– ١٨٩ أو ١٩٠) وليس معاذ إلا نحوياً [انظر النزهة : ٦٤ وابن خلكان : ٢/٩٩ والبغية : ٢٩٣] وقول ابن فارس في الصاحبي : ٤٢ . ان علم العربية خال من أي تأثير أجنبي غير صحيح وقد بحث ذلك مفصلاً Bravmann براومان في رسالته عن الحروف والمصادر العربية وقد طبعت في برسلو سنة ١٩٣٤ .

ولئن كان للنحاة أثر عظيم في جمع قواعد العربية وضبطها هذا الجمع والضبط المتينين فإن للصرفيين أثراً أعظم في استنباط هذه القواعد العامة التي يعرف بها كيفية اشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول ، والمصدر الميمي واسم الزمان واسم المكان واسم الآلة واسم التفضيل ... وليس من شك في أن العرب الأقدمين لم ينطقوا بكل مشتقات مادة بعينها ولكن الصرفيين هم الذين أعطونا المفتاح الذي به استطعنا أن نقيس ونشتق هذه الأسماء .

وان هذا الاشتقاق هو الذي وسع موادّ اللغة العربية ، فقد نقل عن الامام سيبويه أن التصريف «هو أن تبنى من الكلمة بناء لم يبنه العربي على وزن ما بنيه ، ثم يعمل في البناء الذي يبنيه ما يقتضيه القياس» [1] . وقال ابن جني : التصريف هو أن تأتي الى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادة حرف أو تحريف بضرب من ضروب التغيير [2] . وهذا التعريفان يبينان لنا بوضوح أثر علم التصريف والصرفيين في توسيع اللغة العربية .

وليس من شك في أن هذا العمل الجليل لا يستطيع القيام به إلاّ عقل قد أوتي جانباً عظيماً من العمق وحب التنظيم وطرد الشواذ وكثرة الاطلاع على آثار العرب وفهم أشعارهم وكلامهم فهماً دقيقاً يكون لصاحبه ملكة الابداع والتصرف فيه .

وقد اجتمعت هذه الشروط في أئمة النحو البصريين الذين كانوا — الى علمهم الواسع بالعربية ولغاتها — على جانب عظيم من الذكاء وحب للجدل والكلام في أصول الدين .

قال أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى : «حينما بدأ الفقه في الكوفة كانت البصرة سبقت الى الكلام في أصول الدين وأصول الفقه وكان مجلس

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ج ١ ص ٩٢١ طبع الاستانة .
(٢) التصريف الملوكي ص ٢ .

الحسن البصري يفيض بالمناقشات الدينية حول العقائد وأصول الدين والفتن التي غشيت المسلمين ، ومن تلك الحلقة نشأ واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من رؤوس المتكلمين ، ولم يكن للكوفة مثل هذا الحظ بل استعاضت عنه بدروس الفقه وتأصيله وتأسيس قواعده وذلك في مدرسة أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر ومحمد وابن أبي ليلي ، ثم أخذت الكوفة في جمع الأشعار وتدوينها وكان حظها من ذلك عظيماً قام به المفضل الضبّي وحماد الراوية وأبو عمرو الشيباني[٢] » في تلك البيئة البصرية الحكيمة نشأ علم النحو كما نشأت فيها أوائل علم التصريف •

وقد كان النحاة الأولون كعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (— ١١٧) وعيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩) وأبي عمرو بن العلاء (— ١٥٤) والخليل بن احمد (— ١٨٠) وسيبويه (— ١٨٣) يمزجون أبحاث النحو بالتصريف كما نجد ذلك في كتاب سيبويه • ويزعم الكوفيون أن أول من بحث في التصريف بحثاً مستقلاً هو إمامهم معاذ بن مسلم الهرّاء (— ١٨٧) وأن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد هجاه لما رآه يبحث في التصريف فقال :

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني من التعجم في تلك الجرائيم

وقد ردّ معاذ بن مسلم على أبي مسلم هذا في أبيات ثلاثة • ويعلق السيوطي على هذه الحكاية بقوله : (ومن هنا لمحت أن أول من وضع التصريف معاذ هذا)[٢] •

---

(١) من محاضرات للأستاذ ابرهيم مصطفى ألقاها في كلية الآداب بالجامعة المصرية عام ٩٣٢ — ٩٣٣ • •

(٢) البغية ص ٣٩٣ •

قلت : ولا شك في أن الأقدمين من البصريين والكوفيين جميعاً كانوا يبحثون في مسائل علم التصريف ، ولكن يظهر أن معاذاً هو أول من أكثر من البحث والتعمق فيه . وأول من ألف فيه من البصريين أبو عثمان بكر بن محمد المازني [١] (— ٢٤٧) كما أن أول من ألف فيه من الكوفيين هو الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الباهلي (— ٢٠٧) . أما الفراء فكان كما يقول الزبيدي في طبقاته : هو أبرع الكوفيين في علمهم وله كتب حسنة في القرآن وغيره . وقال ابن النديم : كان شديد العصبية على سيبويه وكان يتفلسف في تصانيفه [٢] . وله من الكتب في علم التصريف : (المصادر في القرآن) و (الجمع والتثنية في القرآن) ، و (المقصور والممدود) و (أفعل وفعل) و (المذكر والمؤنث) [٣] ، ولم يبق من آثاره هذه إلا كتاب معاني القرآن [٤] ، ويظهر أن رسائله هذه كانت الى البحوث اللغوية أقرب منها الى البحوث الصرفية ولذلك لا ينبغي أن يعتد بها كثيراً في تاريخ نشأة علم التصريف ، وأما المازني ، الذي لم يكن بعد سيبويه أعلم منه بالعربية [٥] ، فقد أبقى لنا كتاباً في التصريف يشهد بسعة علمه وتعمق بحثه ونحن اذا قرأنا هذا الكتاب علمنا أن المازني ، هو إمام الصرفيين غير مدافع [٦] وقد وقع لنا كتابه العظيم بشرح ابن جني وهو من أجل ما ألف في هذا العلم . وكان أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى

---

(١) البغية : ٢٠٢ .

(٢) الفهرست : ١٠٠ وطبقات النحاة للزبيدي مخطوطتنا ص ١٧ رقم الترجمة (٦٤) .

(٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٤ .

(٤) انظر تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/١١٨ .

(٥) بغية الوعاة : ٢٠٢ .

(٦) من الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب من الجامعة المصرية .

يعنى به من زمن حتى أخرجه للناس هذا العام مطبوعاً مع شرح ابن جني جزاه الله خير الجزاء [١].

ومن البصريين الأول الذين لهم أثر في علم التصريف الإمام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن السري الزجاج (— ٣١١) وله كتاب (الاشتقاق) وكتاب (فعلت وأفعلت) [٢]؛ والإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (— ٣٢١) وله كتاب (الاشتقاق) وقد ذكر فيه اشتقاق الأسماء العربية وعمائرها وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها [٣]؛ ومنهم ابن ولاد أبو الحسن محمد بن الوليد التميمي العالم المصري (— ٢٩٨) [٤] ومن آثاره الصرفية كتاب (المقصور والممدود) وهو خير ما كتب في هذا البحث [٥].

وجاء بعد هذه الطبقة الإمامان الجليلان أبو الحسن الرماني وابن جني. وقد تقدم الكلام عن الرماني وإنما نريد هنا أن نشيد بأثره في علم التصريف بالكتاب المفيد الذي شرح به كتاب تصريف المازني المسمى بالألف واللام [٦].

وأما ابن جني فهو كما رأيت البحر العباب الذي برع في التصريف براعة عظيمة، وأنت اذا قرأت كتاب (المنصف) في شرح تصريف المازني أو (سر الصناعة) أو (التصريف الملوكي) وجدت أن الصرفيين بعده لم يزيدوا شيئاً على ما [كتب] في هذا العلم، قال أستاذنا ابرهيم مصطفى: «وتعلمون

(١) نشرته وزارة المعارف المصرية بعناية الأستاذ ابرهيم مصطفى والسيد عبد الله امين في مطبعة البابي الحلبي سنة ١٩٥٤.
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٩٠ — ٩١.
(٣) وقد طبع بعناية بعض المستشرقين في غوتنغن سنة ١٨٥٤.
(٤) انظر أخباره في طبقات الزبيدي مخطوطتنا ص ٢٧ ورقم الترجمة (١٦١) والبغية: ١١٢.
(٥) طبع في مصر سنة ١٩٠٨.
(٦) البغية: ٣٤٤ ومفتاح العلوم ١/١٤٢.

أن ابن جني هو بلا خلاف أفضل من بحث في الصرف . وإذا علمنا أن الصرف بدأ برسالة المازني علمنا أن الصرف هو علم هذين الإمامين ويمكن أن نستشهد على فضل كتاب المازني وشرح ابن جني بما نراه في كتب اللغة قبله كالعين مثلاً من اضطراب ووضع للكلمات في غير مواضعها كما يلاحظ ذلك الزبيدي . . »[(١)]

قلت : ولا يعلم حقيقة أثر ابن جني في التصريف واللغة إلا من اطلع على آثار الصرفيين وأصحاب المعاجم من بعده فانها كلها مطبوعة بطابعه وما نعرف بعد ابن جني عالماً كتب في التصريف وأجاد فيه – على أنه لم يأت بشيء جديد غير ما ذكره ابن جني – إلا الإمامان الكبيران عبد القاهر الجرجاني (– ٤٧٤) واحمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الأمثال (– ٥١٨) ؛ أما الجرجاني فقد ذكر مترجموه أن له كتاباً في التصريف اسمه (العمدة[(٢)]) وأنا وإن لم أر هذا الكتاب ولا أعرف له وجوداً أظن أن الإمام الجرجاني قد استطاع أن يخدم علم التصريف لما عرف عنه من الفكر السليم والبحث الدقيق الذي يتجلى في كتابيه الباقيين (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) . أما الميداني فقد بقي لنا من آثاره رسالة لطيفة اسمها (نزهة الطرف في علم الصرف) وهي رسالة جد حسنة تدل على علم واسع وتنظيم حسن لمباحث علم التصريف ولكن ليس فيها جديد غير ما نجده في كتب ابن جني[(٣)] .

وما أعرف بعد هؤلاء عالماً كتب في التصريف إلا وهو معتمد على كتب ابن جني : مثل عبد الوهاب الزنجاني ، وعز الدين بن ابرهيم بن عبد الوهاب

---

(١) من محاضرات الأستاذ ابرهيم مصطفى عام ٩٣٢ – ٩٣٣ في كلية الآداب المصرية .

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى ١/١٤٣ .

(٣) نشرت مطبعة الجوائب هذا الكتاب سنة ١٢٩٩ مع كتابين آخرين هما انموذج الزمخشري ، واعراب ابن هشام ، انظر بروكلمان ١/٢٨٩ وذيله ١/٥٠٧ .

الزنجاني الذي كان حيّاً في سنة ٦٥٤ [١] فان له كتاباً في الصرف مشهوراً اسمه (العزّى) وهو متأثر كل التأثر بابن جنّي في كتابيه (التصريف الملوكي) و (سر الصناعة) • وقد عظمت شهرة هذا الكتاب وشرحته جماهير كثيرة من العلماء منذ زمن مؤلفه حتى العصر الأخير [٢] ؛ ومثل موفق الدين بن يعيش علي بن يعيش بن محمد بن أبي السرايا الحلبي (— ٦٤٣) وقد أفاد كثيراً من كتب ابن جني وبخاصة في (شرح المفصّل) فقد ملأه نقولاً عنه [٣] ؛ ومثل ابن الحاجب ابي عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر المصري (— ٦٤٦) صاحب (الشافية) في الصرف [٤] وآراؤها على جلالة قدرها صورة مصغرة عن آراء سر الصناعة وهي ممتازة بحسن التبويب والتصنيف • وقد اهتم الناس بها كثيراً فشرحوها ونظموها وترجموها الى التركيـة والفارسية والأوردية ومن أعظم شروحها شهرة شرح احمد بن الحسين فخر الدين الجاربردي (— ٦٤٦) وعليه حواشٍ كثيرة ذكرها بروكلمان في تاريخ الأدب العربي [٥] ؛ وشرح جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري (— ٧٦٣) ؛ وشرح رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (— ٦٨٤) وهو شرح عظيم الفائدة جداً مملوء بالبحوث المفيدة وقد طبع عدة مرات في الهند وبلاد العجم ومصر [٦] • وهناك شروح كثيرة أخرى وحواشٍ وتعليقات ذكرها الحاج خليفة في كشف الظنون [٧] •

(١) انظر كشف الظنون ٢/١١٥ .
(٢) انظر تلك الشروح والحواشي في الكشف ٢/١١٥ .
(٣) انظر مفتاح السعادة ١/١٥٨ .
(٤) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف تأليفنا ص ٢٩٢ .
(٥) انظر بروكلمان G. A. L. : ١/٣٠٣ وذيله ١/٥٣٢ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٢ .
(٦) انظر اخبار الاستراباذي في بغية الوعاة : ٢٤٨ وبروكلمان G. A. L. ١/٣٠٥ وكشف الظنون الطبعة الجديدة ٢/١٠٢١ .
(٧) كشف الظنون ٢/٤٤ .

ومثل العلامة ابن مالك محمد بن عبد الله ، جمال الدين الطائي ، النحوي الدمشقي (— ٦٧٢) وقد كتب في التصريف كتباً خاصة ، وكتباً ممزوجة بالنحو فمن الكتب الخاصة (إيجاز التعريف بعلم التصريف) وقد شرحه ابن اياز النحوي (— ٦٨١)[1] ، و (لامية الأفعال في التصريف) وقد شرحها ولده الإمام النحوي بدر الدين (— ٦٨٦)[2] ومن كتبه الممزوجة (الألفية النحوية) المشهورة ؛ وتمتاز كتب الإمام ابن مالك بحسن عرضه للقواعد واختصارها واختيار الجيد المستقيم منها .

وهناك علماء آخرون بحثوا في التصريف بحثاً ذا قيمة منهم :

الرضي الاستراباذي ، والفخر الجاربردي في شرحهما للشافية ؛ وعلي بن مسعود صاحب المتن المشهور (مراح الأرواح)[3] وهو من الكتب المشهورة التي أضحت لها شهرة كبيرة في العصر العثماني لاهتمام علماء الترك بها اهتماماً كبيراً .

ومنهم الإمامان الجليلان سعد الدين التفتازاني شارح (كتاب العزّي) ، والجلال السيوطي صاحب (الأشباه والنظائر) و (جمع الجوامع) و (الاقتراح) و (المزهر) وفي هذه الكتب النحوية والصرفية كلها نقول مستفيضة عن كتب ابن جني .

ولو رحنا نستقصي نقول السيوطي عن ابن جني لعسر علينا ذلك فانه ربما نقل عشرين صحيفة دفعة واحدة[4] .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣/٣٤١ .

(٢) بروكلمان G. A. L. ١/٣٠٠ والذيل ١/٥٢٦ .

(٣) بغية الوعاة : ١٥١ وكشف الظنون ٢/١٥٤ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ١٩٣ .

(٤) نضرب لك مثالاً بكتابين من كتبه أحدهما المزهر وثانيهما الأشباه والنظائر ففي الجزء ١ من المزهر انظر الصحائف من طبعة بولاق : ٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٦٩ .
وفي الجزء الثاني منه : ١٥ ، ٢٠ ، ٣١ ، ١٨٧ ، ٢١٠ ، ٢٤٨ .
وفي الأشباه والنظائر ج ١ طبعة الهند : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ الخ .
وفي الجزء الثاني : ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ١٢٤ ، ١٤٦ ، ١٧٣
وفي الجزء الثالث : ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٢٠ .
وفي الجزء الرابع : ١٠٩ ، ٢٨١ ، الخ ..

أما بعد فقد رأينا تأثير ابن جني في النحاة والصرفيين وإفادتهم من كتبه، ولا عجب فهو الذي تعمق في هذا العلم فوقف الناسُ بعده عند الحد الذي حدّه .

وهو أول من ابتدع بحث (الاشتقاق الأكبر) في علم الصرف ودلّل عليه وذكر طرفاً من الأمثلة عليه في كتاب الخصائص (١) . وقد ذكر السيوطي ذلك فقال : إنه «مما ابتدعه الامام أبو الفتح بن جني وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة» (٢) .

وقف الصرفيون عند ما كتبه ابن جني ووضحه الرضي الاستراباذي توضيحاً ذا قيمة ثم جاء بعد هذين قوم من الصرفيين بذلوا جهدهم في كتابة الأمثلة والتمرين على القواعد الصرفية ليس غير .

ومن الكتب التي ألفها المتأخرون في هذا الفن (كتاب المقصود) وقد نسبه بعضهم الى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (٣) ، وقد قال العلامة طاش كبري في (مفتاح السعادة) : «ومما اشتهر بديارنا مختصر مسمى بالمقصود لم نقف على اسم مصنفه إلا أنه مبارك مشهور بأيدي الناس وعليه شروح مفيدة عند أبناء الزمان» . وقال الأرزنجاني في شرح أصول البزدوي إن الامام أبا حنيفة صنف ... (المقصود في الصرف) وقيل ليس له بل هو لبعض المعتزلة (٤) . وقال الحاج خليفة : اختلف في مؤلفه فقيل الإمام الأعظم وقيل لغيره وجزم به محمد بن بير علي المعروف ببركلي (– ٩٨١) وعليه شروح كثيرة وله تراجم الى التركية والفارسية ذكرها الحاج خليفة (٥) .

---

(١) انظر ج ١/٤ ، ١٢ ، ٥٢٥ الطبعة الأولى والمزهر ١/١١١ .
(٢) المزهر ١/١٦٤ .
(٣) انظر مفتاح السادة ١/١١٩ وكشف الظنون ٢/٥٠٨ والكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩٣ .
(٤) مفتاح السادة ١,١١٩ .
(٥) كشف الظنون ٢ : ٥٠٨ .

ومن كتب المتأخرين (كتاب البناء) المنسوب لعبد الله الدنقزي [1]، و (كتاب المارونية) لنجم الدين عمر بن المروي [2]، وكتاب (الأمثلة) الذي لا يعرف مؤلفه، و (بداية المبتدي) للشيخ يحيى بن رجب بن علي وقد ألفها سنة ١٠٥٠ [3]، وكتاب (تصريف الافعال) الذي لا يعرف مؤلفه [4]، وكتاب (كفاية المبتدي) لمحمد بن بير علي البركوي (البركلي) [5] وكتاب (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) لمحمد صديق حسن خان [6]، و (شذا العرف) لأحمد الحملاوي [7]، و (عنوان الظرف) لهرون بن عبد الرزاق [8] وغيرهم من المتأخرين .

وكتب المتأخرين هذه تنتظم بحوثاً موجزة في التصريف مأخوذة عن ابن جني مثل التصريف الملوكي، أو عن كتب ابن مالك وابن هشام وليس فيها شيء من الابتكار أو تطوير هذا العلم وتهذيبه، كما نبين ذلك فيما بعد :

ملاحظاتنا على كتب التصريف : تفنن الصرفيون القدماء في هذا العلم وجاءوا فيه بأبحاث طريفة ونكات علمية مفيده تدل على ذوق سليم وملكة رفيعة ضبطت أحكام اللغة ونظمت معاجها وأنقذتها من الفوضى التي كانت قبل أن ينتظم أمر هذا العلم . ولكن شيئاً واحداً كان ينقص هؤلاء التصريفيين ليجيء ما كتبوه كاملاً أو قريباً من الكمال وذلك بمقارنتهم اللغة العربية مع اللغات

(١) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٢) انظر الكشف ٢/٦٤٥ .
(٣) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥١ .
(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٥٢ .
(٥) فهرس دار الكتب المصرية ٢/٦٦ .
(٦) نشرته مطبعة الجوائب ١٢٩٦ .
(٧) نشرته مطبعة بولاق ١٣١٢ .
(٨) نشرته مطبعة بولاق ١٨٨٩ م .

السامية الأخرى فلو أنهم فعلوا ذلك ـ وقد كان في وسعهم أن يفعلوه ولكن عنجهيتهم أبت عليهم أن يتعلموا لغات ميتة أو كالميتة لا قيمة لها في نظرهم ـ أقول : لو أنهم فعلوا ذلك لأتت بحوثهم كاملة . وقد لاحظ هذا الأمر صديقنا وأستاذنا الأستاذ خير الدين الأسدي فقال : « لا مراء في أن نحاتنا برزوا على أمم الأرض طرًّا في التنقير والتثبيت والاستقراء واستيفاء البحوث وحمل الأحكام على الإحكام ، ولئن كانت مهمة شامپليون وماربيت باشا وماسبيرو وأمثالهم في حل طلسم الهيروغليفية عسيرة وعسيرة جداً الأمر الذي جعل كلاً منهم دولة من الذكاء وجبروت هذا الذكاء ، فان مهمة الخليل وسيبويه والكسائي وأمثالهم لا تقل في خطورتها عن مهمة أولئك بل هي أشد خطورة إذا تمثلت معي اضطلاعهم بأعباء لغة ترامت آفاقها وبعد غورها وتشعبت مسالكها والتاثت معالمها ومنيت بأفانين من ضروب الفوضى والاضطراب والامعان في هذه الفوضى وهذا الاضطراب ، بيد أن خطأ نحاتنا كان عظيماً في تنكبهم عن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى فلقد كانوا يتصورون أن اللغة العربية هبطت من خالق مقدرة بمقادير خاصة بها لا تشرك غيرها في شيء كما لا يشركها غيرها في شيء ... » (١) .

ولقد سمعنا من أستاذنا العلامة الجليل ابرهيم مصطفى شيئاً يشبه ذلك في محاضرة له ألقاها عن تاريخ النحو العربي فقال : لو أن ابن جني ، على جلالة قدره ، كان يعرف اللغات السامية ويقارن بينها وبين العربية لما وقع فيما وقع فيه من تخاريج غريبة كقوله في اشتقاق (توراة) إنها فوعلة من وري الزند وأن أصلها وورية وأن الواو الأولى أبدلت تاء وأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة مثل تولج لأنها من الولوج ... » .

هذا ضرب من ضروب الخطأ التي وقع فيها ابن جني . وهناك أمر ثان تعاب عليه كتب ابن جني وسائر الصرفيين من متقدمين ومتأخرين ، وهو فساد التبويب وسوء

(١) رسالة « ليس » للأسدي ص ٧ .

التركيب والذي نراه أن تكون كتب الصرف مؤلفة من فصول ستة على النمط الآتي:

الفصل الأول : في المصطلحات الصرفية وما ينبغي أن يطلع عليه الطالب قبل الولوج في البحث .

الفصل الثاني في أبنية الأفعال وما يعتورها من أحكام الإعلال والإبدال والقلب .

الفصل الثالث : في الأسماء وأبنيتها وما يعتورها من أحكام .

الفصل الرابع : في التغييرات التي تطرأ على الكلمات أثناء إعلالها وإبدالها .

الفصل الخامس : في المقارنات بين اللغة العربية واللغات السامية .

الفصل السادس : في التمرينات .

وإننا لنؤمل خيراً كثيراً من الحركة التي ظهرت مؤخراً في الجامعات السورية والمصرية والعراقية (١) والتي تسعى لإحياء النحو والصرف العربيين إحياء صحيحاً يعتمد على مقارنة اللغة العربية باللغات السامية . هذه النهضة التي كان يضطلع بأعبائها زعيمان من زعماء علماء اللغة العربية ، أولهما عراقي وهو العلامة المغفور له الدكتور عز الدين آل ياسين أستاذ النحو واللغات السامية في كلية الآداب العراقية ، الذي توفاه الله قبل سنة فلم يتمكن من أداء رسالته ، وثانيهما مصري وهو الأستاذ الجليل ابرهيم مصطفى صاحب « إحياء النحو » وعضو المجمع اللغوي المصري وإن كتابه هذا لخطوة مباركة ورشيدة للسير بالعربية وبحوثها سيراً جديداً ، وإننا نرجو أن يصدر الأستاذ ابرهيم مصطفى في القريب كتابه الثاني الخاص بإعراب الفعل ثم يعقب على كتابيه هذين بكتاب ثالث يبحث فيه عن التصريف وينقذنا من فوضى المتأخرين الذين عقدوا هذا العلم وأفسدوه .

(١) عمدت الجامعتان المصريتان في القاهرة والاسكندرية والجامعة السورية في دمشق والجامعة العراقية في بغداد الى اسناد تدريس مواد اللغة العربية من نحو وصرف وفقه لغة الى أساتذة يعرفون اللغات السامية ليكون قدمهم أرسخ في التنقيب عن أسرار هذه اللغة العربية المجيدة .

ولا ينبغي لنا هنا أن نهمل جهوداً عظيمة يبذلها أستاذ فاضل من أساتذة العلم في حلب ألا وهو العالم الأستاذ خير الدين الأسدي صاحب (كتاب لبن) و (كتاب الهمزة) وغيرهما من الكتب الجليلة التي سلك فيها مسلك المدققين من العلماء المستشرقين الباحثين في أصول اللغات السامية ومفرداتها وإننا نرجو أن يوفق – أعانه الله – في نشر مؤلفاته القيمة التي تكشف عن العبقرية الشامية وجهودها العظيمة في خدمة العربية وعلومها وبخاصة على التصريف وفقه اللغة .

وبعد : فإن فضل ابن جني على تكوين علم الصرف بل على إيجاد علم فقه اللغة العربية فضل عظيم ، ولئن كان الناس يشهدون دوماً لسيبويه بالمكانة السامية والسبق في هذا الميدان ، فان ابن جني بدقته وبراعته ، ووضوحه وكشفه عن أسرار اللغة ، هو فارس هذا الميدان الأول . ثم إن القارئ اليوم لا يكاد يقرأ صحيفة أو اثنتين من (كتاب سيبويه) حتى يمل ويضجر بأسلوبه المعقد ، بينما يلتهم كتب ابن جني التهاماً .

وقل مثل ذلك في المقارنة بين عالمنا ابن جني ، وبين الخليل بن احمد الفراهيدي فيما أثر عنه فان أسلوبه معقد ، لا يكاد يفهمه المرء إلا إذا كد ذهنه ، وتعمق في تفكيره ، ولا كذلك كتب ابن جني . وليس في هذا مطعن على سيبويه أو الخليل ، رضوان الله عليهما ورحماته ، وإنما هو إحقاق للحق ، فان عمل ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي رحمهما الله كان عملاً جليلاً ، ولا غرو فان القرن الرابع بثقافاته الواسعة ودراساته اللغوية المتعددة قد مكن الرجلين من أن يأتيا بهذا الذي نراه .

ولم يكن ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي يقتصران على مذهب أهل البصرة ، أو أهل الكوفة ، أو أهل بغداد ، كما أسلفنا ، وإنما كانا يجمعان كل ذلك ويتنخلانه ويضيفان اليه ما تهديه اليهما قريحتهما الصافية ، ويدفع اليه نظرهما الثاقب .

(يتبع) الدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

كتاب التربيع والتدوير للجاحظ

عُني بنشره وتحقيقه : شارل پلات
أستاذ بمدرسة اللغات الشرقية بباريس

يواظب المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق على نشر طائفة من كتبنا القديمة ، وآخر كتاب أخرجه لنا كتاب التربيع والتدوير للجاحظ .

وضع محقق هذا الكتاب مقدمة باللغة الفرنسية وذكر المصادر التي رجع اليها ويسيراً من تراجم الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب ونقل مفردات الكتاب الى اللغة الفرنسية .

أول مستشرق عُني بدراسة كتاب التربيع والتدوير إنما هو المستشرق الهولندي « فلوتن » ، ثم ظهرت نسخ مخطوطة مختلفة ظفر بها الأستاذ « پلات » ، ويُستنتج من المقدمة أن كتاب التربيع والتدوير لا يخلو من بعض زيادات ليست للجاحظ اقتصر الناشر على الإشارة اليها دون حذفها .

عرّف « پلات » كتاب التربيع والتدوير فهو عبارة عن مسائل عويصة طرحها الجاحظ على أحمد بن عبد الوهاب ثم أجاب عنها الجاحظ نفسه بسخريته المعروفة ، والأستاذ « پلات » يشبّه الجاحظ في تصويره لأحمد بن عبد الوهاب بالكاتب الفرنسي المشهور : « لابرويير » .

وقد انتقل بعد هذا التعريف الى ذكر تأريخ تأليف الكتاب والى الكلام على أحمد بن عبد الوهاب والى الأسباب التي من أجلها ألّف الجاحظ كتاب

التربيع والتدوير والى تلخيص مكانة هذا الكتاب فالأستاذ « بلات » يرى أن صلة الكتاب بتاريخ الفكر العربي أشدّ من صلته بتاريخ الأدب .

نُقلت مفردات كتاب التربيع والتدوير الى اللغة الفرنسية ، ولقد مررت على هذه الترجمة عَرَضاً فوقعت عيني على ترجمة : مبغضة ، جاءت هذه اللفظة في المتن على هذا الشكل : والمزح جمام والجدّ مبغضة والمزح محبة ، فقال الأستاذ الناشر في ترجمة مبغضة : mépris وقال : هي ضد محبّـة ، لستُ من أهل اللغة الفرنسية حتى أجادل رجلاً من رجالها ولكن الذي أعرفه أن كلمة mépris تدل على الاحتقار والازدراء والاستخفاف أكثر من دلالتها على البغض .

على أن هذه الخطرة خطرت على البال عرضاً على نحو ما قلت ، فالمهم أن أبادر الى إشارات تتصل بالجاحظ لا بأس بإثباتها في هذا المقام ، فقد ذكر الأستاذ « بلات » أن الجاحظ وقف أمام معتقدات كثيرة لا يقول بها القرآن موقف الشك لأن هذه المعتقدات يعارضها العقل وهذا الشك الذي أدخله الجاحظ على أدب العرب لو أدخل على أمةٍ أقل تمسكاً بتقاليدها لأمكن أن يكون عاملاً من أعظم عوامل تفتيح العقول وتخميرها .

والحقيقة التي استنبطتها من دراستي لكتب الجاحظ أنه لم يدخل الشك على الأدب وحده وإنما أدخله على أمور الفكر والعقل ، فالجاحظ لجأ في الاهتداء الى الحقيقة الى الحواس ثم تبيّن له أن الحواس تخطئ فعمد الى الشك ، ولكن شكه كان سبيلاً الى اليقين ومثله في ذلك مثل « باكون » و « ديكارت » ، فطريقة « باكون » كانت مبنية على الحواس وطريقة « ديكارت » كانت مبنية على العقل ، ولم يكتف الجاحظ بطريقة العقل وحدها فقد جرّب بنفسه على نحو ما يفعله علماء الحيوان والنبات وتجاربه مستفيضة في كتاب الحيوان .

لقد جاء الوقت الذي يجب علينا فيه أن ندخل الجاحظ في جملة العلماء كما أدخلناه في جملة الأدباء ، فبعض المستشرقين لا يزالون يرون في الجاحظ اماماً من أئمة الأدب وهم يكادون لا يعترفون له بأثر في العلم ·

لقد أنصفه الأستاذ «بلات» كل الانصاف لمّا قال إن هذا الرجل لم يعرفه الناس حق المعرفة فانه يمثّل الفكر البشري في فترة من الفترات على الرغم من اتهامه من بعض الوجوه باقتباسه عن اليونان وبقلة ابتكاراته ·

ماذا يريدون بقلة ابتكارات الجاحظ ؟ أفلا يكفي صاحب هذا العقل العظيم أن يجرّب ما جرّب وأن يهتدي في نتائج تجاربه الى أمور كثيرة تتصل بالحيوان أو بالنبات أو بالانسان دون أن يجمد على ما اقتبسه عن اليونان أو عن غيرهم من الأمم · إلاّ ان العصر الذي عاش فيه الجاحظ يختلف عن العصر الذي نعيش فيه فلا يمكننا أن نطالبه بابتكارات تشبه ابتكارات علماء هذه الأيام وحسبه انه سبق «باكون» و «ديكارت» الى طريقتيهما ولكنه لم يتوسع في هاتين الطريقتين توسّع هذين الفيلسوفين الكبيرين ، إلا أن فضله بالنسبة إلى عصره ليس بقليل ·

وإنّا لنشكر الأستاذ «بلات» الشكر كله من أجل اعترافه بأن الجاحظ يمثل الفكر البشري في زمن من الأزمان فقد أعطاه حقّه وجعله في المنزلة التي يجب أن يكون فيها وهي منزلة رجال الفكر البشري ، لا الفكر العربي وحده ·

شفيق جبري

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تصنيف السيد الأجل الشريف الرضي

اهتم بنشره عن النسخة الخطية الوحيدة في مكتبته السيد محمد المشكاة

قدَّم لهذا الكتاب الأستاذ حسين علي محفوظ مدرس العربية بالعراق ، مقدمةً جاء فيها : التعريف بالمخطوط ـ صحة انتسابه الى الشريف الرضي ـ تلخيص البيان ـ قيمته الأدبية ـ سيرة مصححه السيد محمد المشكاة وآثاره .

وفي المقدمة الثانية للأستاذ الناشر (المشكاة) أنه ظفر بكتاب عتيق كتب في القرن الخامس للهجرة ، يبحث عن آيات القرآن الكريم بعنوان (الاستعارة) ووصفه بقوله : « وجدته تفسيراً يشتمل على التعليل في اختلاف القراءات ، وكتاب أدب ، يبحث عن وجوه التشبيهات والاستعارات ، (الى أن قال) : وقد صدّر البحث عن كل آية بلفظ (استعارة) وليس يراد معناه المصطلح المقابل للكناية والتشبيه ، وإلاّ لم يصدق على كثير من مباحث الكتاب ، فالمراد بالمجاز ههنا المعنى الأعم من المجاز العقلي واللغوي والتشبيه ، والمراد بالاستعارة المعنى الأعم من أقسام الاستعارة والكناية والمجاز العقلي والتشبيه بأقسامها ، كيف لا وقد استعملت هذه الكلمات في معانيها الاصطلاحية بعد ما وضع علم المعاني والبيان ، وألفت المطوّلات في الأصول الفقهية . وكتابنا هذا ـ وهو أول كتاب صنف في بابه ـ أعني مجازات القرآن الكريم ، متقدم على ذاك بعشرات من السنين » قلت : ويؤيد هذا ما ذكره ابن القيم في بعض كتبه من أن المجاز لم يُرِدْ به في عرف السلف ما يقابل الحقيقة ، بل المراد به ما يجوز لغةً ومعنى في تفسير الآية ، وهذا ملخص ما قال :

« وأهل اللغة لم يصرح أحد منهم بأن العرب قسمت لغاتها الى حقيقة ومجاز ، ولا قال أحد من العرب قطّ هذا اللفظ حقيقة وهذا مجاز ، ولا وجد في كلامهم

من نقل لغتهم عنهم مشافهة ولا بواسطة ذلك؛ ولهذا لا يوجد في كلام الخليل وسيبويه والفراء، وأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي وأمثالهم، كما لم يوجد ذلك في كلام رجل واحد من الصحابة ولا من التابعين ولا تابع التابعين، ولا في كلام أحد من الأئمة الأربعة» .

قال السيد المشكاة: واعلم أن التي بين يديك إنما هي نسخة عتيقة مهذبة قريبة العهد من مصنفها بحيث تكاد تدرك زمانه، ولذلك سلمت من تصرفات الناسخين . ثم علل طبع هذه المخطوطة بقوله وانما أردنا بذلك تكثير هذه النسخة المخطوطة اليتيمة خوفاً من تلفها وتتميماً لنفعها، ورغبة في خدمة العلم وأهله .

وقد بلغت هذه المخطوطة (٢٤٠) صفحة بالقطع المتوسط، وذكر في أعلى الصفحات أسماء السور المفسرة، وعلى جوانبها أرقام الآيات، وخطها واضح وكلماتها منقوطة، وفي آخرها عدة فهارس: فهرس السور والآيات، وآخر لأعلام الأشخاص والأماكن والفرق والكتب، وثالث للأمثال والتراكيب المذكورة في الكتاب، ورابع للألفاظ التي شرحها الشريف مرتبة . وختمها بعرض تحليلي للمطالب التي يبحث عنها في الكتاب . وبفهرس أبيات الشعر التي استشهد بها في الكتاب مرتبة على ترتيب قوافيها، ثم فهرس الأخبار والأحاديث الواردة في الكتاب على قلتها .

ولا نرى البحث في هنات جاءت في مقدمة الناشر السيد المشكاة كقوله: بذلنا الجهد على طبعها، وكجعل الشعر نثراً في قوله:

فني كل لفظ منه روض من المنى وفي كل سطر منه عقد من الدر

وكقوله: وقد عقب اسم أبيه أبي أحمد أيضاً (أي أبي المؤلف) بقوله: «رضي الله عنه»» (قال): وهذا أيضاً دعاء (على الميت) أي دعاء للميت، وحسبنا هذا وكفى .

محمد بهجة البيطار

René Dussaud - La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam - Paris 1955

توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام

تأليف الأستاذ رينه دوسو يقع في (٢٣٤) صفحة من القطع الكبير تتخللها صور عديدة ، طبع في باريز عام ١٩٥٥

إن أستاذي المؤلف عضو المجمع العلمي الافرنسي وزميلنا في مجمعنا العلمي العربي هو أشهر من أن يعرّف ، عرفته بلادنا منذ أكثر من نصف قرن بجائة جوالاً في معمورها وبواديها ، كرس شطراً كبيراً من حياته العلمية في دراسة وتدريس آثار بلاد الشام وتاريخها ، وتملأ تآليفه وأبحاثه في هذا الموضوع مجلدات عديدة . وهو اليوم عميد الدراسات الأثرية لشرقنا وشيخ الآثاريين عنها . حصر جل همه في كل ما له علاقة في تاريخنا القديم . فهو أول من تتبع موضوع ظهور العرب في بلاد الشام قبل الفتح الاسلامي . وكان بحثه الذي نشره في عام ١٩٠٧ فتحاً جديداً في بابه عالج الموضوع بروح علمية عميقة جعلت مؤلفه الى يومنا هذا مرجعاً من أهم المصادر للباحثين . ولم يكن كتابه في نظره إذ ذاك إلا تمهيداً لبحث أوسع . وها هو يطلع علينا بعد نصف قرن من بحث وتنقيب بكتابه القيم داعماً آراءه بالاكتشافات والوثائق الحديثة التي ظهرت خلال النصف الأول من هذا القرن ، التي ألقت أضواء جديدة على كثير من غوامض التاريخ .

ويرى المؤلف أن العراق وسورية ولبنان وفلسطين والشرق العربي هي امتداد حيوي لجزيرة العرب وسكانها ، وقد يبدو هذا الرأي للبعض مبالغاً فيه لما بين جزيرة العرب وهذه البلاد من بعد شاسع وعقبات تفصل بينها وتحول دون سهولة

الاتصال .. ولكن من عرف طبيعة العرب الرحل واستهانتهم بالمسافات الطويلة والصعوبات والمشقات في سبيل طلب الكلأ والماء والكسب الحلال والحرام يسلم برأي المؤلف ويقنع بحجته .

كان العرب في كل رحلة نحو الشمال يتخلف منهم عن العودة الى بلادهم بعض أفرادهم كما هو حالهم اليوم ، فشكلوا مع الزمن نواة جالية عربية كان لها شأنها ولعبت في التاريخ دورها ، وقد احتفظ هؤلاء المتخلفون بعقائدهم وتقاليدهم ولغتهم ، وقد اقتبس عنهم أهل البلاد البعض منها ، ونجد أثر ذلك ظاهراً عند الأنباط وفي حوران والصفا وتدمر وحمص وغيرها من بقاع الشام ، وقد احتفظوا أيضاً بقوميتهم رغم اندماجهم بأهل البلاد التي استوطنوها ، وكان لهم مواقف شريفة في الدفاع عن هذه البلاد ، وكانوا أشد العناصر غيرة على سلامة موطنهم الجديد ، فقد وقفوا في وجه غزوة الاسكندر وصعدوا لها في جبال لبنان وقطاع فلسطين ودافعوا كمن يدافع عن وطنه وعياله .

وقد القم هذا الكتاب حجراً من يقول ان العربية دخيلة على الشام والعراق فرضتها قوة الاحتلال الاسلامي ، مع أن الغزوة الاسلامية هي برأيي نتيجة محتمة لانتشار العرب في البلدان قبل الفتح الاسلامي بقرون عديدة ، فقد مهدوا السبيل لغزوة التحرير لشرذمة قليلة من الفاتحين وساعدوا على هزيمة هرقل وكسرى .

ويجدر بمعاهدنا العلمية العالية ومن يهمهم تاريخ بلادنا العناية بهذا الكتاب ونقله الى العربية خدمة لتاريخنا وقوميتنا .

فالى أستاذي الكبير منا أبلغ الشكر وأطيب الثناء مد الله بحياته ذخراً للعلم .

جعفر الحسني

كتاب الورقة

لأبي عبد الله محمد بن داود الجراح

تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ عبد الستار أحمد فراج

ذخائر العرب — مصر ١٩٥٣ ، ١٥٩ صفحة

حرص العرب في جاهليتهم على رواية الشعر وحفظه ، واتخذ خلفاء بني أمية خطة عظيمة في تأديب أولادهم بالشعر وروايته ، وعمل علماء اللغة في العصر العباسي على جمع الشعر وتدوينه وطلبه خدمة للغة والنحو وما يتصل بها . فكانت المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب، وحماسة أبي تمام والبحتري وابن الشجري، وكانت كتب الأدب كديوان المعاني والبيان والتبيين والكامل ، والعقد والامالي .

وشرع العلماء بعد هذا في تأليف كتب عن الشعراء والشعر ، كابن قتيبة وابن سلام وابن المعتز ، جمعوا فيها سيرة الشاعر وترجمته وطرفاً من أخباره وأشعاره . وتبعهم في خطتهم مؤلفو العصور العباسية حتى عصر الانحطاط .

وهذه الكتب في تراجم الشعراء نفيسة ثمينة تغني البحث وتضيف إلى معرفتنا بأدبائنا القدماء ثروة عظيمة . وقد فقدت أكثر هذه الكتب وضاعت ، وبقي منها عدد قليل عني الناشرون بإظهاره ، وكتاب الورقة في صدر هذه الآثار .

ألفه صاحبه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وجعل لكل شاعر ورقة يترجم فيها سيرته وأخباره ويذكر عليها طرفاً من أشعاره . وهذه الورقة تختلف طولاً وقصراً ، إسهاباً واقتضاباً ، فقد جاءت بعض التراجم في صفحات وجاء بعضها في سطور كما في هذه الطبعة .

وهذه التراجم تضيء جوانب كثيرة من حياة أدبائنا ، وتترجم لكثيرين ممن ضاع أثرهم في المطبوع من كتبنا ، ويبلغ عددها في الكتاب ثلاثاً وستين

ترجمة ، فيها شعراء مغمورون وآخرون قالوا الشعر ولم يعدوا في الشعراء ، وفيها من الأعلام المشهورين .

ويبدو أن ابن الجراح كان عارفاً بأيام العرب وأخبارهم ودول الملوك ، واقفاً على التاريخ ، ذواقة في الأدب ، لما يورد من أبيات مختارة وأشعار سائرة جميلة ؛ ولذلك كان كتابه « الورقة » ثميناً جداً في مصادرنا القديمة ، وكان نشره حدثاً في كتب التراجم يشكر له المحققان الفاضلان أيما شكر .

وقد كتب الدكتور عبد الوهاب عزام مقدمة قصيرة في حياة ابن الجراح ، كشف فيها عن وزارته لابن المعتز ، وهربه واختفائه حين قتل هذا الخليفة ، ثم ظهوره بعد ذلك ، وحبسه وموته سنة ٢٩٦ هـ ، ورسم الفاجعة في مقتله . وحياته كانت سلسلة من المآسي ، ألمع إليها المحقق إلماعاً يسيراً ، ولم يسهب في البحث عن الكتاب ، وإنما رسم مخطوطته القديمة وعرّف بقدرها وفضلها وذكر الأيدي التي تعاورت على ملكيتها ، ثم بيّن أنها فقدت كثيراً من التراجم مما وقع في كتب الأدب منسوباً الى كتاب الورقة ، ولم يرد في هذه الطبعة .

وهنا نود أن نرسل عتباً رقيقاً في صدد هذه المقدمة ، فهي عجلى كما يعترف الأستاذ المحقق ، وكم كنا نتمنى أن يطيل النظر في الكتاب وأن يذكر لنا أين تقع تراجمه من الدقة والاحاطة والشمول بين كتب التراجم ، وهي مبسوطة بين يديه يستطيع أن يوازن بينها وبينه ليطلق حكمه فيها ، ويدلي برأيه في قيمة الكتاب . بل كنا نرجو أن يذكر لنا أين تشترك هذه التراجم وأين تنفرد ، ولكن الرجل يعلن في تواضع جم أنه أسلم تحقيق الكتاب للأستاذ فراج ، وأنه ترك له التعليق والإشارة والشرح . . .

ولا بد من التنويه بفضل الرجلين في نشر الكتاب لما قاما به من خدمة الناطقين بالضاد ، على ما في عملها من قصور ، في ضبط كثير من الأعلام ،

والإشارة الى مواقع الصفحات من المصادر التي ترد فيها هذه التراجم، فطابع السرعة لا يخليها من مسئوليتها في الرجوع الى كتب البلدان والأنساب لرسم الأعلام مثل : (زوزر الرفاء ، الصمري ، الخاركي ، المستهل) كما كان يفعل المحدّثون في القديم والمحققون في العصر الحديث .

وأخيراً ، لا يقنعنا قول الدكتور عزام في مقدمته : « ان في الكتاب جملاً قليلة لم يزايلها الغموض والشك ، وعسى أن يجلوها البحث » ، فهناك شيء غير قليل يحتاج إلى إطالة النظر والبحث والتعليق والتصحيح ، لجلاء هذا الكتاب الثمين والعودة إليه ، وليس ذلك على همة المحققين بعزيز .

الدكتور سامي الدهان

كتاب الريف السوري

للأستاذ أحمد وصفي زكريا

كم وددت لو استطعت أن أحشر في هذه العجالة كل ما دونته أمامي مما جال في نفسي من آراء وفكر ، وأنا أقرأ كتاب الريف السوري الذي أصدره أخيراً الأستاذ الفاضل أحمد وصفي زكريا ، واني ما كنت لأوفق لما أردت لأن ذلك يحتاج لمجال قد تضيق به ذرعاً الصفحات التي اعتادت مجلة المجمع أن ترصدها لنقد الكتب الجديدة وتقريظها . ولعل من أهم ما يوحيه هذا الكتاب لقارئه الناقد ويرسم في نفسه من صور بارزة هو هذه المرحلة من التطور الاجتماعي التي بدأت ترتسم في أفق الشرق العربي فتظهر هذا الانصراف الواضح عن عالم الخيال الى حياة الواقع التي أخذ يحياها أبناء الأمة العربية في مختلف أقطارهم وأمصارهم والعزوف عن الوهم والتخيل الى هذه الحقيقة الراهنة التي تستمد أصلها من تعريف المواطنين بأوطانهم التي يعيشون فيها وبلدانهم التي يستمدون معاشهم وقوتهم منها

والذين هم أجدر الناس بمعرفتها والاطلاع على خصائصها ، لأنه ليس لأحد من الناس أن يدعي المعرفة والعلم إذا كان يجهل الوطن الذي يعيش فيه ، ولعل من أهم أخطاء الأدباء والكتاب والعلماء المعاصرين في الشرق العربي هو انصرافهم حتى الآن عن تأليف مثل هذه الكتب التي تعالج الواقع وتدرس الأرض ، أرض الوطن وما عليها والمدن وما فيها والأرياف وما احتوته من خيرات مما هو أول ما يجب أن يعرفه كل مواطن يزعم انه على شيء من الثقافة والعلم ، وليس في الناس أسخف من أولئك المواطنين الذين يحدثونك عن خصائص التربة وعوامل الاقليم في بقعة قاصية من بقاع الدنيا ويجهلون كل خاصة من خصائص الأرض التي أنبتتهم أو البلد الذي يعيشون فيه كما عاش آباؤهم وأجدادهم من قبل . وإني لا أبالغ اذا قلت ان الأستاذ زكريا قد وفق التوفيق كله في هذا الفتح الجديد وفي تأليفه كتابه هذا الذي نحن أحوج ما نكون اليه وإخراجه للناس على هذا الشكل الواضح وبهذا الأسلوب البارع في الوصف والتعريف وإني لمقدر كل التقدير الجهد العظيم الذي بذله المؤلف كما يقدر ذلك كل قارئ منصف وهو يعلم ما هي عليه المكتبة الشامية ، إذا صح هذا التعريف ، من فقر مدقع ، إذ ليس بين مؤلفيها من سبق الأستاذ زكريا لوضع أمثال هذه الكتب إلا نفر من الأقدمين قد لا يصح الاعتماد إلا على القليل مما دونوه بشكل خاطف وعلى غرار ما يكتبه الرواد والسائحون . ولعل ندرة الكتب الجديدة التي يمكن الرجوع اليها والاستعانة بها هو الذي ألجأ المؤلف لأن يجمع في بعض الفصول من كتابه بين الماضي والحاضر ويمزج في وصف وتعريف كثير من المواقع بين ما كانت عليه الأوضاع وبين ما صارت اليه ، ولقد وددت لو اقتصر المؤلف في بعض الفصول على وصف الحالة الراهنة دون أن يرجع الى ما وصفه الأقدمون مما دعى لبعض الغموض أو التشويش ، سيما وهو يعتمد في أكثر

ما يصفه ويدونه على خبرته الخاصة بعد أن جاس خلال الديار في أكثر المناطق واختبر شؤونها بنفسه ودرس الأشياء في مواقعها ، على أنه مع هذا قد وفق الى حد بعيد في كثير من الفصول وعلى الأخص في كثير من المناطق الأثرية حينما أتى على لمحة من تاريخها القديم وما فيها من معالم وآثار يرجع عهدها الى أزمان غابرة بعيدة . هذا ولعل أهم ما دونته أمامي أيضاً وأنا أطالع هذا السفر القيم عن الريف السوري الذي انحصر فيه مؤلفه على محافظة دمشق ، هو ما تمنيته من صميم فؤادي لو أن الدولة وما فيها من مصالح أخذت بيد الأستاذ المؤلف وساعدته مساعدة فعالة في عمله لإصدار الأجزاء التالية من مؤلفه عن الريف السوري في بقية المحافظات ، لأني أعتقد جازماً أنها لو فعلت ذلك لسدت نقصاً عظيماً صارخاً فيما نحتاج اليه من مؤلفات ، وحققت بذلك أمراً لا تستغني عنه البلاد السورية في نهضتها الجديدة .

الدكتور كاظم الداغستاني

كتاب

(١) تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي
(٢) تحذير العباد من أهل العناد

تأليف العلامة برهان الدين البقاعي ٨٠٩ — ٨٨٥

تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل

كان التصوف في أول نشأته بين المسلمين زهداً في الدنيا وعرضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان . ولم يكن اسم (التصوف) معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسماه نسكاً وزهداً ، وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ،

صار آراء فلسفية تنقّل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد (بل بالوحدة المطلقة) ثم انقلب إلى شعوذة وشعبذة ، وتغرير بالبسطاء ، وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

هذا بعض ما وصفت به من قبلُ التصوف في جملته . وأما هذان الكتابان المطبوعان معاً ـ وكلاهما للمفسّر البقاعي الدمشقي ـ ففي أولهما نصوص كثيرة من فصوص الحكم لابن عربي (الشيخ الأكبر) وفي ثانيهما أبيات منوعة من تائية ابن الفارض (سلطان العاشقين) المسماة بنظم السلوك ، وهي تقرب من ثمانمائة بيت ، وفي هذا وذاك الكفر الصريح الذي لا يحتمل الجدل ولا التأويل ، وبنى البقاعي حكمه هذا على النقول الكثيرة من نثر الأول ونظم الثاني ؛ وأما التأصيل والتفصيل ، أو التحليل والتعليل . ففي تعليقات المحقق الأستاذ (الوكيل) ، فقد ردّ فيها الفرع إلى الأصل ، والجزء إلى الكل ، وجاء ما كتبه بمقدار الأصل أو يزيد ، والكتاب الأول يقع في مائتي صفحة بتحقيقاته ، والثاني في نحو سبعين .

وصف الأستاذ الوكيل في مقدمته للأول ما وعاه في حداثة سنه من ترانيم شيوخ قريته التي كانت تهرف بما لا تعرف من صلوات ابن مشيش ومنها : اللهم انشلني من أوحال التوحيد ، ومن منظومة الدردير (وجد لي بجمع الجمع منك تفضلا) ثم كان يسمع ذكر الله في طنطا « بخنّات الأنوف ، ورجّات الأرداف ، ووثنية الدفوف » ومنشد القوم ينشد راقصاً (ولي صنم في الدير أعبد ذاته) ويسمعه يصيح : (وما الكلب والخنزير إلا إلهنا !! . . .) فإذا سأل عن معنى هذه الجهالات والضلالات قيل له : « انت لسّه صُغَيّر » ثم صار يدرس في كلية أصول الدين ، وفي شعبة التوحيد والفلسفة ، فلا يزداد إلا حيرة وشكاً ، إلى أن هداه الله تعالى فقرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وأوى الى جماعة

أنصار السنة المحمدية ، فسار على هدى من ربه ، ومضى في طريق الحق غير هياب ولا وكل .

وقد عني الأستاذ الوكيل بهذا الكتاب ، فترجم لمعظم من ذكروا فيه ، ولكل فرقة أو نحلة ورد ذكرها ، وخرّج أحاديثه ، وجلّى غوامضه بتفسير مصطلحات القوم من كتبهم ، ونقضها بما خالفت فيه العقل والنقل (كتاباً وسنة) ، ووضع عناوين لمباحث الكتابين لإيضاح المراد منها ، ورقّم ما ورد فيهما من الآيات الكريمة وسورها ، وذكر النسخة التي طبع عنها ، وما لقي من عناء في معارضتها بأصولها .

من أمعن النظر في كلا الكتابين : (فصوص الحكم وتائية نظم السلوك) لا يرى الفرق بينهما إلا بكونه نثراً وكونها نظماً ، واليك كلمتين منهما ، تدلان على سائرهما .

« فإذا شاهد الرجل الحق في امرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما ، كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل . لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل ومنفعل » وقد قال في الفص النوحي في أثناء تحريفه لسورة نوح عليه السلام « وقد أضلوا كثيراً » أي حيروهم في تعداد الآلهة « ولا تزد الظالمين » المصطفين الذين أورثوا الكتاب ، فهم أول الثلاثة ، « إلا ضلالا » إلا حيرة . فالحائر له الدور والحركة الدورية حول القطب » (١) فهو يفسر الظالمين عبدة الأوثان بالمصطفين الذين أورثوا الكتاب ، « ومكروا مكراً كبّارا » لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو الخ ... قال القاشاني «معناه أن الدعوة إلى الله دعوة منه

(١) ص ٢١٨

إليه ، لأن الله عين الداعي والمدعو ، والبداية والغاية ، لكونه عين كل شيء »[١]
فقالوا في مكرهم : « لا تَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تذرن وَدّاً ولا سُواعا ، ولا يغوث ويعوق ونسرا » فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من عرفه ويجهله من جهله »[٢] .

وهذه أبيات من تائية ابن الفارض ، وهي تضرب على نفس الوتر ، وكأنها نظم لما نثر من فصوص الحكم :

وإن عبد النارَ المجوسُ وما انطفت كما جاء في الأخبار من ألف حجة[٣]
فما عبدوا غيري وإن كان قصدهم سواي وإن لم يعقدوا عقد نية
رأوا ضوء نوري مرة فتوهمو (م) ه ناراً ، فضلّوا في الهدى بالأشعة
وإن خرّ للأحجار في البُدّ عاكف فلا وجه للإنكار بالعصبية[٤]

ومن ذلك قول ابن الفارض أيضاً :

إليّ رسولاً كنتُ مني مرسلاً وذاتي بآياتي عليّ استدلّت

قال القاشاني في شرحه : « فالذات الإلهية باعتبار التجرد والابتدا تكون مرسلاً ، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسَلاً إليها (اه ص ٧٣) .

هذه شواهد قصيرة من فصوص الحكم ومن تائية نظم السلوك ، قلت : ويجمع بينهما ما نسب إلى الحلاج في معناهما وهو قوله :

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فكل ما هو كفر وشرك وإفك فهو في حقيقته عندهم إيمان صحيح ، وتوحيد خالص ، وكل إنكار على أعداء الرسل (عليهم السلام) من عبادة الأوثان ، فهو في حقيقته عندهم إقرار لهم على ما عبدوه ، وكل طعن فيهم ، فردّه إلى مدحهم

---

(١) ص ٤٩ منه (٢) ص ٥١ (٣) من ألف سنة (٤) بيت الأصنام

والثناء عليهم . وأما ما في التائية من ذلك ، فقال فيها مخاطباً لله تعالى ـ كما أجمع عليه شراحها ـ بضمير المؤنث من أولها إلى آخرها »[1] .

هذه مرائيهم وأخيلتهم في وحدة الوجود ، ومحو الفرق بين الشاهد والمشهود ، فلا مغايرة بينهما ولا اثنينية ، وهؤلاء (الوجودية) يجعلون الله تعالى عين وجود الممكنات ، فالإله عندهم كالكلي الطبيعي ، لا وجود له إلا في ضمن جزئياته ، كالإنسان الذي لا وجود له إلا في ضمن أفراده ، فهم يجعلون الله تعالى أمراً اعتبارياً لا وجود له إلا في الموجودات ، وليس له وجود مستقل عنهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وقد عدّ أبو حيان في تفسيره لسورة المائدة طائفة من هؤلاء الغلاة القائلين بوحدة الوجود . وتجد أسماءهم في هذا الكتاب (ص ١٥٦) كما ترى في موقف العلماء من ابن عربي وابن الفارض ، قال البقاعي : وقد كفرهما العلماء بسبب ما نقل من حالها ، وما صدّق ذلك من كلامهما ، أما ابن عربي فالمتكلمون فيه كثير جداً ، وقال عن ابن الفارض : رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً ، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا ، وعدّ كثيراً من أجلائهم (ص : ٢١٤ — ٢١٧) وقد قال إمام القراء شمس الدين الجزري الدمشقي ، نزيل بلاد الروم ثم العجم : «ومما يجب على ملوك الإسلام ، ومن قدر على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، أن يعدموا الكتب المخالفة لظاهر الشرع المطهر ، من كتب المذكور وغيره ، ولا يلتفت إلى قول من قال : هذا الكلام المخالف للظاهر ينبغي أن يُؤول ، فإنه غلط من قائله ، إنما يؤول كلام المعصوم ، ولو فتح باب تأويل كل كلام ظاهره الكفر ، لم يكن في الأرض كافر »[2] .

(١) ص : ٢١٨ وكتب هذا تحت عنوان : رب ابن الفارض أنثى ! ؟
(٢) ص : ٢١٤ – ٢١٧

وكذا العلامة المؤرخ ابن خلدون ، فإنه بعد أن عدّ فريقاً منهم ومن كتبهم ، أفتى بإحراقها فقال : « فالحكم في هذه الكتب وأمثالها ، إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فتعين على وليّ الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق . اهـ .

الرأي في سلف الصوفيّة

نقل المفسر البقاعي عن الشفاء للقاضي عياض عن سلف الصوفية أنهم بنوا طريقهم على الاقتداء بالكتاب والسنة كالحسن البصري ، وأبي عثمان الحيري ، وسهيل بن عبد الله التستري ، والجنيد (سيد الطائفة) والقشيري والسهروردي ، والجيلاني ، ولكن الأستاذ (الوكيل) المدقق ، هو باحث مستقل مستدل ، قوي العارضة ، شديد المعارضة ، وقد عارض في تعليقاته أقوالهم في نصرة الشريعة بكلمات تؤخذ عليهم . وكلٌّ يؤخذ من قوله ويترك ، ويقبل منه ويردّ ، ولا معصوم إلا من عصمه الله تعالى . وقد طبع هذا الكتاب على نسخة الشيخ الجليل محمد نصيف ، المهداة إليه من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله وجزى المحسنين خيراً .

وقد لحظنا أثناء تصفح الكتاب أغلاطاً غير ما نشر فنها : ص ١٢٣ س ٢٤ : إن حكمة الله تجسدت في عيسى ، لعلها : (كلمة الله) ، وص ١٣٤ س ١٢ : الاجتهاد والصحيح : (الصحيح) ، ص ١٧٦ س ٢١ : ولد سنة ٨٠٥ ... توفي سنة ٨٠٥ والصواب : (ولد سنة ٧٢٤) ، ص ١٩٣ س ١١ : كاظمحلال (كاضمحلال) ، ص ٢٠٢ س ١٢ : إذا لم يتنبه (إذا لم ينته) ، ص ٢٠٣

س ٦ : لميته (لميته) ، ص ٢٠٤ س ٣ : امرأته (إمرته) ، ص ٢١٥ س ٢ : ابن قيم : (ابن قيّم الجوزية) ، ص ٢١٦ س ١٩ : النذر (النزر) ، ص ٢٤٤ س ١ : نقص من الآية الكريمة : «وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا» ، ص ٢٤٨ س ١٠ : التنابذ (التنابز) ، ص ٢٦٢ س ٤ : بأن هناك طريقان (طريقين) .

محمد بهجة البيطار

الشبك

من فرق الغلاة في العراق
تأليف الأستاذ أحمد حامد الصراف

عدد صفحاته (٣١٤) صفحة من قطع الوسط طبع في بغداد عام (١٩٥٤)

الشبك جماعة من الأعاجم تقطن أكثر من عشرين قرية في الجانب الشرقي من الموصل ويبلغ عددها نحواً من اثني عشر الف نسمة يتكلمون لغة هي خليط من العربية والتركية والكردية والفارسية . وهم من بقايا الفرق المغالية في الإسلام تطورت مع الزمن عقائدهم وتسلط الجهلة ببدعهم على عقولهم فأبعدوهم عن الروح الإسلامية . وقد حاول المؤلف أن يكشف عن حقيقتهم ، فعقد مع بعض خواصهم صداقات أدرك بها رغم تكتمهم شيئاً من غايته . شاع عن الشبك أنهم لا يعرفون من أركان الدين الإسلامي شيئاً ، يهملون الفرائض الدينية ولا يصلون الخمس ، ولا يصومون شهر رمضان ، ولا يحجون بيت الله الحرام ، ولا يؤتون الزكاة ، يبيحون شرب الخمرة ، ويقيمون المناحات في العشر الأول من شهر المحرم حزناً على مقتل الحسين ، وحسبهم حب علي وآل علي

فهو عندهم حسنة تمحو كل سيئة . وقد ظهر للمؤلف بعد أن خبرهم عن كثب أنهم ـ رغم إنكارهم الفرائض الدينية ـ ليسوا من الغلاة كالنصيرية والبكطاشية وان شعورهم وإيمانهم بواجب الوجود هو عين شعور المسلم وإيمانه بواجب الوجود ، وأما رسول الله محمد فهو عندهم النبي المجل المعترف به وان كانوا يغالون في حب علي غلواً عظيماً وينعتونه بأوصاف ونعوت لا يقرها الإسلام .

اختلفت الروايات في عنصر الشبك وأصلهم ونحلتهم ولم يجزم المؤلف بواحدة منها ويرى أن حقيقة أصلهم لم تزل مجهولة كما أن تسرب هذه العقيدة اليهم شيء غامض ومبهم .

وضع المتقدمون أبحاثاً عديدة عن الفرق الإسلامية ، ومن أشهرهم النوبختي وأبو منصور البغدادي وأبو المظفر الاسفراييني وابن حزم والشهرستاني والفخر الرازي وغيرهم وجميعهم أغفلوا ذكر الشبك وعقيدتهم مما يحملنا على أن نستنتج من ذلك أن عقيدتهم محدثة ومنحدرة من البكطاشية القزلباشية لما بين العقيدتين من أوجه الشبه .

وبعد أن وصف الأستاذ المؤلف عباداتهم في الصلاة والصوم والزكاة والحج الى النجف وكربلاء ، وعدد مواسم أعيادهم والطقوس التي يمارسونها فيها ، اختار قطعاً شعرية شعبية يتلونها في احتفالاتهم الدينية وعربها بأمانة ، يجد فيها القارئ أدباً عامياً عاطفياً يشتمل على نصائح ومدائح للأئمة الاثني عشرية ونحيباً على الشهيد الحسين وغلواً في الإمام علي بن أبي طالب .

وهذا الكتاب هو حلقة متممة من السلسلة التي عقدها المتقدمون عن الفرق الإسلامية تحوي فوائد جليلة وأبحاثاً جديدة استحق عليها الشكر والثناء الجزيل .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ 〃 عارف النكدي
١٠ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)
١١ الاستاذ عز الدين التنوخي
١٢ 〃 فارس الخوري
١٣ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٤ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٥ 〃 مرشد خاطر
١٦ الأمير مصطفى الشهابي
١٧ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١	الشيخ عبد الحميد الكيالي	سورية
٢	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٣	الاستاذ عمر ابوريشة	〃
٤	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٥	البطريرك ماراغناطيوس افرام	〃
٦	الأستاذ محمد سليمان الأحمد	〃
٧	الشيخ سعيد العرفي	〃
٨	الدكتور قسطنطين زريق	〃
٩	الاستاذ أنيس المقدسي	لبنان
١٠	〃 بشارة الخوري	〃
١١	الشيخ سليمان ظاهر	〃
١٢	الدكتور صبحي المحمصاني	لبنان
١٣	〃 عمر فروخ	〃
١٤	الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	〃
١٥	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
١٦	الفيكونت فليب دي طرازي	〃
١٧	الأستاذ مارون عبود	〃
١٨	الدكتور نقولا فياض	〃
١٩	الأب اس. مرمرجي الدومنكي	فلسطين
٢٠	الأستاذ عادل زعيتر	〃
٢١	〃 قدري حافظ طوقان	〃
٢٢	〃 محمد الشريقي	الأردن

٢٣ الاستاذ احمد حامد الصراف العراق
٢٤ الدكتور داود الچلبي 〃
٢٥ الاستاذ ساطع الحصري 〃
٢٦ 〃 طه الهاشمي 〃
٢٧ 〃 عباس العزاوي 〃
٢٨ الشيخ كاظم الدجيلي 〃
٢٩ الاستاذ كوركيس عواد 〃
٣٠ الشيخ محمد بهجة الاثري 〃
٣١ 〃 محمد رضا الشبيبي 〃
٣٢ الدكتور مصطفى جواد 〃
٣٣ الاستاذ احمد حسن الزيات مصر
٣٤ الدكتور احمد زكي 〃
٣٥ الاستاذ احمد لطفي السيد 〃
٣٦ 〃 خليل ثابت 〃
٣٧ الدكتور طه حسين 〃
٣٨ الاستاذ عباس محمود العقاد 〃
٣٩ 〃 عبد الحميد العبادي 〃
٤٠ الدكتور عبد الوهاب عزام 〃
٤١ الشيخ محمد الخضر حسين 〃
٤٢ الأمير يوسف كمال 〃
٤٣ الأستاذ حمد الجاسر المملكة العربية السعودية
٤٤ 〃 خير الدين الزركلي 〃
٤٥ 〃 حسن حسني عبد الوهاب تونس
٤٦ 〃 محمد البشير الابراهيمي الجزائر
٤٧ 〃 عبد الحي الكتاني مراكش
٤٨ 〃 محمد الحجوي 〃

٤٩ الاستاذ احمد اتش تركية
٥٠ 〃 عباس إقبال ايران
٥١ 〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهند
٥٢ 〃 يوسف البنوري باكستان
٥٣ الدكتور بلاشير (رجيس) فرنسة
٥٤ الاستاذ دوسو (رينه) 〃
٥٥ 〃 كولان (جورج) 〃
٥٦ 〃 لاوست (هنري) 〃
٥٧ 〃 مارسيه (وليم) 〃
٥٨ 〃 ماسه (هنري) 〃
٥٩ 〃 ماسينيون (لويس) 〃
٦٠ 〃 أربري (أ. ج.) انكلترة
٦١ 〃 جيب (ه. ا. ر.) 〃
٦٢ 〃 غليوم (الفرد) 〃
٦٣ 〃 بروكلن (كارل) المانية
٦٤ 〃 ريتر (ه.) 〃
٦٥ 〃 هارتمان (ريشارد) 〃
٦٦ 〃 فيليب حتي الولايات المتحدة
٦٧ 〃 سارطون (جورج) 〃
٦٨ 〃 برتل (اينيكين) الاتحاد السوفياتي
٦٩ 〃 غومز (اميليوغارسيا) اسبانية
٧٠ الدكتور اشتولز (كارل) النمسة
٧١ الاستاذ موجيك (هانز) 〃
٧٢ 〃 ماهلر (ادوارد) المجر
٧٣ 〃 جبرايلي (فرنسيسكو) ايطالية
٧٤ الدكتور شخت (يوسف) هولاندة
٧٥ الاستاذ بدرسن (جون) الدانيمرك
٧٦ 〃 كرسيكو (يوحنا هتن) فنلاندة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢	« سليم البخاري	«
٣	« مسعود الكواكبي	«
٤	الاستاذ الياس قدسي	«
٥	« أنيس سلوم	«
٦	« جميل العظم	«
٧	« سليم عنحوري	«
٨	« عبد الله رعد	«
٩	« رشيد بقدونس	«
١٠	« اديب التقي	«
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	«
١٢	الاستاذ معروف الأرناؤط	«
١٣	السيد محسن الأمين	«
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	«
١٥	« محمد البزم	«
١٦	« سليم الجندي	«
١٧	الأب جرجس شلحت	«
١٨	« جرجس منش	«
١٩	الاستاذ قسطاكي الحمصي	«
٢٠	الشيخ كامل الغزي	«
٢١	الاستاذ ميخائيل الصقال	«
٢٢	الشيخ بدر الدين النعساني	«
٢٣	« راغب الطباخ	«
٢٤	« عبد الحميد الجابري	«
٢٥	الدكتور صالح قنباز	«
٢٦	الشيخ سليمان الأحمد	«
٢٧	الاستاذ ادوار مرقص	«
٢٨	« حسن بيهم	لبنان
٢٩	الأب لويس شيخو	لبنان
٣٠	الشيخ عبد الله البستاني	«
٣١	الاستاذ جبر ضومط	«
٣٢	« عبد الباسط فتح الله	«
٣٣	الشيخ عبد الرحمن سلام	«
٣٤	« مصطفى الغلاييني	«
٣٥	الاستاذ عمر الفاخوري	«
٣٦	« بولس الخولي	«
٣٧	« امين الريحاني	«
٣٨	الامير شكيب ارسلان	«
٣٩	الشيخ ابراهيم منذر	«
٤٠	الاستاذ جرجي يني	«
٤١	الشيخ احمد رضا	«
٤٢	« سعيد الكرمي	فلسطين
٤٣	الاستاذ نخلة زريق	«
٤٤	الشيخ خليل الخالدي	«
٤٥	الاستاذ عبد الله مخلص	«
٤٦	« محمد اسعاف النشاشيبي	«
٤٧	« محمود شكري الآلوسي	العراق
٤٨	« جميل صدقي الزهاوي	«
٤٩	« معروف الرصافي	«
٥٠	« طه الراوي	«
٥١	الاب انستاس ماري الكرملي	«
٥٢	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٥٣	« رفيق العظم	«
٥٤	« احمد كمال	«
٥٥	« احمد تيمور	«

٥٦	الاستاذ احمد زكي	مصر
٥٧	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٨	السيد محمد رشيد رضا	〃
٥٩	الاستاذ حافظ ابراهيم	〃
٦٠	〃 احمد شوقي	〃
٦١	الشيخ احمد الاسكندري	〃
٦٢	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٦٣	〃 داود بركات	〃
٦٤	الدكتور امين المعلوف	〃
٦٥	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٦٦	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٦٧	الدكتور احمد عيسى	〃
٦٨	الأمير عمر طوسون	〃
٦٩	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٧٠	الاستاذ انطون الجميل	〃
٧١	〃 خليل مطران	〃
٧٢	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٧٣	〃 محمد لطفي جمعة	〃
٧٤	الدكتور احمد امين	〃
٧٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٧٦	الاستاذ زكي مغامز	تركية
٧٧	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٧٨	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٧٩	الاستاذ فران (جبريل)	فرنسة
٨٠	〃 كليمان هوار	〃
٨١	〃 بوفا (لوسيان)	〃
٨٢	〃 مالنجو	〃
٨٣	〃 كي (أ ·)	〃
٨٤	〃 رينه باسه	〃
٨٥	الاستاذ ميشو بللير	فرنسة
٨٦	〃 مرجليوث (د · س)	انكلترة
٨٧	〃 بفن	〃
٨٨	〃 براون (ادوارد)	〃
٨٩	〃 كرينكو (فريتز)	〃
٩٠	〃 هومل	المانية
٩١	〃 ساخاو (ادوارد)	〃
٩٢	〃 هوروفيتز (يوسف)	〃
٩٣	〃 هارتمان (مارتين)	〃
٩٤	〃 ميتفوخ (اوجين)	〃
٩٥	« اغناطيوس غولد صيهر	المجر
٩٦	« ماكدونالد (د.ب)	الولايات المتحدة
٩٧	〃 هرزفلد (ارنست)	〃
٩٨	〃 كراتشكوفسكي (أ)	الاتحاد السوفياتي
٩٩	〃 آسين بلاسيوس (ميكل)	اسبانية
١٠٠	〃 لوبس (دافيد)	البرتغال
١٠١	〃 جويدي (اغنازيو)	ايطالية
١٠٢	〃 نالينو (كارلو)	〃
١٠٣	〃 غريفيني (اوجينيو)	〃
١٠٤	〃 مونته (ادوارد)	سويسرة
١٠٥	〃 هس (ج · ج)	〃
١٠٦	〃 كوفالسكي (ت)	بولونية
١٠٧	〃 موزل (الوا)	تشكوسلوفاكية
١٠٨	〃 هوزغرنيه (سنوك)	هولاندة
١٠٩	〃 اراندوك (ك)	〃
١١٠	〃 هوتسما (م · ت)	〃
١١١	〃 بوهل (ف · م · ت)	الدانيمارك
١١٢	الاستاذ استروب (ج)	〃
١١٣	〃 سترستين (ك · ف)	السويد
١١٤	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

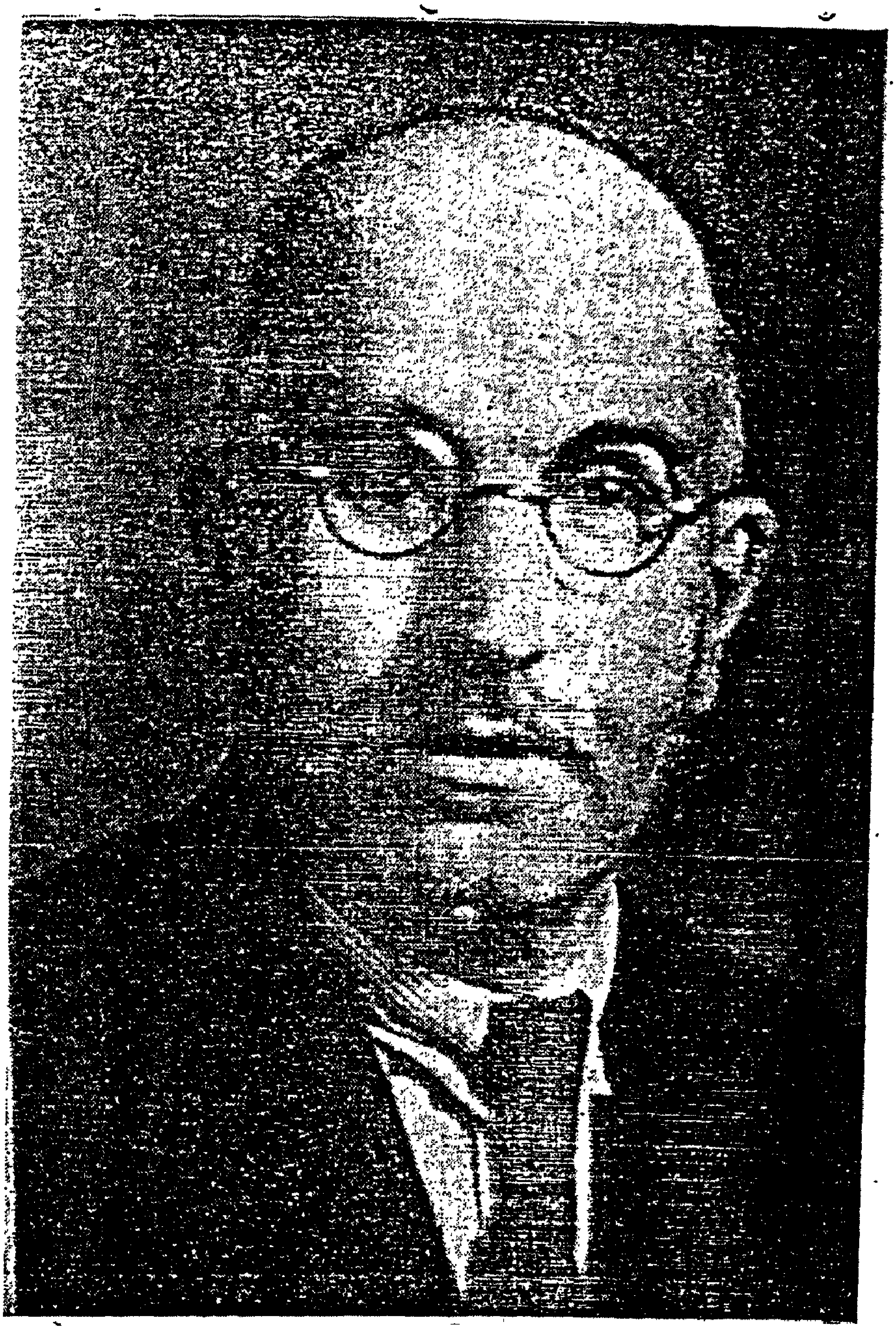

وفاة الأستاذ سليم الجندي

١٨٨٠ - ١٩٥٥ م

وفاة الأستاذ سليم الجندي

في اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥ هـ (٢٤ ـ ١٠ ـ ١٩٥٥ م) استأثر الله بالأستاذ محمد سليم الجندي عضو مجمعنا العلمي العربي ، فكان لنعيه رنة أسى في قلوب إخوانه من أعضاء المجمع وأصدقائه وفي مجامع العلم والأدب في الشام والأقطار العربية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولد الفقيد في معرة النعمان سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) من أسرة عريقة في العلم والفضل يتصل نسبها بالعباس بن عبد المطلب ، وشدا في المعرة شيئاً من النحو والفقه ، ثم انتقل به والده السيد تقي الدين إلى دمشق وتوطنها وهو في أول العقد الثالث من عمره ، فقرأ على علمائها وأدبائها وشارك في أكثر علوم عصره وتبحر في العربية وعلومها وآدابها وتاريخها وتمكن من الفقه والتوحيد والحديث والعلوم الرياضية والطبيعية ...

فلما قام الحكم الفيصلي في دمشق عين الأستاذ الجندي منشئاً في ديوان الحاكم العام وأخذ إلى جانب ذلك بالتدريس في مدرسة الكتاب والمنشئين التي خصصت لموظفي الحكومة ، وكان من غاياتها إصلاح لغة دواوين الحكومة ، فأخذ يقوم المعوج منها ويصحح الفاسد من لغة الجرائد ، وانضم آنئذ الى جمعية (الرابطة الأدبية) . وانتخب في سنة ١٩٢٢ م عضواً في المجمع العلمي العربي فآزر في إنجاح أغراضه ونشر في مجلته كثيراً من الأبحاث القيمة المفيدة . وقد سمي بعد قليل مدرساً للعربية في بعض المدارس الثانوية بدمشق وفي مدرسة الأدب العليا في الجامعة السورية فأفاد طلابه الكثر من علمه وأدبه ونهلوا من فضله وخلقه ، إلى أن أحيل على التقاعد سنة ١٩٤٠ م . ثم عهد إليه بعدئذ بإدارة الكلية الشرعية وظل قائماً بها حتى سنة ١٩٤٨ م .

كان النقيد لطيف المعاشرة ظريف التهكم حاضر النكتة بارع الحديث قوي الحجة جم التواضع نبيل الخلق ، وكان إلى ذلك نقادة للمجتمع والكتب ، لا يجيب سائله إلا بتثبت ومراجعة فلا يلقي الكلام على عواهنه وهذا شأن العلماء المحققين .

وقد تخرج على النقيد كثير من أدباء الشام وعلمائها ، وأحيا الكثير من شوارد ألفاظ العربية واستحدث مصطلحات فصيحة تشتد حاجة العصر الحاضر إليها وكتب لكثير منها الذيوع والانتشار .

أولع الأستاذ الجندي بأبي العلاء المعري وعكف على دراسة آثاره المعروفة كلها ، حتى أصبح حجة في فهم تصانيف المعري وألف في ذلك كتباً لم تنشر بعد . فلما أقام المجمع العلمي العربي مهرجان المعري لمناسبة مرور ألف سنة على مولده قام النقيد بتحقيق (رسالة الملائكة) لأبي العلاء عن مخطوطة وحيدة في العالم موجودة في (دار الكتب الظاهرية) . و (رسالة الملائكة) هذه رسالة ثمينة لا تقل عن (رسالة الغفران) في الكثير من خصائصها .

نشر النقيد كثيراً من الكتب التي قام بتأليفها أو تحقيقها ، ككتاب (معاني الشعر) لأبي عثمان الاشنانداني وقد صححه مع بعض إخوانه ، وكرسائله التي ألفها عن النابغة الذبياني وامرئ القيس وعلي بن أبي طالب وابن المقفع وعن الكرم وعن الطرق وككتابه (عدة الأديب) ، كما اشترك مع بعض أدباء الشام في تأليف سلاسل من الكتب اختاروها من عيون تراثنا الأدبي ككتب (الطرف) و (المستظهر) .

على أن كتبه التي لم تزل مخطوطة أكثر من التي نشرت ، ومن أجلها كتابه في تاريخ المعرة .

رحم الله النقيد رحمة واسعة كفاء خدمته للغة قرآنه وحرصه عليها ونشره لها .

شرح لزوم ما لا يلزم (١)

- ٢ -

أعود الى نقد شرح اللزوميات . وعذري في تأخير هذا المقال أني طوّحتْ بيَ الأسفار ، فلم اطّلع على مجلة المجمع ، ولم أدر أنّ مقالي الأول بلغها فنشرته إلا بعد شهرين من نشره . ثم استأنفتُ السفر بعد اطلاعي عليه ، فلم أجد للكتابة فراغًا ، فعسى أن يعذرني القارئون .

وبعد فننظر في شرح اللزوميات :

اللزومية الثامنة والثلاثون

البيت الأول :

ليشغلْك ما أصبحتَ مرتقبًا له عن العيب يُبدَى والخليلُ يؤنّب

هكذا شكله الشارح . والصواب والخليلِ بالكسر عطفًا على العيب . يعني ليشغلك ما ترتقبه في هذه الدنيا من البلاء والفناء ، عن إبداء عيب الناس وتأنيب الخليل .

اللزومية الحادية بعد الأربعين

فلا يُمسِ فَخّاراً من الفخر عائدٌ الى عنصر الفَخّار للنفع يُضرَب

لعلّ إناءً منه يُصنَع مرّةً فيأكل فيه من أراد ويشرب

المعنى بيّن . يريد أبو العلاء : لا يكن فخاراً ، أي كثير الفخر ، من هو عائد الى أن يكون فخاراً فيضرب للنفع أي تُصاغ منه آنية ينتفع بها . وهذا ما بيّنه في البيت الثاني : لعل إناء الخ .

(١) تتمة لما نشر في الصفحة ٤٩١ من المجلد الثلاثين

ويقول الشارح : « والنفع يضرب أي هذا حديث يساق ليفيد الناس منه عظة وعبرة » .

فانظر كيف حاد عن المعنى وقطع سياق الكلام .

اللزومية السادسة والأربعون

أتوهمني بالمكر أنك نافعي وما أنت إلا في حبالك جاذب

المعنى واضح . يقول الشاعر : أتمكر بي لتوهمني أنك تريد نفعي ، وأنت لا تجر النفع إلا الى نفسك ، تجذب في حبائلك أنت لا في حبال غيرك .

فانظر ما يقول الشارح :

والحبال جمع حَبَل ما يصاد به . . إلى أن يقول : « والجذب المدّ . أي موسع لي في وسائل الاغواء لتصيب مني مقتلاً . وقد تكون الحبال جمع حَبْل بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون الجذب هنا بمعنى القطع ويكون المعنى أنه يخيل له أنه على عهده ووده وهو يكيد له ويمكر به » اهـ .

فانظر كيف بعد عن القريب ، وحاد عن الواضح .

اللزومية الخمسون

لا تسأل الضيف ان أطعمته ظُهُراً بالليل : هل لك في بعض القرى أرب ؟

والصواب ظُهْراً بضم الهاء ليستقيم الوزن مع الأبيات الأخرى .

اللزومية الرابعة والخمسون

في البدو خُرّاب أذواد مسوّمة وفي الجوامع والأسواق خُرّاب

فهؤلاء تسمّوا بالعدول أو التجار واسم أولاك القوم أعراب

يقول الشارح :

« والعدول الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى . الواحد عادل » .

وظاهر أن المدول جمع عدل وهم الشهود المدّلون الذين كان الناس يستشهدون بهم ويسجلون عندهم فيقبل القضاة شهادتهم . فهذا معنى خاص ، غير معنى العادل على إطلاقه .

اللزومية الخامسة والخمسون

يقول فيها أبو العلاء :

أري جُنحَ الدجى أوفى جناحيها ومات غرابُه الجَونُ المرِبّ
فما للنَّسر ليس يطير فيه وعَقربه المُضبَّة لا تَدِبّ

وبيّن أن الشاعر يريد أن يقول ان الظلام بسط جَناحيه على العالم وليس لهذا الليل انجلاء . أعرب عن هذا بقوله : ومات غرابه . يعني أنه لا يتحرك . وقديمًا شبّه الشعراء الليل بالغراب . وزاد على هذا سؤاله : كيف لا تزول كواكب هذا الليل كما تزول الكواكب في الليالي . فنسره لا يطير وعقربه لا تدب .

هذا بيّن من لفظ الشاعر ومن مذهب أبي العلاء في التشاؤم وتصوير العالم مظلمًا لا يزول ظلامه ولا يتجلّى نهاره .

فانظر ما يقول الشارح : « ويريد بموته (موت غرابه) انهزامه وفناءه أمام جيوش النهار ، أي أن ظلامه مهما اشتدت حلكته فهو الى انقشاع » .

ويقول :

« أراد بطيران النسر ودبيب العقرب حركتيهما في مدارهما : أي انه مع انقشاع الليل لا ترى النجوم . وكذلك الأمور الى تبدّل » . اهـ .

ولست بحاجة الى بيان حَيد الشارح عن المعنى وتعسّفه الطريق . فأدع هذا للقاريء .

اللزومية السادسة والخمسون

أقرّوا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حِلّ مباح رويدكُمُ فقد بطل العِتاب

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها والوطء النكاح ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ » .

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج . وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه . ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

اللزومية المتممة للستين

جرى بفراق جيرتنا غُراب فُعالٌ من مقالتهم غريب

يقصد الشاعر أن الغراب مشتق من الغربة على وزن فُعال . وغريب مقول مقالتهم ، أي « غراب » هو وزن فُعال من قول القائل « غريب » .

فانظر ما يقول الشارح اللغوي :

والفُعال بالضم ما تصاغ عليه مصادر الثلاثي الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادّعوا على الغراب من التصويت والصياح والصراخ كأنهم فيها والغربان سواء .

وقال الشارح المعنوي :

« وما أحسب الناس أخطأوا في شيء خطأهم في تسميته واستقامة لفظه من

الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب . إنما هي حياتنا أنبأت بموتنا ، ووجودنا تنبأ بفنائنا » .

وأنا أكل الى القارئ أن يستنبط هذا القول أو ذاك من كلام المعري إن استطاع ، أو أن يجمع بين هذين التفسيرين المختلفين المتباعدين البعيدين مما أراد الشاعر .

اللزوميه الثالثة والستون

تنادوا ظاعنين غداة قالوا　　أصاب الأرض من مطر مُصيب
لعل شوائماً رمقت وميضاً　　تَبيدُ ومالها فيها نصيب
وقد تنجو النفوس بأرض جَدب　　ويُهلك أهلَه المَغني الخصيب

هذا على طريقة أبي العلاء في التشاؤم وارتقاب الهلاك في كل منجاة ، والنعي في كل بشارة .

يقول : يظعن الناس الى مواقع القطر مستبشرين، وما يدريهم لعل الذين يشيمون البرق فيفرحوا به يبيدون قبل أن ينتفعوا بالمطر فلا ينالون نصيباً مما ينبته . وان أدركوا المطر وأخصبوا فما يدريهم لعل النفوس تنجو بأرض مجدبة وتهلك بأرض مخصبة .

فانظر ماذا يقول الشارح :

« انما أنتم روّاد غيث ، ومنتجعو مرعى . قد شمتم البرق فرجّيتموه ، وأمّلتم المطر فتتبعتم مواقعه . وربما أعياكم السحاب فلم تدركوه . وربما أخطأكم الظن فكان برقكم خلّباً وسحابكم جهاماً » اهـ .

ويرى القارئ أن أبا العلاء لم يذكر عدم إدراك السحاب ولا البرق الخلب والسحاب الجهام بل قال لعل شائم البرق يبيد ولا ينال نصيباً منه . إن هذا

الكلام وذاك من مذهب أبي العلاء ولكن ينبغي أن تفسر الألفاظ بمعانيها ، ولا يعدل عنها الى معان أخرى ليست لها وان كانت قريبة منها .

اللزومية الرابعة والستون

شهدت فلم أشاهد غير نُكر وغيّبني المُنى فتى أغيب

هكذا ضبط الشارح «غيّبني المُنى» وشكل الميم بالضم والفتح وقال : والمَنى بالفتح القدر وبالضم والكسر جمع مُنية ومِنية بالكسر أيضاً .

فعلى الأولى فالمعنى أن القدر قد قضى عليه بأن يوجد في هذا الوجود ذي النكر وجعل الوجود فيه تغييباً لأنه حبس للأرواح .

وعلى الثاني فالمعنى أن الأماني غَشَّت به على الأفئدة والألباب وضربت عليها الحجاب» اهـ .

وأقول : الأمر أيسر والمعنى أقرب من هذا الشطط ، وقد أوقعنا التحريف في هذا التعسف . وصواب الجملة وغَيْبَتِيَ المُنى فتى أغيب . يعني أنه يشهد النكر في هذه الحياة ، ومُناه أن يغيب عنها فمتى تتاح له الغيبة أي الموت .

والتحريف في هذا البيت وأبيات أخرى يدعونا الى أن نسأل الشارح : علام اعتمد في ضبط الكتاب ؟ وعلى أي الأصول عوّل ؟ فهو لم يذكر شيئاً عن النسخ التي اعتمد عليها . وكثير من الغلط في الشكل حملتُه على المطبعة . ولا أدري لعل الشارح تبع فيها نسخاً مغلّطة والمطبعة بريئة .

اللزومية الرابعة والسبعون

أقررتُ بالجهل وادعى فَهْمي قومي فأمري وأمرهم عَجَب

هكذا ضبط «فَهْمي» بسكون الهاء والعروض التي بنيت عليها الأبيات تقتضي التحريك «فَهَمي» وهي لفظة مستعملة بل هي أخف وأفصح من فَهْم بالتسكين .

اللزومية الخامسة والسبعون

ما الثريا عنقود كرم مُلاحيّ ولا الليلُ يانع غربيب
ونأى عن مُدامة شفقُ التغريب فليتّق المليكُ الليبُ

هكذا شكل المليكُ بضم الكاف والصواب فتحها أي فليتق الليبُ المليك وهو الله تعالى .

وفي شرح هذه اللزومية مثال مما يأخذه القارئ على الشارح كثيراً من اتباع الأقوال الغريبة ، والمصادر التي لا يعول عليها في موضوعه .

فهو يقول في تفسير الكَرْم ان أصله الكَرَم وهو مصدر وصف به العنب لما ذُلّل من قطوفه وكثر من خيره الخ .

ويزيد الشارح : قال أبو بكر ويسمى الكرْم كَرْماً لأن الخمرة المتخذة منه تحث على السخاء والكرم .

وهذا اشتقاق بعيد وتأويل غريب .

وأمثال هذا التأويل والتخريج غير المقبول يلقى القارئ كثيراً في صفحات الكتاب .

ويقول الشارح في تفسير بيت في هذه اللزومية ذكر فيه جالينوس :

قال المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة .

أقول ليس المعول في تاريخ جالينوس على المسعودي وأمثاله بعد أن اتضح تاريخ اليونان وعرفه المتأخرون تفصيلاً وأوسعوه بحثاً ونقداً .

وفي هذه اللزومية :

صُبّ الرزق للأنام فما يقـطع بالعجز ذلك التسبيب

كذلك شكل الشارح يقطع وقال في الشرح :

« هو يَقطَع بهذا الأمر أي قد انتهى الى صوابه فهو يجزم به » .

أي لا يصح أن يكون هذا التسبب مما يجعلنا نستكين ونرضى بالحياة عجزاً وخنوعاً » .

والصواب في اللفظ والمعنى والأشبه بمذهب الشاعر :

فما يُقطَع بالعجز ذلك التسبيب .

أي سُبِّب الرزق للأنام فنال رزقه القويّ والضعيف ، والقادر والعاجز فما ينقطع سبب الرزق بالعجز .

ويمنع المعنى الذي ذهب اليه الشارح أمران : الأول انه لا يجوز أن يقال سُبِّب الرزق فلا يجوز العجز فان العجز ليس اختياراً . والثاني أن ما بعد الفاء لا يجوز أن يبنى على ما قبلها ان كان المعنى كما ذهب اليه . لا يقال الرزق مسبب فلا تجوز الاستكانة والرضا بالحياة عجزاً وخنوعاً ، بل يقتضي ترتيب الكلام أن يقال الرزق مسبب فلا ينبغي الجد والكدح .

***

هذا بعض ما آخذه على شرح لزوم ما لا يلزم النظرُ العابر والنقد الموجز غير المستقصى وعسى أن تبرأ الأجزاء الآتية من مثل هذه المآخذ .

(جُدَّة) عبد الوهاب عزام

ملاحظات على
ديوان النابغة الشيباني

المطبوع بعناية العلامة أحمد نسيم في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥١

– ٢ –

كنا نشرنا في الجزء الرابع من المجلد الثلاثين (ص ٦٨٤) الشطر الأول من ملاحظات المستشرق المرحوم الأستاذ سالم الكرنكوي على ديوان نابغة بني شيبان . وهذا هو شطرها الثاني :

صفحة	سطر	
٣٣ ،	٤	: مبتلة بكسر التاء .
٣٤ ،	٢	: الأصل ان سخطت يصيد .
	٩	: الأصل أبار .... بارت براءين .
	١٠	: في هامش الأصل خ ويروى وتحُلُّ .
	١١	: في هامش الأصل ويُبدي أي بدل يمضي .
	١٣	: الأصل منتجب بكسر الجيم .
٣٥ ،	٢	: الأصل إلا اتقى .
	١٠	: الأصل مطلِع بكسر اللام .
	١٢	: الأصل يفيض بالفاء .
٣٦ ،	٤	: الأصل يخالقه .
٣٧ ،	٣	: الأصل دقيق الخصر بالدال .
	٤	: الأصل يُصيبُني .
	٨	: الأصل فقرور كذا وهو غلط .
	١٠	: الأصل تغمط بالغين .

صفحة سطر

٣٧ ، ١٢ : الأصل أبو كرب .
٣٨ ، ٧ : الأصل والمُحبّة بضم الميم.وكذا في الشرح .
١٥ : الأصل بني عمرو بن همام .
١٦ : الأصل مشوش قرأت أنا هند بن همام أو قيس بن همام .
٣٩ ، ١ : الأصل مذّ عافية .
٣ : الأصل به عُتِقَ آلُ سامة ، وحديث بني سامة بن لؤي مع مصقلة بن هبيرة مشهور .
١٢ : من بني أبي ربيعة .
١٣ : الأصل الذي أتى ـ قبيصة وهانئ بن مسعود .
٤٠ ، ١ : ابو ثبيت الخ في الأصل أبو مستهرس سعيد بن همام .
٤١ ، ١ : زاد الأصل في آخر الشطر ويروى بجُرْمته .
٧ : في هامش الأصل خ ينفعك .
٤٣ ، ١٣ : في الأصل لقروضنا بالقاف .
٤٤ ، ١ : الأصل امحاه .
٣ : زاد في الأصل ك بعد من كوّة : أو جيش .
٦ : الأصل ورجّات .
٧ : الأصل عَوْد .
٤٦ ، ٨ : الأصل فناجيتُ .
٤٨ ، ٢ : الأصل لمُفرِغ بكسر الراء .
٤٩ ، ١ : الأصل أوْوم .
٨ : الأصل ويروى يَجُوبُ على ذوائبها .
٥٠ ، ٥ : الصواب مَمَدّ بفتح الميم .

صفحة - سطر

٥١ ، ٢ : الأصل قَحْمٌ بالقاف .

٣ : هامش الأصل خ تلفا ـ أي تُلفَى .

٥٨ ، ١ : الأصل في رَقاق بفتح الراء .

٩ : الأصل تَبْدَى .

١٠ : الأصل تُبْدِي .

١٢ : ليس في الأصل لفظ قوي .

٥٩ ، ١١ : هذا الشرح ليس في الأصل .

٦٠ ، ٤ : الأصل غيهم بالمعجمة .

٦١ ، ٤ : في هامش الأصل الأرجوان ـ شرحاً للباغز .

٨ : الأصل بُصنِعَت .

٦٣ ، ٢ : الأصل ذلّ بالذال وكتب تحته : ودَقّ .

١١ : الأصل فُحاق بكسر الميم وضمها معاً .

١٣ : الأصل قحاً بالقاف .

٦٤ ، ١٠ : الأصل يركب بكسر الباء .

٦٥ ، ٦ : في هامش الأصل عذاب ماء .

٨ : الأصل تُفلّج .

٦٦ ، ٢ : الأصل ذات تاى ـ والصواب ذات ثأى بالمثلثة .

٦٧ ، ٤ : الأصل تُشبع بضم التاء ، يتبعه شرح : اقصّت أي قد لقحت .

٦ : الشرح في الأصل هكذا مُمرج ذبال نار الحباحب

٦٩ ، ٢ : الأصل جاء بليلٍ يبهنس في أدغال ، والوزن لا يستقيم .

٨ : الأصل القحم بالقاف ـ تِنبال بكسر التاء .

صفحة	سطر	
٦٩ ،	١١	: الأصل بالخفال بعلامة إهمال الحاء .
٧٠ ،	١	: الأصل المُبْرِن بضم العين .
	٥	: الأصل كَبّ بالباء .
٧١ ،	١	: الأصل فاذا أبرزَتْ جفان من الشيزَى . . .
٧٢ ،	١	: الأصل تَزِفِي بفتح التاء وكسر الفاء .
	٤	: الأصل اذ حُدِيَت .
	٥	: الأصل مناعمة .
٧٣ ،	٢	: الأصل تزها ـ أي تَزْهَى .
٧٤ ،	٧	: الأصل فِتْيان . .
٧٥ ،	٦	: لم أجد هذا السطر في الأصل .
	١١	: الأصل يُعتَنَى .
٧٦ ،	٢	: الأصل ظهرتْ حاجتي بما قلتُ .
٧٨ ،	٥	: الأصل عَوْدُ يُجِدُّ .
	٦	: الأصل مسنِفة بكسر النون .
٧٩ ،	٣	: الأصل حَشَدَتْ .
	٤	: الأصل لها كُباش .
	٥	: الأصل مغضوب أحبّ إليّ ، يغضبها .
	٧	: الأصل ثمّتْ تَناصَتْ .
	٨	: الأصل رِبطاً بكسر الراء .
٨٣ ،	١	: الأصل يِلبك بكسر اللام .
	٣	: تعبُّد .
	٨	: هامش الأصل خ وتَنَيشْ .
	٩	: هامش يحش دفيف (كذا) .

صفحة	سطر	
٨٥ ،	١٣	: الأصل خصية كما طبع ولكن الصواب حُصَّيَّة بالحاء المهملة من الحُصّ وهو الزعفران .
٨٦ ،	١٤	: الأصل في الشُدق بضم الشين جمع اشدق .
٨٧ ،	٧	: الأصل يحْبَوْنَ (كذا) .
٨٨ ،	٤	: الأصل عاضبات . الكُبْكُبْش بضمتين وفي الهامش كُبَنْش و كُبُنْش .
	١١	: الأصل والِحشْو ما في بطنه (بكسر الحاء وبغير هاء) . . . حتى مرّق بحِشوته .
٨٩ ،	٧	: الأصل ذاك فِعْلي . . . غير .
	١١	: الاصل من رُحْبَةٍ .
	١١	: الاصل ُخَبَّةٍ .
٩٠ ،	١٠	: في الاصل شقل كما في المطبوعة والصواب شَمَل بالعين .
٩١ ،	٣	: الاصل له سحيقة .
	٦	: الاصل ترى الهزالى مُقيا .
٩٢ ،	٢	: كتب تحت فالنبت : وفالنف . . رواية أخرى .
٩٣ ،	٤	: مؤتنفاً بالفاء أي أُنُفًا .
	٥	: الاصل المسقولة بالسين لعلها لغة بني شيبان .
	٧	: الاصل إن شجّ .
	١٠	: الاصل نخوته .
٩٤ ،	٤	: الاصل مفاصلُها . . . من دُنْها (كذا) .
	٧	: الاصل الرعبان تعهدها .
٩٥ ،	٤	: الاصل كما يَهْبُ .
٩٦ ،	٥	: الاصل ان جاءت وان عظمت .

صفحة	سطر	
٩٧	٥	: الاصل تحوى لما حُوّل .
٩٨	٤	: الاصل نَقِلُ .
	٦	: الاصل تَمالكُها .
	٨	: الاصل صعراً وهي قد ذَبُلَت ... قد ذَبُلُوا ، بضم الباء .
٩٩	٤	: الاصل يؤوب (كذا) .
١٠٠	٤	: زاد في الاصل لكثرة الجراحات .
١٠٢	١	: الاصل قَرِحُ بالقاف .
	٦	: الاصل تَلْتَميحُ .
١٠٣	٧	: الاصل حناها .
١٠٤	٣ و ٤	: الأصل شُقُق بضمتين ـ ما المَنْدَى .
	٦	: الأصل الإرخ بكسر الألف .
	٧	: الاصل المعَفّر بالعين وتشديد الفاء .
	٤	: الاصل قِدّح بكسر القاف .
١٠٥	١	: الاصل خائفةّ .
	٢	: الاصل صرفت بالراء .
	٤	: الاصل مَحَج بجاءين أي سمَن .
١٠٦	١	: الاصل رَفّسَها .
	١١	: الاصل صَلُحوا بضم اللام .
	١٢	: الاصل متصيح بكسر الصاد .
١٠٨	١	: الاصل والجد ذخر
	٧	: الاصل داود عَقل .
	٨	: الاصل واحيٍ .

صفحة	سطر	
١٠٨	١٢	: هذه الورقة فيها ثقوب دبدان صعبة القراءة فقرأت أنا كان حمولها ورحالها .
١٠٩	١	: قرأت من كُلْفتها .
١١٠	٥	: الاصل يَسُحُّ بضم السين .
	٧	: قرأت أنا تمامها بدل قوامها .
	١٠	: الاصل نُشبّه .
١١١	٤	: الاصل جُلالها ـ أي جُلَى لغة بني شيبان في جُلِيَ .
	٥	: الاصل تعامها .
١١٢	١	: الاصل حتى اذا أغفت ومات ...... حَفش الاكامَ ... والصواب ماث بالمثلثة وكذا في سطر ٢ .
	٣	: الاصل مبعّقة بفتح العين .
	١٠	: الاصل رُحما بعلامة إهمال الحاء .
١١٣	٢	: الاصل عِفاؤها بكسر العين .
١١٤	٣	: الاصل يُنْبِي .
١١٦	٤	: الاصل غُمْضٍ .
١١٧	٥	: الاصل صادفت بالفاء .
١١٨	١	: الاصل فأقتل .
	٦	: الاصل عنا (كذا) .
١١٩	٢	: هذا السطر من زيادات الشنقيطي .
	٣	: الاصل الحارص (كذا) وهو تصحيف ظاهر .
	٨	: النِّقض بكسر النون .

صفحة	سطر	
١٢٠	٥	: هذا السطر ليس في الاصل .
	١١	: الاصل ورجاح .
	١٢	: الاصل تَخْشَ يوماً ذلّة .
	١٤	: الاصل مدرِّب بكسر الراء .
١٢١	٣	: الاصل مُنْجِزْ .
	٨	: فقال يعتق : ليس في الأصل .
	١٠	: في الاصل حِفافه . أظنه غلطاً .
١٢٢	١	: في الاصل ولا يرواح .
	٤	: في الاصل القَفاح بفتح القاف وهو غلط .
	٥	: في الاصل في الفرند بكسر الفاء والراء وهو غلط .
١٢٥	٧	: في الاصل حَسود دوحزابنة .
	٢	: في الاصل ضاف بالضاد المعجمة .
	٩	: في الاصل وردّني أهل ودّي .
١٢٦	١	: الاصل مَنْ هم .
	٦	: في الاصل هذا بهذا .
	٨	: في الاصل والحتف بعلامة اهمال الحاء والتاء المثناة .
١٢٧	٢	: في الاصل يَهِش بكسر الهاء .
١٢٨	٣	: في الاصل يِمِلِّيها بكسر الميم فاللام .
	٥	: في الاصل المِيمِر بكسر الهاء .
	٧	: في الاصل مَرَفّع بالفاء .
	٩	: في الاصل بحار ابصار .

صفحة	سطر	
١٢٨ ،	١٢	: في الأصل المستقَى بفتح القاف .
١٢٩ ،	٨	: في الأصل تَحْذَى بفتح التاء وفي الهامش خ وتحذى بلا شكل أي تُحذى .
١٣٠ ،	٣	: في الأصل مِن دارِها قَذَفُ .
١٣١ ،	٨	: في الأصل يَقْدَمُها عرفاء عزباء بعلامة إهمال العين .
	١٠	: في الأصل بأكيكَ النخض .
١٣٢ ،	١	: في الأصل بناها الدَّرُّ .
	٢	: في الأصل نباها الدرّ بتقديم النون .
	٣	: في الأصل ذِلاّ يوم تَعْتَرِفُ .
	٧	: البرقُ .
١٣٣ ،	٥	: في الأصل ويروى كالقد يسوسها ، ويسوسها الخ .
	٦	: في الأصل دِينا بكسر الدال وكذا في الشرح .

ثم تبقى أشياء غير مهمة اختلفت الطبعة عن النسخة الأصلية التي نقلت عنها ولا شك نسخة الشنقيطي التي في خزانة دار الكتب بالقاهرة ، مثلاً ورد لفظ يعف في جميع المواضع بفتح الفاء بدل الضم فلا أدري هل هي لغة بني شيبان أم غلط من الناسخ ويظهر أن الشنقيطي إما كتب نسخته عجلاً أو غيّر رواية الأصل عمداً لأنه رأى في رواية الأصل أوهاماً من كاتب النسخة والنسخة الأصلية جيدة الكتابة تامة الشكل إلا ان التصاوير ليست عندي اليوم فلا يمكن الرجوع اليها .

رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء

وقفتُ على هذه الرسالة وهي مما أطلع عليه بعضُ علماء طهران عاصمة إيران الإمامَ العلامة البحاثة المرحوم السيد محسن الأمين عضو المجمع العلمي العربي المتوفى سنة ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م) فكتبها بخطه وعنه نقلتُها في ذلك البلد ولم يذكر فيها اسمُ مؤلفها ولا عصرُه ولكن يشعر ذكره لآخر رجل من علماء الآخرة وسنة وفاته وهي سنة ٨٩٥ أنه من رجال المائة العاشرة الهجرية ولم أقف على النسخة الأصلية لأصفها وقد راجعت كشف الظنون فلم أجد به للرسالة والمؤلف ذكراً .

أما هذه الرسالة فيبين المؤلف غرضه من تأليفها بقوله في مفتتحها بعد البسملة والحمدلة والصلوة :

هذه رسالة بهية ومقالة شهية فيها ما اشتهر من العلوم والعلماء ولم آلُ جهداً في استقراء الأواخر واستقصاء القدماء وأسأل الله تعالى أن يجعلني من العلماء الصالحين ويفتح على قلبي أبواب الرحمة إنه خير الفاتحين .

وهذه المامة بمحتوياتها تراها كافية في التدليل عليها ، ولعل في من يعنى من الباحثين بتراثنا العلمي وما خلفه لنا الأجداد ، وكثير منه لم يرزق الحظ بتكاثر نسخه ، من يكشف عن مؤلفها القناع ، ابتدأ الرسالة بتفصيل العلوم فقالـــ :

العلم المدون صنفان أحدهما ما دوّنه علماء الاسلام والثاني الحكماء الذين كانوا قبل بعثة نبينا (ﷺ) . أما الأول فمنه علم العربية المسمى بعلم الأدب وهو كما قال المحقق الشريف في شرح المفتاح : علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً وكتابة . وينقسم على ما صرحوا الى اثني عشر قسماً فمنها أصول هي العمدة في ذلك ومنها فروع .

فالأصول ما يبحث فيها اما عن المفردات من حيث جوهرها وموادها فعلم اللغة ومن حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف أو من حيث انتساب بعضها الى بعض

بالإصالة أو الفرعية فعلم الاشتقاق . واما عن المركبات على الإطلاق . فاما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمانيها الأصلية فعلم النحو أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعاني أو باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح فعلم البيان واما عن المركبات الموزونة فاما من حيث وزنها فعلم العروض ومن حيث أواخر أبياتها فعلم القافية .

وأما الفروع فالبحث فيها اما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر أو بالمنثور فعلم إنشاء النثر من الرسائل والخطب أو لا يختص بشيء فعلم المحاضرات ومنه التواريخ . أما البديع فقد جعلوه ذيلاً لعلمي البلاغة .

ثم ذكر تنبيهات ستة عرض فيها لإطلاق علم اللغة على جميع أقسام العربية وللاشتقاق الصغير والكبير وانه علم مستقل عن علم الصرف ولعلمي المعمى والالغز ولتعريف علم العروض وعلم قرض الشعر ولأن علم البديع قسم مستقل من علم العربية وقال : ولعل قرض الشعر والإنشاء جزءان من البديع فانه عبارة عما تعرف به محسنات الكلام منظوماً كان أو منثوراً .

ومنه مما دونه علماء الاسلام علم التفسير وينقسم الى تفسير وهو ما لا يدرك إلا بالنقل كأسباب النزول والقصص وإلى تأويل وهو ما يمكن إدراكه بقواعد العربية . فالقول الأول بلا نقل خطأ . وكذا القول بالثاني بمجرد التشهي وان أصاب فيه . وقد يطلق التأويل على ما يفهمه أرباب القلوب الصافية بالإلهام والمكاشفة . ثم قال : وعلوم المكاشفات لا تغني عن ظاهر التفسير . ومنه علم الحديث وعلم القراءة وعلم الأمثال . ومنه علوم الكلام والفقه والأصول وعلم الجدل ويسمى علم الخلاف وعلم آداب البحث .

ومنه علم الآخرة ، قال : وهو قسمان علم معاملة وعلم مكاشفة ؛ فعلم المعاملة هو علم أحوال القلب بحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها سواء كانت محمودة كالصبر والشكر أو مذمومة كالحسد والحقد وقد أفاض في ذلك الكلام إفاضة ليست من غرضنا . ومنه علم طريق الآخرة . قال : وهو العلم بكيفية تصقيل مرآة القلب عن الأخباث التي هي الحجاب عن الله عز وجل وعن معرفه صفاته وأفعاله وإنما تصفيته وتطهيره بالرياضه وكف النفس عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء في جميع أحوالهم . وهنا أطال البحث وعرض فيه لضبط علوم الاسلام فقال : ان سعادة الانسان منوطة بثلاثة أمور (١) إطاعة الأوامر والنواهي البدنيـة من العبادات وأسباب انتظام أمور الدنيا . (٢) معرفة النفس والمبدأ والمعاد . (٣) معرفة الأوامر والنواهي وهي علم الفقه ومآخذها أصول الفقه . (٤) معرفة الأخلاق هي علم المعاملات ومعرفة النفس ونظائرها اما أن تحصل بالاستدلال أو بالتصفية والرياضة فمعرفتها بالاستدلال هي الكلام ومعرفتها بالتصفية والرياضة هي علم المكاشفة والعلم الذي يعرف به طريق التصفية والرياضة هو علم سلوك الآخرة وإثبات المسائل الفقهية والكلامية موقوف على المناظرة وإفحام المعاندين للدين فلا بد من تدوين آداب البحث وعلم الجدل ولما توقف تحصيل بعض من هذه العلوم وتكميل بعض منها على العلم بالقرآن والحديث . وان علم التفسير والقراءة ومخارج الحروف وعلم الحديث موقوفات على علم العربية وعدّ معرفة هذه العلوم من فروض الكفاية وذكر اختلاف العلماء في تعلم علم الكلام هل هو فرض عين أم فرض كفاية وهل هو مباح أم محرم .

ثم عرّف علم المنطق وبسط الكلام في تعريف الحكمة وتقسيمها الى عملية ونظرية وما يتفرع عنها من العلوم وأطال في ذلك الكلام وكله جم الفائدة جدير بالمعرفة . وبعد فراغه من هذه المباحث الجليلة وتقريبها الى الأذهان عمد

الى تفصيل طبقات العلماء ممن حذقوا علماً من العلوم وتاريخ وفياتهم مبتدئاً بطبقة اللغويين ثم النحويين فأرباب المعاني فأهل العروض والشعر وأرباب الإنشاء فالمؤرخين فالمفسرين فالمحدثين فالقراء فالمتكلمين فالفقهاء ثم الأصوليين فعلماء الآخرة ثم الحكماء القدماء ثم الحكماء الإسلاميين ؛

هذه هي الرسالة وهذا نموذج من محتوياتها بلغت صفحاتها سبعاً وستين من القطع الوسط ، ومنه يعلم ما لنشرها وطبعها من عميم الفائدة إن لم يكن قد عثر على نسخة منها من لهم عظيم العناية بآثار سلفنا الصالح وفوق كل ذي علم عليم .

سليمان ظاهر

أغلاط في حديث أدبي

اتفق أن رأيت في مجلة المصور (العدد ١٥٧٤) الصادر في (١٢/١٢/٥٤) حديثاً نقله السيد طاهر اللوزي - فيما يقول - عن دولة الأستاذ الأديب فارس الخوري وكان إذ ذاك رئيساً لوزراء سورية تحت عنوان (شاعر) ومتعلقنا من هذا الحديث ما نقله السيد اللوزي من قول دولة الأستاذ الخوري (ان العرب لم يكونوا يغتفرون اللحن) ثم ما أورده شاهداً على ذلك من قصة تتضمن إنكار أحد الشعراء على أبي علي القالي روايته وإنشاده بيتاً من الشعر جاء مكسور الوزن بوضع كلمة موضع أخرى وقد وجدنا في هذه القصة من خطأ الطابع والراوي ومن عثرات القلم ما لا يجوز السكوت عليه وقد كتبنا كلمة بينا فيها هذه الأغلاط وبعثنا بها ولعل ذلك كان في اليوم الثالث لصدور العدد ولكن على تتبعنا لأعداد المصور - التي تلت ذلك العدد - مدة طويلة لم نر تلك الكلمة قد نشرت في عدد من أعداد المصور .

وهذا ما جاء في تلك القصة من أغلاط :

١ — عدّ الخطأ في إيراد البيت لحناً وإنما هو كسر في وزن الشعر وهذا لا يسمى لحناً وإنما اللحن في مصطلح علماء الأدب يطلق على ما يخرج به المتكلم على قواعد النحو وقد يمتد على سبيل التوسع والتجوز الى الخروج على قواعد الصرف فمثل قول بعض العامة في حديثهم (على كُلاًّ) يقال له لحن وقول بعضهم (يوكل) مكان (يأكل) قد يطلق عليه على سبيل التوسع والتجوز لحن ٠

٢ — إن رواية البيت عن أبي علي كانت على الصواب وعلى ما يستقيم به الوزن فقد جاء في الحديث هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافهن لأيدينا مناديل

هذا البيت هكذا لا كسر فيه وهو من البسيط وتدرك استقامته بالسليقة الشعرية ٠

فقوله : إن الصواب هو (أعرافها) مكان (أعرافهن) من الخطل والصواب العكس كما لا يخفى فاذا وضعنا (أعرافها) مكان (أعرافهن) يصبح البيت هكذا :

ثم ارتقينا على خيل مطهمة أعرافها لأيدينا مناديل

وهذا ما يدرك بالذوق الشعري أن فيه كسراً ٠

٣ — إن المعروف أن هذا البيت لعبدة بن الطبيب كما جاء في ترجمة أبي علي القالي وهو هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

فأنشده أبو علي هكذا :

ثمت قمنا الى جرد مسومة أعرافها لأيدينا مناديل

والمحفوظ في هذا المعنى لامرئ القيس هذا البيت :

نَمُشُّ بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(نمش : نمسح ، المضهب : المشوي بالنار أو على حجارة محماة) ٠

٤ — ان الذي جاء في الحديث المزوّر إلى دولة الأستاذ الخوري أن المنكر على أبي علي خطأه في إنشاد البيت هو الشاعر (أبو شراعة) وذلك بلا ريب تحريف ويشبه أن يكون هذا منقولاً عن كلام أعجمي والصواب أن المنكر هو (ابن رفاعة الالبيري) .

٥ — انه جاء في الحديث نعت أبي علي القالي بصاحب المعالي هكذا : (أبو علي القالي صاحب المعالي) وهذا من قبيح الخطأ ، والصواب (صاحب الأمالي) إذ ان من المشهور أن أبا علي صاحب الأمالي وهو الكتاب المشهور الذي يعد من أمهات كتب الأدب ولقب (صاحب المعالي) للوزراء لم يكن معروفاً في ذلك الزمن على أنه قد انتشر في ذلك الزمن من الألقاب ما مجه الناس وسخروا منه وعلى هذا قول من قال :

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وفي الحديث أغلاط في الإعراب والإملاء نذكر مثالين منها :

١ — (أرسل من يدعو أبو علي) وظاهر أن هذا لحن والصواب (أبا علي) لأنه مفعول (يدعو) .

٢ — (لامرؤ القيس) والصواب (لامرئ القيس) لأن ما قبل الآخر في هذه الكلمة يتبع الآخر في إعرابه وتوضع الهمزة على الحرف المناسب لحركتها والمناسب للكسرة في لفظ (لامرئ القيس) الياء فتوضع عليها الهمزة .

هذا ونحن نستبعد ان تقع هذه الأغلاط المبينة آنفاً من أديب كذل ما في المثالين الأخيرين فما آفة الأخبار — والأحاديث — إلا رواتها .

(عمان) عبد الله القلقيلي

ملاحظات على مصطلحات كيماوية

-٣-

٥٤ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٨ — وصلات ثنائية double bonds .

قلت : رُبُط مضاعفة ، للتي تدل على تبادل قيمتين من قيم كل من الجوهرين المتحدين أحدهما بالآخر (رمزياً : خطان أو نقطتان كما في الأتيلن مثلاً $H_2C = CH_2$) .

٥٥ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٠ — بوتقة ، بودقة crucible .

قلت بُوطة ، بالضم ، وهي الذي يذيب فيه الصائغ . من الفارسية (پُوته) بالباء المثلثة التحتية ، وهي شبه مقلاة لصهر المعادن . ولم أجد كلمة بوتقة ولا بودقة في المعاجم التي بين يديّ . والأتراك يستعملون الكلمة الفارسية نفسها (بوطة) . وأحسب أن الكلمة الفرنسية (pot) منها أيضاً ، ولكن المطلق الاناء أو القصعة أو الأصيص . والبوطة بالفرنسية هي (creuset) من (creuser) أي حَفَرَ ، جَوَّف ، (جَوَّرَ) الخ .

٥٦ : صفحة ٢٦٨ عمود ٢ سطر ٢٣ — حلقي cyclic .

قلت : دوري ، من دَوْرَة لما يقابل (cycle) التي اصطلح عليها المجمع (انظر ما قلته في الرقم ٢٤ عن كلمة acyclic) ، دفعاً للبس بكلمة (حَلَق) ؛ و (cycle) من اليونانية kuklos ومعناها cercle أي دائرة لا حَلَقة .

٥٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١ — نزع الأمين Desamination .

قلت : خَسْفَمَة ، نحتاً من (خَسَفَ ـ أُمَنَ) أي حَذَفَ الأُمين . وباستعمال كلمة واحدة سهولة لا تخفى خصوصاً للوصف والإضافة والاشتقاق .

فيقال (خسفم – desaminer – مخسفَم – desaminé – تخسفَم) مما يتعذر الإتيان بمثله من الكلمتين .

٥٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٤ — صفّق decanter .

قلت : أبان من (بانوا بينًا وبَيْنُونة فارقوا . والشيءُ بينًا وبُيُونًا وبينونة انقطع . وأبانه غيره . والمرأةُ عن الرجل فهي بائن انفصلت عنه بطلاق . وضربه فأبان رأسه ، والبائن القوس التي بانت عن وترها) ، في كل ذلك معنى الفصل والانفصال . ومعنى الكلمة الافرنجية هو (فصل الجزء الرائق من مائع ، عن ثفالته الراسبة في قعر الوعاء الموضوع فيه والمتروك وشأنه حينًا) . أما الصفّق والإصفاق والتصفيق فهو (تحويل الشراب من إناء لآخر ممزوجًا ليصفو) فهو إذن يوافق الكلمة الفرنسية (tranvaser أي النقل من إناء الى إناء) .

٥٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٥ — تصفيق decantation .

قلت : إبانة (وكذا بالفرنسية decantage) . والإبانة عمل يتم به فصل الجزء الرائق من مائع عن ثفالته (كما جاء آنفًا رقم ٥٨) .

٦٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٧ — محلول عياري normal solution .

قلت : محلول نظامي . وهو المحلول المهيأ على نظام الذرة . أما العياري فهو لما يقابل titré (أو المعاير) وهو الذي يحتوي على كمية معلومة من المادة في لتر من المحلول ، وليس من المشروط أن يكون على النظام الذري . (مثال عليه : محلول فهلنغ – محلول النورانيل) . وبين المحلول النظامي ، والمحلول العياري أو المعاير اختلاف كبير . فكل محلول نظامي محلولٌ معاير وليس كل محلول معاير ، محلولاً نظاميًا .

٦١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٨ — محلول عشر العياري ، المحلول العشري decinormal solution .

قلت : محلول عشر نظاميّ ، للسبب المذكور في الرقم ٦٠ . أما المحلول العشري فهو الذي يحتوي من المادة المذابة فيه على مقدار يوافق ١ الى ١٠ (١٠ بالمئة) دون النظر الى النظام الذري وهو المقصود من الكلمة الفرنسية au dixième فلا يجوز البتة أن يقال (المحلول العشري) لما هو عشر نظامي ، فالبون بينهما شاسع والخطأ واضح .

٦٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٢ — نَزَعَ الايدروجين dehydrogenate .

قلت : خَسْفَجَ ، نحتاً من (خَسَفَ ـ هَدْرَجَ) أي حذف المدرجين . ومن هذه الكلمة الوحدة يسهل اشتقاق الكلمات (خسفجة ـ مُخسفِج ـ مُخسفَج الخ) التي يتعذر الاتيان بمثلها من الكلمتين .

٦٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٣ — نَزْع الايدروجين dehydrogenation .

قلت : خَسْفَجة (انظر الرقم ٦٢) .

٦٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٦ — أزال الماء dehydrate .

قلت : بَلْمَهَ ، نحتاً من (بلا ـ ماء) أي جعله بلا ماء . والاشتقاق منها بعد ذلك يسير : (تَبَلْمَهَ ـ مبلمِه ـ مبلمَه ـ بَلمهة) .

٦٥ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٧ — مزيل الماء dehydrating agent .

قلت : مُبَلْمِه ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٦ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ١٨ — إزالة الماء dehydratation .

قلت : بَلْمَهة ، (انظر الرقم ٦٤) .

٦٧ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٠ — أزال الشعر dépilate .

قلت : لا حاجة الى استعمال كلمتين وفي لغتنا كلمة (جَمَّشَ) موضوعة لهذا الغرض . يقال : جَمَّشَ رأسه حلقه . والجُموش من النورة ، الحالقة ومنها اشتققتُ (مُجَمِّشة) depilatoire وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٦٨ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢١ — إزالة الشعر dépilation .

قلت : تجليش ، (انظر الرقم ٦٧) .

٦٩ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٢ — نَشَّف dessicate,to .

قلت : جَفَّف ، فالتجفيف هو التيبيس وهو المقصود من العمل في دور الكيمياء أو دور الصناعة وغيرها . أما التنشيف فلا بد فيه من استعمال ما يأخذ الماء . يقال : نَشَفَ الماءَ تنشيفاً أخذه بخرقة ، فهو يقابل بالفرنسية sécher . والنشّافة منديل يتمسح به . والنُّشْفَة بفتح فسكون خرقة ينشف بها ماء المطر ويعصر في الأوعية .

٧٠ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٣ — تنشيف dessication .

قلت : تجفيف ، للسبب المذكور في الرقم ٦٩ .

٧١ : صفحة ٢٦٩ عمود ١ سطر ٢٤ — مِنْشاف dessicateur .

قلت : مِجَفّ ، للسبب الذي ذكرته في الرقم ٦٩ . والمِنْشَف أصلح لما يقابل (sechoir) .

٧٢ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٤ — مَقْطَر distillerie .

قلت : مَقْطَرَة ، وزان مفعلة ، اسم مكان . ومجمع فؤاد كان أقرّ قياسية مفعلة للمكان الذي يكثر فيه الشيء من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول عامة سواء أكانت من الحيوان أو النبات أم من الجماد (ج ٢ — ص ٥٣) ، فالمَقْطَرَة ، المكان الذي يكثر فيه تقطير شيء بعينه (ماء ـ غول ـ أشربة روحية ـ عطور الخ) .

٧٣ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٦ — وصلة ثنائية double bond .

قلت : رباط مضاعف (انظر ما ورد في الرقم ٥٤) .

٧٤ : صفحة ٢٦٩ عمود ٢ سطر ١٨ — قارورة قطّارة dropper flask .

قلت : مِسْيَلَة (انظر ما قلته في الرقم ٥٠) اسم آلة من سَيَلَ أي سال قَطَرَانا .

٧٥ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٤ — مستحلب emulsifier .

قلت : مَحْلَبَة ، وزان مفعلة الدال على الذي يفعل .

٧٦ : صفحة ٢٧٠ عمود ١ سطر ٢٧ — حوامض دهنية fatty acids .

قلت : حُمُوض دسمة (لأن حوامض جمع حامضة) .

٧٧ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٣ — مرشِّح filter .

قلت : مِرْشَحَة ، اسم آلة من رَشَح (دون تخصيص من الثلاثي أو الرباعي) .

٧٨ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٤ — رُشَاحة filtrate .

قلت : رُشَاحة ، بالتخفيف وزان فُعَالة (الذي يدل على بقية شيء أو رديئه أو فضالته ، كما هو جلي من الكلمات القديمة التي اشتققتها على الوزن نفسه) .

٧٩ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٨ — مسحوق ناعم fine pouder .

قلت : مسحوق طَهْمَل ، والطهمل هو الذي لا يوجد له حجم إذا مُسَّ ، فسحوق طَهْمَل ، غاية في النعومة ويقابل الكلمة الفرنسية impalpable .

٨٠ صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٦ — مائع fluid .

قلت : سَيَّال ، من السُّيولة . وخصصنا المائع لما يقابل liquide .

٨١ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ١٨ — مُيوعة fluidity .

قلت : سُيُولة ، للسبب المذكور آنفا (رقم ٨٠) .

٨٢ : صفحة ٢٧٠ عمود ٢ سطر ٢٥ — مسبك fondry .

قلت : مَسْبَكَة ، على اسم المكان وزان مفعلة . ومثلها (مَصْهَرَة) من الصَّهْر وأحسبها أكثر ملاءمة من المسبكة لأن fonderie من fondre وهذه من اللاتينية fundere أي أرسبَ في القعر ، ومعناها بالفرنسية (جعلَ الشيء

مائعاً أو أذابه في مائع) . فالصهر غير السبك فالسبك يتضمن معنى القَوْلَبَة (= الإذابة والإفراغ) وليس من المشروط في الصهر القولبة . وأرى أن تخصص (مَسْبَكَة) لما يقابل (lingoterie) ، والقَوْلَبَة لما يقابل (moulage) .

***

هذا ، ولا يتوهمن أننا بملاحظاتنا هذه نبخس أعضاء المجمع الأفاضل جهودهم وكلهم عالم لذوي نحرير ، أو عالم فني قدير . لا بل إننا ممن يكبرون ما بذله هؤلاء الجهابذة من جهد بالغ وما عانوه من مشقة عظيمة في هذا السبيل . فما إيجاد كلمة لمصطلح افرنجي ، هيّن . ولا اشتقاق لكلمة أعجمية ، يسير . ولا ضير على المجتهد أخطأ أم أصاب : فله أجر العمل إن أخطأ ، وله أجران أجر العمل وأجر الإصابة إن أصاب . وفقنا الله جميعاً لما فيه خدمة لغتنا المحبوبة ، من الناحية العلمية وهدانا للصواب فهو الكريم الوهاب .

الكواكبي

فهرس الجزء الأول من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة		
٣	ديوان ابن النقيب	للأستاذ خليل مردم بك
٢٣	الاصطلاحات الفلسفية (١)	للدكتور جميل صليبا
٣٥	حريق الجامع الأموي بدمشق سنة ٧٤٠ هـ	للدكتور صلاح الدين المنجد
٤٨	كتاب الموجز في علم القوافي	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٥٩	مقدمة المرزوقي لشرحه لحماسة أبي تمام (٧)	للأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور
٧٧	إيوانية البحتري (١)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٩٠	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (١)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
١٠٦	أبو الفتح ابن جني (٥)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

١١٩	كتاب التربيع والتدوير للجاحظ	للأستاذ شفيق جبري
١٢٢	تلخيص البيان في مجازات القرآن	للأستاذ محمد بهجة البيطار
١٢٤	توغل العرب في بلاد الشام قبل الإسلام	للأمير جعفر الحسني
١٢٦	كتاب الورقة	للدكتور سامي الدهان
١٢٨	كتاب الريف السوري	للدكتور كاظم الداغستاني
١٣٠	كتاب: ١ – تنبيه النبي. ٢ – تحذير الباد	للأستاذ محمد بهجة البيطار
١٣٦	الشبك	للأمير جعفر الحسني

آراء وأنبــاء

١٣٨	أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦ م	
١٤٠	أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون	
١٤٢	وفاة الأستاذ سليم الجندي	
١٤٥	شرح لزوم ما لا يلزم (٢)	للدكتور عبد الوهاب عزام
١٥٣	ملاحظات على ديوان النابغة الشيباني (٢)	للأستاذ سالم الكرنكوي
١٦٢	رسالة فيما اشتهر من العلوم والعلماء	للأستاذ سليمان ظاهر
١٦٥	أغلاط في حديث أدبي	للأستاذ عبد الله القنقيلي
١٦٨	ملاحظات على مصطلحات كيماوية (٣)	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ – الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٢ – الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٣ – فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ): وضعه الدكتور يوسف العش
٢٤ – ديوان الوأواء الدمشقي: بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٥ – تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى): بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ – تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية): بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.
٢٧ – فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٨ – أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ – طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين.
٣٠ – تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني: بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٣١ – عثرات اللسان: تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣٢ – الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي: شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٣ – خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام، الجزء الأول): بتحقيق الدكتور شكري فيصل
٣٤ – التبصر بالتجارة للجاحظ: بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٥ – المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٦ – تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٧ – بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي

(٣٥–٣٧) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

الجزء الثاني | المجلد الحادي الثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٦ | ١٩ شعبان سنة ١٣٧٥

مجموعة ابن النقيب

أو

بواكير الحدائق والغرف

صاحب هذه المجموعة عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن النقيب وبابن حمزة الحسيني فتى من فتيان الشعر والأدب ، جمع الى صحة الطبع سعة الاطلاع وحسن الاختيار ؛ ولقد سبق لنا أن عرّفنا بديوانه في الجزء الماضي من هذه المجلة (ص ٣ ج ١ م ٣١) ونريد أن نعرّف في هذا الجزء بمجموعته المشتملة على مختارات من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض .

هذه المجموعة مخطوطة لا تزال في المسودة ، مكتوبة بقلم جامعها السيد عبد الرحمن ، نفسه كما يدل على ذلك ما ورد في أعلى الصفحة الأخيرة من المجموعة وهو قوله : (لكاتبه عبد الرحمن الحسيني) وقد خلت من العنوان والمقدمة

والخاتمة ، كما أن بعض أبوابها لم يكمل بعد ، أو لا يزال أبيض لم يكتب به شيء ، وذلك لأن صاحبها توفي شاباً قبل أن ينتهي من جمعها .

وعدد صفحات هذه المجموعة ١٥٦ صفحة (طول الصفحة ٢٠ سم وعرضها ١٣ سم) ولا تتفق في عدد الأسطر ، حسنة الخط مكتوبة بالقلم الفارسي والحبر الأسود على ورق متين صقيل ، إلا عناوين الأبواب فانها مكتوبة بالحمرة ، وكذلك أول كلمة من كل كلام جديد ، ونقط الفصل ، فانها بالحمرة أيضاً ؛ وطريقة الكاتب في الكتابة أن يضع قبل مقول القول - أي في المكان الذي نضع فيه نقطتين متراكبتين - دائرة حمراء في صدرها نقطة حمراء ، وأن يضع بعد صدر كل بيت وبعد عجزه نقطة حمراء .

لما توفي صاحب هذه المجموعة سنة ١٠٨١ هـ كان له طفل اسمه سعدي [1] لم يبلغ السادسة من عمره ، فحفظت له هذه المجموعة ، حتى إذا بلغ أشده ودفعت اليه كتب على الصفحة الثالثة عشرة منها ما نصه : (من كتب الفقير الى عفو ربه المنان محمد سعدي بن عبد الرحمن الحسيني الحنفي . في منتصف سنة ١٠٩٥) ولم يقف عند هذا الحد بل أخذ يزيد على الأصل في بعض الأمكنة الخالية من الصفحات ، ولحسن الحظ كانت زياداته قليلة وكان خطه يختلف اختلافاً بيناً عن خط والده ، فضلاً عن أنه لم يتقيد بطريقة والده في الكتابة وتلوين المداد . وكأنه تبين له فيما بعد أنه لم يكن مصيباً في عمله فشطب على طائفة مما كتب .

ثم انتقلت هذه المجموعة بعد زمن طويل الى السيد عمر زيتونة فكتب على ظاهر الورقة الأولى : (في نوبة الحقير العاجز عمر بن ابراهيم زيتونة في ٢٥ صفر سنة ١٢٦٢) وانتقلت منه الى السيد محمود حمزة مفتي الشام وهي الآن محفوظة عندنا .

(١) ولد السيد سعدي سنة ١٠٧٥ وتوفي سنة ١١٣٢ . سلك الدرر للمرادي ٢/٥٦

تشتمل هذه المجموعة على مختارات جيدة من الشعر في كثير من الأبواب والمعاني والأغراض، أكثرها في وصف محاسن الطبيعة والرياض والأشجار والأزهار والأنهار، وتصوير الجمال والترف والنعيم والصبوة واللهو والشراب ومجالس الأنس والطرب، وما الى ذلك من متع الحياة ومباهجها؛ وهذه عناوين المجموعة كما كتبها جامعها بيده:

١ — في فوّارة الماء
٢ — جريان ماء الأودية
٣ — ماء البئر
٤ — في الحمّام وما ينضاف اليها
٥ — ماء النيل
٦ — ماء دجلة والفرات
٧ — في البساتين
٨ — في الوديان
٩ — في الدور والقصور
١٠ — في الشموع
١١ — في المداخن
١٢ — في البخور
١٣ — في الكوانين
١٤ — في أنواع الطيب
١٥ — في نفس الحبيب وريقه
١٦ — في نور الكتان
١٧ — في نور الباقلا
١٨ — في الزرع وسنبله
١٩ — في الأرجوان
٢٠ — في السفرة والطعام
٢١ — في الحمّام
٢٢ — نزعة في الحسن
٢٣ — نزعة في نعومة البشرة
٢٤ — في الغمز والرمش والايماء
٢٥ — نزعة في الإيماء المعنوي
٢٦ — في لمع الأسرة
٢٧ — في الابتسام
٢٨ — في الحديث والمناجاة والسرار
٢٩ — في السرر والأعكان
٣٠ — في الأعقاب والكراسع
٣١ — في رقة الطبع والفهم
٣٢ — في الدل ورخامة النغمة
٣٣ — في الخجل
٣٤ — في التقبيل والعض والتجميش
٣٥ — في العناق
٣٦ — في العفاف

٣٧ — في المراسلة والمكاتبة
٣٨ — في الطيف والخيال
٣٩ — في عرق الحبيب وعرفه
٤٠ — في نسيم الشراب
٤١ — حباب الكأس
٤٢ — في دبيب الشراب
٤٣ — في الكؤوس الملونة
٤٤ — في صبغ اليد بالكأس
٤٥ — في الندام
٤٦ — في تصاوير الكؤوس
٤٧ — في ربع بساط السكر بما فيه
٤٨ — في نقل المدام
٤٩ — صياح الديوك
٥٠ — في ضرب النواقيس
٥١ — في المصبغات والمخانق والمناديل
٥٢ — في أكاليل الزهر
٥٣ — في المناطق
٥٤ — في يوم رام (١)
٥٥ — في الكلستان (٢)
٥٦ — في خيش النسيم والمروحة
٥٧ — في خيمة الناطور
٥٨ — في النرد
٥٩ — في المداعبة
٦٠ — في الكناية والتعريض
٦١ — في المنى
٦٢ — في الشباب ورونقه
٦٣ — في النعيم ومائه
٦٤ — في الريحان
٦٥ — في الترنجان
٦٦ — في المرزنكوش
٦٧ — في الشاهسفرم
٦٨ — في الخزامى
٦٩ — في النمام
٧٠ — في الآذريون
٧١ — في الحوذان
٧٢ — في الخرم
٧٣ — في الفاح
٧٤ — في الآس
٧٥ — في الفستق
٧٦ — في التفاح

(١) عيد من أعياد الفرس .
(٢) هذا الفصل نثر .

٧٧ — في السفرجل
٧٨ — في تشبيه المحبوب بالرياحين وتذكره بها
٧٩ — في النور والكمائم
٨٠ — في العناب
٨١ — في الشجر على اطلاقه

وطريقته في التدوين أن يذكر المصدر الذي اختار منه ، وبذلك تمكنا من إحصاء مصادره نقلاً عنه وهي :

١ — محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني
٢ — مناهج الفكر ومباهج العبر لجمال الدين محمد بن ابراهيم الوطواط الكتبي الوراق
٣ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام .
٤ — يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
٥ — من غاب عنه المطرب له
٦ — تتمة اليتيمة له
٧ — مركز الإحاطة للسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب
٨ — قطب السرور لأحمد بن القاسم المعروف بالرقيق النديم
٩ — عنوان المرقصات لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي .
١٠ — المرقص والمطرب له
١١ — المغرب في محاسن أهل المغرب له
١٢ — حديقة المنادمة وطريقة المناسمة
١٣ — كتاب الديرة للسري الرفاء
١٤ — قلائد العقيان للفتح ابن خاقان
١٥ — المسهب في أخبار أهل المغرب للحجاري

١٦ – الأوائل لأبي هلال العسكري
١٧ – المحب والمحبوب للسري الرفاء
١٨ – ازدهار الأزهار للتيفاشي
١٩ – ديوان ابن المعتز
٢٠ – نزهة العيون لليافعي
٢١ – رياض الأزهار للشقاشي
٢٢ – نفح الطيب للمقري
٢٣ – لمح الملح لأبي المعالي سعد بن علي الخطيري
٢٤ – التحقيق في شراء الرقيق
٢٥ – الكنايات للجرجاني
٢٦ – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي
٢٧ – ديوان ابن خفاجة الأندلسي
٢٨ – وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٩ – تباشير السرور لابن المعتز
٣٠ – دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن حسن الباخرزي
٣١ – مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس للفتح ابن خاقان
٣٢ – شرح مقامات الحريري للشريشي
٣٣ – حماسة ابن الشجري
٣٤ – الحماسة لأبي تمام الطائي
٣٥ – مجمع الأمثال للميداني
٣٦ – زهر الآداب للحصري
٣٧ – الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني
٣٨ – العقد لابن عبد ربه
٣٩ – الكناية والتعريض للثعالبي

وهذه أمثلة مختصرة من المجموعة تدل على صحة الذوق وحسن الاختيار ؛
ورد في باب فوّارة الماء ما يأتي :

«علي بن الجهم أنشدها له صاحب المحاضرات :

وفوّارةٍ ثأرها في السماء فليست تقصّر عن ثارها
تردُّ على المزن ما أسبلتْ على الأرض من فيض مدرارها

ولبعض الأندلسيين أنشدها المقري وإخاله أنشدها من المناهج ، يصف بركة عليها عدة فوارات :

غضبتْ مجاريها فأظهر غيظها ما في حشاها من خفيٍّ مضمر
وكأنّ نبع الماء من جنباتها والعين تنظر منه أحسن منظر
قضبٌ من البلور أثمر فرعها لما انتهت باللؤلؤ المتحدر»

وورد في باب الحمام وما ينضاف اليها ما يأتي :

«ابو الحسن علي بن حصن الاشبيلي أنشدها له صاحب الذخيرة :

وما راعني إلاّ ابن ورقاء هاتفاً على فننٍ بين الجزيرة والنهرِ
مفستق طوقٍ لازوردي كلكلٍ موشّى الطلى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤٍ وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديد شبا المنقار داجٍ كأنه شبا قلمٍ من فضةٍ مُدّ في حبر
توسّد من فوق الأراك أريكةً ومال على طيٍّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعي مراقاً أرابه بكائي فاستولى على الغصن النضر
وحثّ جناحيه وصفّق طائراً فطار بقلبي حيث طار ولا أدري

وقال يوسف بن هارون الرمادي : بكرت إلى أبي المطرف بن المثنى وألفيت قد بكر قبلي ابن هذيل ، فقال لي ماعندك ؟ فقلت ليس عندي كبير معنى ، ولكن ماعندك أنت ؟ فأخرج من كمه قصيدته التي يقول فيها في صفة الحمامة :

ومرنّةٍ والدجن ينسج فوقها بردين من نورٍ وطلٍّ باكِ
مالتْ على طيّ الجناح وإنما جعلتْ أريكتها قضيب أراك
وترنمتْ لحنـين قد حلّمها بغنـاء مسمعةٍ وأنّـة شاك
ففقدتُ من نفسي لفرط تلهفي نفس الحياة وقلتُ من أبكاك ؟

فأنشدنيها وأنا أعد محاسنها فيها ، فلما أكملها قال لي : انصرف الى المكتب وتأدب حتى تحكم مثل هذا . فكأنه حركني ؛ واتفق انهُ لم يخرج أبو المطرف ذلك اليوم . فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في صفة الحمامة :

أحمامةً فوق الأراكة بيّني بحياة من ابكاك ، من أبكاكِ ؟
أما أنا فبكيت من حرق الهوى وفراق من أهوى، فأنت كذاك ؟

فلما سمعني ابن هذيل قال عارضتني ، قلت لا والله بل ناقضتك ؛ قال فاذهب فقد أخرجتك من المكتب .

وقال على هذه العروض والقافية أبو مروان المعروف بالبلينة من قصيدة أولها :

يوم العقيق غدوتُ من قتلاكِ لما رمت بسهامها عيناكِ

ثم قال في صفة الحمامة :

أحمامةً بكت الهديل وانما طربتْ فغنتْ فوق غصن أراكِ
معشوقة التفويف ذات قلائدٍ غنيتْ جواهرها عن الأسلاك
ناحت على غصنٍ وكل شجٍ بكى يوماً بلا دمع فليس بباك
لو كنتِ صادقةً وكنتِ شجيةً جادت دموعك حين جدّ بكاك »

وورد في باب العفاف ما يلي :

« الشريف الرضي ، اخترت له من أبيات في العفاف أنشدها صاحب الذخيرة :

بتنا ضجيعين في ثوبي هوىً وتقىً يلفنا الشوق من فرعٍ إلى قدمٍ

وبات بارق ذاك الثغر يوضح لي مواقع اللثم في داجٍ من الظلم
وباتت الريح كالغيرى تجاذبنا على الكثيب فضول الريط واللمم
وأكتم الصبح عنها وهي غافلة حتى تكلم عصفورٌ على علم
فقمت أنفض ثوبًا ما تعلقه غير العفاف وراء الغيب والكرم

وأنشد لأبي الوليد بن حزم:

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني ولا رقبةٌ دون الأماني ولا ستر
وفي ساعدي بدرٌ على غصن بانةٍ يود مكاني بين لباته البدر
وفي لحظه كالسكر لا من مدامةٍ ولولا اعتراض الشك قلت هو السكر
وقد سلبته الراح سورة كبره ومال على عطفيه وانقطع العذر
فلم يك إلا ما أباح لي التقى ولم يبق إلا أن تحل لي الخمر»

وفي باب الفدام «روى ابن بسام قول الرضي:

ولما وقفنا بالسراة غديةً وقوفًا لتوديعٍ وردّ سلامِ
تلثم مرتابًا بفضل ردائه فقلت هلالٌ بعد بدر تمام
وقبلته فوق اللثام فقال لي هي الخمر إلا أنها بفدام»

وورد في باب النور والكمائم ما يأتي:

«ابو اسحق ابرهيم بن خفاجة أنشدها له صاحب الذخيرة وذكرناها في غير هذا الموضع عن صاحب المرقص:

وكمامةٍ حدر الصباح قناعها عن صفحةٍ تندى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعت ثغور أقاحه أخلاف كل غمامةٍ مدرار
نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم النوّار
وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت حلي الحباب سوالف الأنهار
فحللتُ حيث الماء صفحة ضاحكٍ جذلٍ وحيث الشط بدء عذار

والريح تنفض بكرةً لمم الربى   والطل ينضح أوجه الأشجار
متقسم الألحاظ بين محاسنٍ   من ردف رابيةٍ وخصر قرار
وأراكةٍ سجع الهديل بفرعها   والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّتْ له أعطافها ولربما   خلعتْ عليه ملاءة الأنوار »

بقي علينا أن نعلم أكان لهذه المجموعة اسم خاص سقط مع ورقة أو أكثر من أولها ، وإذا كان كذلك فما هو اسمها ؟ ذكر السيد سعدي أن والده السيد عبد الرحمن صاحب هذه المجموعة « جمع كتاباً لطيفاً في الأدب سماه (بواكير الحدائق والغرف) فلم يتم ولكن اقتطف منه كتاباً مختصراً سماه (دستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف) وأرسله لقدسي زاده النقيب بالممالك العثمانية » . وفي خزانة المجمع العلمي العربي نسخة مصورة من هذا المختصر الأخير منقولة عن نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠١) أدب . ورد في مقدمتها قول المؤلف : « ... وبعد فلما كان كتابي بواكير الحدائق والغرف ... لم يبلغ الآن مبلغ الكمال ... عولتُ حينئذ على قطافها عند الشروع ، وأخرجتها في تضاعيف هذا المجموع ، وسميته بدستيجة المقتطف من بواكير الحدائق والغرف » .

فالأرجح بعد كل ذلك أن يكون اسم هذه المجموعة (بواكير الحدائق والغرف) .

خليل مردم بك

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢ -

الإرادة

في اللاتينية	Voluntas
في الفرنسية	Volonté
في الانكليزية	Will

الإرادة موضوعة في اللغة لتعيين ما فيه غرض ، وهي في الأصل طلب الشيء ، أو شوق الفاعل الى الفعل ، اذا فعله كف الشوق وحصل المراد (ابن رشد ، تهافت التهافت ص ٤) .

ويشترط في هذا الشوق الى الفعل أن يشعر الفاعل بالغرض الذي يريد بلوغه ، وأن يتوقف عن النزوع اليه توقفاً موقتاً ، وأن يتصور الأسباب الداعية اليه ، والأسباب الصادة عنه ، وأن يدرك قيمة هذه الأسباب ، ويعتمد عليها في عزمه ، وأن ينفذ الفعل في النهاية أو يكف عنه . (Lalande, Vocabulaire de Philosophie, art. Volonté)

فالارادة بهذا المعنى العام هي صورة الفاعلية الشخصية . ولها عند الفلاسفة عدة معان :

أ — الارادة هي نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه . وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، ثم جعلت اسماً لنزوع النفس الى شيء مع الحكم فيه انه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل . والنزوع الاشتياق ، والميل المحبة والقصد (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

فاذا قلنا هذا الرجل قوي الارادة ، وذاك ضعيف الارادة ، دلت الارادة على اتصاف صاحبها بنزوع واع متمكن من نفسه ، وهو نزوع يدفعه الى الفعل بالرغم من مقاومة النزعات الأخرى . فالارادة بهذا المعنى صفة من صفات السجية . وهي تدل بالجملة على نزعة نهائية مستقرة ، أو ميل قوي يحمل صاحبه على الفعل ، ولا يشترط في هذا الميل أن يكون عقيب اعتقاد النفع كما ذهب اليه المعتزلة ، بل مجرد ان يكون حاملاً على الفعل بحيث يستلزمه ويجامعه ، وان تقدم عليه بالذات .

٢ – الارادة هي القوة التي هي مبدأ النزوع وتكون قبل الفعل .

٣ – الارادة هي اعتقاد النفع أو ظنه ، وقيل ميل يتبع ذلك ، فاذا اعتقدنا ان الفعل الفلاني فيه جلب نفع ، أو دفع ضرر ، وجدنا من أنفسنا ميلاً اليه (المواقف للايجي وشرحها للجرجاني ، جزء ٢ ، ص ٢١٥) . والقائل بذلك كثير من المعتزلة ، قالوا ان نسبة القدرة الى طرفي الفعل على السوية ، فاذا حصل اعتقاد النفع أو ظنه في أحد طرفيه ، ترجح على الآخر عند القادر ، وأثرت فيه قدرته .

٤ – والارادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه (تعريفات الجرجاني) ، حتى لقد قال الأشاعرة انها صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع في وقت معين ، وليست مشروطة باعتقاد النفع أو بميل يتبعه ، فان الهارب من السبع ، اذا ظهر له طريقان متساويان في الافضاء الى النجاة ، فانه يختار أحدهما بارادته ، ولا يتوقف في ذلك الاختيار على ترجيح أحدهما لنفع يعتقده فيه ولا على ميل يتبعه (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، مادة الارادة) .

٥ — والارادة في علم الأخلاق هي الاستعداد الخلقي ، وهو إما أن يكون عاماً ، وإما أن يكون خاصاً . فالارادة الصالحة (Bonne volonté) هي العزم الصادق على فعل الخير ، أو هي استعداد الشخص للقيام بالفعل على قدر طاقته . والارادة السيئة (Mauvaise volonté) هي الارادة المتوجهة الى الشر ، أو هي على الأخص صفة رجل يحاول التملص من واجباته ، فلا يقوم بها إلا إذا كان مجبراً عليها .

٦ — ومن الاصطلاحات المألوفة عند فلاسفة القرن الثامن عشر الإرادة العامة (Volonté générale) وهي صفة عاقل يدرك عند تجرده من الأهواء ما يستطيع أن يطلبه من أبناء جنسه وما يحق لأبناء جنسه أن يطلبوه منه . قال ديدرو : « الإرادة الجزئية ظنون ، والارادة العامة صالحة . ولكن قد تقول لي : أين مقر هذه الارادة العامة ، أين يمكنني أن أستشيرها ؟ (الجواب على ذلك) ان هذه الارادة العامة موجودة في مبادئ الحق المكتوب عند جميع الأمم المتمدنة ، وفي الأعمال الاجتماعية للبربر والمتوحشين ، وفي اتفاق أعداء الجنس البشري على بعض الأمور اتفاقاً ضمنياً ، وفي السخط والألم اللذين وهبتهما الطبيعة للحيوان ليقوما عنده مقام القوانين الاجتماعية والانتقام العام» . Diderot, Article, Droit Naturel (Morale) (de l'Encyclopédie.

وقال روسو : « هنالك في الأغلب فرق بين الإرادة العامة وإرادة الكل . فالأولى لا تهتم إلا بالمصلحة المشتركة ، أما الثانية فتهتم بالمصلحة الخاصة ، لأنها ليست سوى مجموع من الإرادات الجزئية » (J. J. Rousseau, Contrat social. liv. II. ch. III) . إن هذه الإرادة العامة هي الأساس الشرعي لكل سيادة . ويشترط في شرعيتها : (١) أن تختص بالمصلحة المشتركة .

(٢) وأن تؤيدها أكثرية المواطنين بعد استشارتهم جميعاً . (٣) وأن لا تتخذ قراراتها لمصلحة شخص دون آخر . ان كل فعل من أفعال السيادة ، أعني كل فعل شرعي من أفعال الارادة العامة يجبر جميع المواطنين ، أو يرعى حقوقهم على قدم المساواة ، فلا يراعي الحاكم إلا الصالح العام ولا يرجح مصلحة فردية على أخرى . ان الارادة الجزئية تميل بطبيعتها الى الترجيح ، أما الإرادة العامة فلا تميل إلا الى المساواة .

٧ — ومن اصطلاحات علماء الاجتماع الارادة المشتركة أو الارادة الجماعية (Volonté Collective) وهي إرادة المجتمع من حيث هو موجود واحد .

٨ — ومن اصطلاحات (وليم جيمس) إرادة الاعتقاد (Will to believe) ، وهي التسليم باعتقادات لا يستطيع العقل أن يبرهن على صدقها ، ولكنه يقبلها مع ذلك لعدم تناقضها ، وللمنافع العملية التي تنشأ عنها . من هذه الاعتقادات الثقة بالنفس ، فهي نافعة في الحياة ، لأنها تزيد قوة الانسان وتعينه على النجاح في أعماله .

٩ — والإرادة عند بعضهم هي الفاعلية الدائمة المتجهة الى جهة معينة وان كانت لاشعورية ، أو هي النزعة الأساسية لكائن واحد أو لجميع الكائنات ، كإرادة الحياة ، أو إرادة القوة ، أو إرادة الشعور .

أما إرادة الحياة (Volonté de vivre) فهي عند (شوبنهاور) المبدأ الكلي للجهد الغريزي الذي يحقق به كل كائن مثال نوعه ، ويناضل ضد الكائنات الأخرى لاستبقاء صورة الحياة الخاصة به .

وأما ارادة القوة (Volonté de puissance) فهي في نظر (نيتشه) مضادة لمعنى الحياة عند (سبنسر) ، ولنزوع الموجود الى التثبت في الوجود عند (اسبينوزا) ، ولارادة الحياة عند (شوبنهاور) . وهي مبدأ لوح قيم جديدة ،

إلا أن الضعفاء يعوقونها عن بلوغ غايتها بتألبهم عليها ، وبتمسكهم بالقيم الخلقية المألوفة .

وأما إرادة الشعور (Volonté de Conscience) فهي عند (فوبه) نزعة أساسية تؤثر في حياة الانسان العقلية والشعورية ، كما تؤثر في تطور الكائنات الحية . إن أول مظهر لهذه النزعة الأساسية ميل الكائن الحي إلى إرجاع كل شيء إلى ذاته ، وشعوره بأنه مركز الجاذبية ، وان جميع الموجودات الأخرى وسائط يعتمد عليها فى فعله وزيادة قوته ووعيه . ولكن هذا النزوع الأناني لا يخلو من الغيرية لأنه يستلزم التفكير في الآخرين ، كما يقتضي الشعور بذوات أخرى ينصب الانسان نفسه أمامها . ففي كل نزوع أناني إذن نزعة غيرية .

١٠ — وفرّقوا بين الاختيار والارادة فقالوا الإرادة نزوع النفس وميلها الى الفعل ، أما الاختيار فهو ميل مع تفضيل ، كأن المختار ينظر الى طرفي المقدور ، والمريد لا ينظر إلا إلى الطرف الذي يريده . قال الفارابي : « إن الانسان قد يتقدم فيختار الأشياء الممكنة ، وتقع إرادته على أشياء غير ممكنة ، مثل ان الانسان يهوى أن لا يموت . والارادة أعم من الاختيار ، فان كل اختيار إرادة ، وليس كل إرادة اختياراً » . (الفارابي ، رسالة المعلم الثاني في جواب مسائل سئل عنها ، ص ٩٨) . وأصل الاختيار افتعال من الخير . ولذا قيل الاختيار ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره ، وهو أخص من الارادة والمشيئة . نعم قد يستعمل المتكلمون الاختيار بمعنى الارادة أيضاً حيث يقولون فاعل بالاختيار وفاعل مختار ، ولكن الاختيار لم يرد بمعنى الارادة في اللغة .

وفرقوا أيضاً بين الارادة والشهوة ، فقالوا إن الانسان قد يريد شرب دواء كريه فيشربه ولا يشتهيه ، بل ينفر عنه ، وقد يشتهي ما لا يريده بل يكرهه ، ولهذا قالوا إرادة المعاصي مما يؤاخذ عليها دون شهوتها .

وفرقوا أخيراً بين الإرادة والمشيئة فقالوا الإرادة طلب الشيء والمشيئة الايجاد ، ولكن المشيئة في الأصل مأخوذة من الشيء وهو اسم للموجود ، وكذلك الارادة فهي تقتضي الوجود لا محالة . فلا فرق إذن بين الإرادة والمشيئة إلا بالنسبة الى الإنسان ، لأن إرادة الانسان قد تحصل من غير أن تتقدمها إرادة الله ، ومشيئته لا تكون إلا بعد مشيئته . أما بالنسبة الى الله فان الإرادة والمشيئة بمعنى واحد .

١١ — والارادة إذا استعملت في الله دلت على معنى سلبي ، ومعناه أنه تعالى غير مغلوب ولا مستكره ، أو على معنى ثبوتي ، ومعناه العلم أو صفة زائدة على العلم . والفلاسفة الذين يقولون ان إرادة الله ليست صفة زائدة على ذاته كإرادتنا يقررون ان إرادته عين حكمته وحكمته عين علمه . والإرادة حقيقة واحدة قديمة قائمة بذاته تعالى ، إذ لو تعددت إرادة الفاعل المختار أو تعلقها لم يكن واحداً من جميع الجهات . وقد قال الحكماء إن إرادته تعالى هي علمه بجميع الموجودات من الأزل الى الأبد ، وبأنه كيف ينبغي أن يكون نظام الوجود حتى يكون على الوجه الأكمل ، وبكيفية صدوره عنه حتى يكون الموجود على وفق المعلوم في أحسن نظام من غير قصد ولا شوق ، ويسمون هذا العلم عناية . وهذا كله يدل على أن الارادة بمعنى الميل أو النزوع أو الشوق لا تستعمل في الله ، لأنه تعالى غني عن كل نزوع وميل ، فمتى قيل أراد فمعناه حكم انه كذا وليس بكذا .

١٢ — والارادة عند المتصوفين هي ابتداء الكد وترك الراحة ، حتى لقد

قال (الجنيد): الإرادة أن يعتقد الإنسان الشيء ثم يعزم عليه ثم يريده. ولا تكون إلا بعد صدق النية، وقيل هي الإقبال بالكلية على الحق والإعراض عن الخلق وابتداء الحكمة. قال ابن سينا: «أول درجات حركات العارفين ما يسمونه هم الإرادة، وهو ما يعتري المستبصر باليقين البرهاني أو الساكن النفس الى العقد الايماني من الرغبة في اعتلاق العروة الوثقى، فيتحرك سره الى القدس لينال من روح الاتصال، فما دامت درجته هذه فهو مريد». (ابن سينا، الاشارات، ص ٢٠٢).

الاستدلال

Ratiocinatio	في اللاتينية
Raisonnement	في الفرنسية
Reasoning	في الانكليزية

الاستدلال في اللغة العربية طلب الدليل، وفي عرف الأصوليين والمتكلمين النظر في الدليل سواء كان استدلالاً بالعلة على المعلول أو بالمعلول على العلة. وقد يخص الأول باسم التعليل والثاني باسم الاستدلال. ولكن الأولى أن يطلق الاستدلال على إقامة الدليل لا على النظر في الدليل، لأن الدليل قول مؤلف من أقوال يلزم من تسليمها لذاتها قول آخر، وليس الاستدلال به النظر في الدليل وإنما هو إقامة الدليل.

والاستدلال عند بعضهم هو انتقال الذهن من الأثر الى المؤثر، أو من المؤثر الى الأثر، أو من أحد الأثرين الى الآخر (تعريفات الجرجاني). فاذا كان انتقالاً من الأثر الى المؤثر أو من المعلول الى العلة سمي استدلالاً أنياً، واذا كان انتقالاً من المؤثر الى الأثر أو من العلة الى المعلول سمي استدلالاً لمياً.

والاستدلال في اصطلاحنا هو تسلسل عدة أحكام مترتبة بعضها على بعض ، بحيث يكون الأخير منها متوقفاً على الأول اضطراراً ، فكل استدلال هو إذن انتقال من حكم الى آخر ، لا بل هو فعل ذهني مؤلف من أحكام متتابعة إذا وضعت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها . وهذا الحكم الأخير لا يكون صادقاً إلا اذا كانت مقدماته صادقة .

وهذا كله يدل على أن المنطق وعلم النفس كليهما يشتركان في بحث الاستدلال . إلا أن المنطقي ينظر في الاستدلال الكامل من حيث هو مؤلف من قضايا مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً ضرورياً ، فيعرف أنواع الاستدلال ، ويرتبها بحسب قيمتها ، ويفرق بين الاستدلالات المنتجة والاستدلالات غير المنتجة ، أما العالم النفسي فيبحث في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني لا من حيث هو صحيح أو فاسد ، فقد تختلف قيمة الحجج العقلية في نظر المنطقي من حيث قربها من الصواب أو بعدها عنه ، ولكن قيمتها في نظر العالم النفسي واحدة ، لأنه إنما ينظر في حركة الذهن ، وكيفية تكون الحجج العقلية ونشوئها ، لا في صحتها وفسادها .

والمتقدمون من فلاسفتنا يقسمون الاستدلال الى ثلاثة أنواع : القياس والاستقراء ، والتمثيل ، « وذلك لأنه اما أن يحكم على الجزئي لثبوت ذلك الحكم في الكلي وهو القياس ، أو يحكم على الكلي لثبوته في الجزئي وهو الاستقراء ، أو يحكم على الجزئي لثبوت الحكم في جزئي آخر وهو التمثيل » (راجع لباب الاشارات لفخر الدين الرازي ، وهي تهذيب اشارات ابن سينا ، ص ٣٢ من طبعة مصر ، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين لفخر الدين الرازي ، ص ٣٢ مع تلخيص المحصل لنصير الدين الطوسي في ذيله) .

والأولى أن يقسم الاستدلال الى استنتاج ، واستقراء ، وتمثيل ، لأن الاستنتاج

أعم من القياس ، وكل قياس فهو استنتاج ، وليس كل استنتاج قياساً (راجع : القياس ، والاستنتاج ، والاستقراء) .

وجملة القول ان الاستدلال هو استنباط قضية من قضية أو من عدة قضايا أخرى ، أو هو حصول التصديق بحكم جديد مختلف عن الأحكام السابقة التي لزم عنها . والمعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الاستدلال هي المعرفة غير المباشرة ، أما المعرفة التي تحصل في الذهن بطريق الحدس فهي المعرفة المباشرة ، وتسمى الأولى معرفة استدلالية أو كلامية (Connaissance discursive) والثانية معرفة حدسية (Connaissance intuitive) (راجع الحدس) .

الاستعداد

في اللاتينية Dispositio

في الفرنسية Disposition

في الانكليزية Disposition

الاستعداد للشيء هو التهيؤ له ، وعند فلاسفة القرون الوسطى هو كيفية تحصل للشيء بتحقق بعض الأسباب والشرائط ، وارتفاع بعض الموانع . وتسمى تلك الكيفية استعداداً ، والقبول اللازم لها إمكاناً استعدادياً وقوة . فللاستعداد إذن معنيان أحدهما الكيفية المهيئة والثاني القبول اللازم لها . قال ابن سينا : « وليس الاستعداد الا مناسبة كاملة لشيء بعينه هو المستعد له . وهذا مثل ان الماء اذا أفرط تسخينه فاجتمعت السخونة الغريبة والصورة المائية ، وهي بعيدة المناسبة للصورة المائية ، وشديدة المناسبة للصورة النارية ، فاذا أفرط ذلك واشتدت المناسبة اشتد الاستعداد فصار من حق الصورة النارية أن تفيض ومن حق هذه أن تبطل » (ابن سينا ، النجاة ، ص ٤٦٢) . فاستعداد الشيء هو

إذن كونه بالقوة القريبة (prochaine) الى الفعل أو البعيدة عنه (éloignée) وهو أقل ثبوتاً من العادة ٠

ونحن نطلق اليوم اسم الاستعداد على الأهليـة (Aptitude) وهي صفة جسمانية أو نفسانية تجعل صاحبها أهلاً لممارسة عمل معين ٠ والاستعداد بهذا المعنى مألوف عند علماء النفس المعاصرين : قال (كلاباريد ـ Claparède) : « ان معنى الأهلية يتضمن معنى الاستعداد الطبيعي والاختلاف الفردي ٠ قد نتكلم أحياناً على الأهليات المكتسبة ونعني بذلك في الحقيقة استعداداً طبيعياً للاستفادة من التجربة ، أو لاكتساب عادة أو سرعة ومهارة ٠ فلو كان لجميع الناس قابلية واحدة واستعداد واحد للاستفادة من التعلم لما كان لمعنى الأهلية فائدة » ، (راجع كتابه Comment diagnostiquer les aptitudes chez les écoliers (1924))

الاستقراء

في اللاتينية	Inductio
في الفرنسية	Induction
في الانكليزية	Induction

الاستقراء في اللغة التتبع ، من استقرى أو استقرأ الأمر اذا تتبعه لمعرفة احواله ، وعند المنطقيين هو الحكم على الكلي لثبوته في الجزئي ٠ قال الخوارزمي : « الاستقراء هو تعرف الشيء الكلي بجميع اشخاصه » (مفاتيح العلوم ص ٩١ من طبعة مصر) ، وقال ابن سينا : « الاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، اما كلها وهو الاستقراء التام ، وأما أكثرها وهو الاستقراء المشهور » (النجاة ص ٩٠) ٠

فالاستقراء إذن قسمان تام وناقص ٠

١ – أما الاستقراء التام (Induction complète) فيسميه بعضهم قياساً مقسماً . ونحن نسميه استقراءً صورياً (Formelle) وهو كما بين آرسطو حكم على الجنس لوجود ذلك الحكم في جميع أنواعه . مثال ذلك الجسم اما حيوان أو نبات أو جماد ، وكل واحد من هذه الأقسام متحيز ، فينتج من ذلك ان كل جسم متحيز . وهذا الاستقراء التام الحاصر لجميع الجزئيات مبني على القسمة . ويشترط في صدقه أن يكون حاصراً لجميع أقسام الكلي وأن لا يؤخذ جزئي مشكوك فيه في أجزاء القسمة . والفرق بين هذا الاستقراء الصوري والقياس ان القياس يحكم على جزئيات الكلي لوجود ذلك الحكم في الكلي ، أما الاستقراء الصوري فيقلب هذا الأمر ويحكم على الكلي لوجود ذلك الحكم في جميع جزئياته ، وهو نافع في البراهين لأنه يلخص الأحكام الجزئية ويجمعها في حكم كلي واحد .

ومن أنواع الاستقراء التام الاستقراء الرياضي (Induction mathématique)، وهو انتقال من الخاص الى التام أو من العام الى الأعم . وهذا الاستقراء الذي ذكره (هنري بوانكاره) فبين أن القضية اذا كانت صادقة بالنسبة الى (ن = ١) و (ن = ٢) كانت صادقة بالنسبة الى جملة (ن + ١) وغيرها من الأعداد التامة ، كان (بوترو) قد أشار اليه قبله فبين أن الرياضيين يبرهنون أولاً على قضية خاصة جزئية ثم ينتقلون منها الى قضية أعم منها . ويسمي (هنري بوانكاره) هذا الاستقراء الرياضي بالاستدلال الارجاعي (Raisonnement par récurrence) (راجع هذا اللفظ) .

٢ – وأما الاستقراء الناقص فهو الحكم على الكلي بما حكم به على بعض جزئياته ، وانما قلنا على بعض جزئياته لأن الحكم لو كان موجوداً في جميع الجزئيات لم يكن استقراءً ناقصاً بل استقراءً تاماً . والمثال في ذلك ان حجم

كل (غاز) متناسب والضغط الواقع عليه تناسباً عكسياً ، لأن الهيدروجين والاوكسيجين والآزوت وغيرها يحقق ذلك . ففي هذا الاستقراء انتقال من الحكم على بعض جزئيات الكلي الى الحكم على جميع جزئياته ، وهو لا يفيد يقيناً تاماً ، بل يفيد ظناً لجواز وجود جزئي آخر لم يستقرأ ويكون حكمه مخالفاً للجزئيات التي استقرئت . «بل ربما كان المختلف فيه والمطلوب بخلاف حكم جميع ما سواه» (ابن سينا ، الاشارات ص ٦٤) . ويسمى هذا الاستقراء الناقص استقراء موسعاً (Amplifiante) لأنه لا ينحصر في الجزئيات التي استقرئت ، بل يتعداها كما قلنا الى جزئيات لم تستقرأ ، ويسمى أيضاً استقراء علمياً لأنه ينتقل من الحوادث الى القانون ، أي من الحكم على الحقائق المشاهدة في زمان ومكان محدودين الى الحكم على جميع الحقائق حكماً عاماً غير محدود بزمان أو مكان ، وقد وضع (بيكون) و (استوارت ميل) قواعد لهذا الاستقراء تسمى بقواعد الاستقراء . (راجع طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة البواقي ، وطريقة التلازم في التغير) . وهي موضوعة لاختبار صحة الفروض العلمية ، إلا انها لا تبرهن على صدق القانون إلاّ بالنسبة الى الحقائق المشاهدة . فلماذا نسلم إذن بقانون طبيعي شامل لجميع الجزئيات ونحن لم نستقرئ هذه الجزئيات كلها ؟ لماذا اعتبرنا ما لم نشاهده بما شهدناه مع أن تجاربنا محدودة في الزمان والمكان ؟ الجواب على ذلك أننا نؤمن بالعلّية ، ونعتقد أيضاً أن الطبيعة خاضعة لنظام عام ثابت لا يشذ عنه في المكان والزمان شيء . ويسمى هذا الاعتقاد مبدأ الحتمية Principe de déterminisme (راجع هذا اللفظ) .

وها هنا ثلاث مسائل لا بد من الإشارة اليها :

آ — هل يستند الاستقراء الناقص الى أساس نفسي ، ما هي العوامل النفسية التي تدعونا الى التسليم بصدق أحكام كلية لم نجربها الا في حالات جزئية محدودة ؟

ب — هل الاستقراء الناقص حق ، ما هي الشروط اللازمة لاختبار صحة الفرضيات .

ج — ما هو مبدأ الاستقراء ، هل يمكننا ان نرجع حالات الاستقراء كلها الى قاعدة منطقية محددة . (راجع Lalande , Vocabulaire de philosophie, art. induction)

الاستنتاج

في اللاتينية Deductio
في الفرنسية Déduction
في الانكليزية Deduction

الاستنتاج في اصطلاحنا هو استخراج النتائج من المقدمات ، وهو اصطلاح جديد ، لا نجده في كتب التعريفات ، ولا في معاجم الاصطلاحات القديمة ، ولكننا نجد الفلاسفة القدماء يستعملونه في كلامهم على القياسات البرهانية دون أن يميزوا هذا الفعل الذهني عن صورة القياس . مثال ذلك قول ابن سينا : «المطلوب الضروري يستنتج في البرهان من الضروريات ، وفي غير البرهان قد يستنتج من غير الضروريات» (الاشارات ص ٨٢) ، وقوله : « ... ان كانت المقدمة سالبة وأريد استنتاج موجبة بقياس الدور فلا يمكن أن يكون المطلوب خاص السلب عن الموضوع ، فلا يسلب عن غيره » (النجاة) . ولم يميز الاستنتاج من حيث هو فعل ذهني عن صورة القياس إلا في الأزمنة الأخيرة ، فأطلقه الفلاسفة المتأخرون على الاستدلال المؤلف من الحكم على صدق قضية تسمى بالتالي (Conséquence) ، لثبوت ذلك الحكم في قضية أو عدة قضايا تسمى بالمبادئ (Principes) . فالصفة الأساسية للاستنتاج هي إذن لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً ، سواء كان ذلك الاستنتاج صورياً كالقياس ، أو تحليلياً أو تركيبياً كالبرهان الرياضي . فاذا أنكرنا النتيجة بعد التسليم بالمبادئ وقعنا في التناقض .

وللاستنتاج ثلاثة أنواع : الاستنتاج الصوري ، والاستنتاج التحليلي ، والاستنتاج التركيبي أو الانشائي .

أما الاستنتاج الصوري (Déduction formelle) فهو القياس (راجع هذا اللفظ) ، وهو استنتاج صدق قضية أو كذبها على افتراض صدق أو كذب قضية واحدة أو عدة قضايا . ومن صفاته : (١) لزوم النتيجة عن المقدمات اضطراراً . (٢) ليس في النتيجة علم زائد على المقدمات . (٣) لا تصدق النتيجه ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها . وهذه الصفة الأخيرة تدل على ان الاستنتاج الصوري هو استنتاج شرطي .

وأما الاستنتاج التحليلي (Déduction analytique) فهو الاستدلال المؤلف من مقدمات مركبة اذا وضعت استخرج العقل منها بسائط داخلة فيها كالبرهان التحليلي (في الرياضيات) المؤلف من سلسلة من القضايا أولها القضية المراد اثباتها وآخرها القضية المعلومة . فاذا انتقلنا من الأولى الى الأخيرة كانت كل قضية نتيجة للتي بعدها ، وكانت القضية الأولى نفسها نتيجة للقضية الأخيرة وصادقة مثلها .

وأما الاستنتاج التركيبي (Déduction synthétique) أو الانشائي (constructive) فهو الانتقال من المبادئ البسيطة الى النتائج المركبة ، مثال ذلك التركيب الرياضي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراراً . وقد سمي انشائياً لأن نتيجته ليست داخلة في مقدماته . بل هي لازمة عنها وزائدة عليها . ان مساواة مجموع زوايا المثلث لزاويتين قائمتين ليست قضية داخلة في القضية المتقدمة عليها في كتاب الهندسة ، بل هي حلقة جديدة في السلسلة لازمة عن الحلقات السابقة اضطراراً . فكل قضية جديدة تكسبنا علماً جديداً زائداً على المقدمات ، وتنقلنا من المعلوم الى المجهول . كأنّ هناك بناء ينشئه العقل إنشاءً ، ويركبه تركيباً . والفرق بين هذا الاستنتاج والقياس أن القياس هو

انتقال من العام الى الخاص ، أما الاستنتاج الانشائي فهو انتقال من الخاص الى العام أو من العام الى الأعم . والنتيجة في القياس داخلة في المقدمات ، في حين ان علاقة المقدم بالتالي في الاستنتاج الرياضي ليست علاقة شمول أو تضمن وإنما هي علاقة التزام . لذلك قال ديكارت : القيــاس المنطقي عقيم ، والاستنتاج الرياضي منتج .

ثم ان الاستنتاج والاستقراء متقابلان ، والطريقة الاستنتاجية المستعملة في العلم الرياضي مضادة للطريقة التجريبية والاستقرائية المتبعة في العلم الطبيعي . ولكن (استوارت ميل) زعم أن هناك تقابلاً بين الاستقراء والقياس ، لا بين الاستقراء والاستنتاج ، لأن الاستقراء هو انتقال من الخاص الى العام ، والقياس انتقال من العام الى الخاص . أما البرهان الاستنتاجي فهو سلسلة من الاستدلالات العقلية المضادة للبرهان التجريبي لا للاستقراء .

وقد زعم ديكارت ان الاستنتاج والحدس متقابلان ، لأن الحدس هو الادراك المباشر لعلاقة المبادئ بالنتائج ، أما الاستنتاج فهو حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد آخر ادراكاً بديهياً . فالعقل اللامتناهي يدرك النتائج في المبادئ دفعة واحدة ، أما العقل المتناهي فلا يدرك إلا عدداً محدوداً من الحقائق ولا يصل الى النتيجة إلا بعد نسيان المبادئ الأولى .

والاستنتاج المتعالي (Déduction transcendentale) عند (كنط) هو البرهان على امكان انطباق الكليات القبلية (a priori) على التجربة ، وهو مقابل للاستنتاج التجريبي القائم على استخراج الكليات العقلية من التجربة الحسية .

(يتبع) جميل صليبا

رسالة الأنوار
المقتبسة من أوار النار

لأمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمود التنوخي

دالت الدولة الأموية، وانتقلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد، ولكن ظلت بلاد الشام أمينة على التراث الأدبي العربي، تتعهده وتنميه، وظلت حواضرها موئل البلغاء من الكتاب والشعراء، ما انقطع نبوغهم فيها ووردوهم إليها. وكان قيام بعض الأسر العربية بتولي شؤونها وتدبير أمورها عوناً على تعهد الأدب حتى لا تنطفئ شعلته ولا تصوّح نبتته. وفي شيء من ذلك يقول أبو منصور الثعالبي في يتيمته: «لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والإسلام ... والسبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم، وسلامة ألسنتهم من الفساد.. ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين آداب السيف والقلم، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ... انبعثت قرائحهم في الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام وأبدعوا ما شاءوا ...»[1]

(١) يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي، (ص ٨ ج ١ ط القاهرة سنة ١٩٣٤).

وظل الأدب الجيد يأرز إلى الشام حتى في العصور التي زهد الناس فيها به ، وانصرفوا عنه إلى الأدب المبتذل الرخيص .

وكان الأدباء يعقدون حلقات للمذاكرة والمناظرة والمحاضرة ويتناشدون أجمل الأشعار مما حفظوا أو نظموا ، وإذا كان في بعض مقامات الحريري وصف خيالي لمثل هذه المجالس الأدبية ففي «رسالة الأنوار» التي ننشرها اليوم وصف حقيقي لجلسة أدبية طريفة ضمت فئة من فضلاء الشام في القرن السادس ، أداروا القول فيها على وصف النار والفحم ، ورووا محاسن ما جاء به الشعراء المتقدمون والعصريون في ذلك .

أما مؤلف هذه الرسالة فهو أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن حمود[1] بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب ، ولد سنة ٥٧٠ / ١١٧٤ ورحل وسمع بدمشق من جماعة من جلة علمائها ، وعني بالأدب . وقد كتب لصاحب صرخد المملوك عز الدين ايبك ووزر له ، حتى قتل عز الدين سنة ٦٢٦ / ١٢٢٩ . ثم توفي المؤلف سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥[2] .

كان التنوخي هذا شاعراً مجيداً ، وله ديوان شعر لم يصل الينا ، ولكن صاحب فوات الوفيات[3] اختار من شعره نماذج جميلة أثبتها في ترجمته له ، وهي في الحث على طلب علم الحديث وفي الوصف والحكمة والغزل والعتاب ... ويذكر من ترجموا له أنه كان خيّراً ديّناً كامل الأدوات .

---

(١) يخطىء بروكلمان عندما يجعل هذا الاسم (محموداً) في كتابه : تاريخ الأدب العربي (G. A. L.) ج ١ ص ٢٥٧ وفي ذيله ج ١ ص ٤٥٧ .

(٢) ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان تطبيع جعل وفاته سنة ٦٣٤ . ثم ورد التاريخ صحيحاً في الذيل .

(٣) في الجزء الثاني ص ١٠ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

وقد جمع كتاباً في الأخبار والنوادر في عشرين مجلداً ضاع في ثنايا الزمن ولم يصل الينا منه إلا اسمه، على أن له كتاباً آخر عرفناه له، واسمه (مفتاح الأفراح [١] في امتداح الراح) في الخمرة وشربها كان قد قدمه للأمير عيسى ابن أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٤/١٢٢٧ [٢] . ومنه مخطوطات في برلين وڤينا والقاهرة ولندن [٣] .

أما الرسالة التي ننشرها له اليوم فلا أعلم أن أحداً ممن تحدثوا عنه قد ذكرها له . وقد وقعتُ عليها عندما كنتُ أنقب في خزانة كتب المجمع العلمي العربي ، فوجدتُ مصورة مخطوط رقمها ٦١ كان المجمع قد اشتراها سنة ١٩٤٣ من أحد الورّاقين الدمشقيين ، وكان قسم التصوير في مطبعة دار الكتب المصرية قد صورها سنة ١٩٣٣ . وقد علمتُ فيما بعد أن مخطوط هذه الرسالة كان موجوداً في خزانة كتب المرحوم الأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي الدمشقي ثم بيع في مصر منذ فترة إلى السيد أمين الخانجي ، ولا ندري أين مقر هذا المخطوط اليوم . ويبدو مما كتب على غلاف هذه الرسالة أنها كانت قد دخلت قبل ذلك في ملك أحد أعيان الشام وهو السيد عبد الكريم بن محمد الحسيني . وكانت هذه الرسالة مضمومة في كناش إلى كتاب (المختار من كتاب الحدائق) في البلاغة ومنثور الحكم من كلام الفضلاء ونوادر البلغاء والفصحاء ، وإلى ثلاث صفحات ألفها قاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد بن يحيى بن محمد بن علي في حل أبيات ثلاثة لابن الرومي . وهذا الكناش مصور برمته في

(١) في بعض نسخ (كشف الظنون) لحاجي خليفة : مفتاح الأرواح .

(٢) وهنا تطبيع آخر وقع في تاريخ الأدب لبروكلمان فقد جعل السنة ١١٢٧ .

(٣) ممن ترجم للمؤلف : محمد بن شاكر الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ في (فوات الوفيات) ، وراغب بن محمود بن هاشم الطباخ في الجزء الرابع من (اعلام النبلاء ، بتاريخ حلب الشهباء) طبعة حلب سنة ١٩٢٥ ، وجرجي زيدان في الجزء الثالث من (تاريخ آداب اللغة العربية) وبروكلمان في (تاريخ الأدب العربي) ....

خزانة المجمع العلمي العربي، وفي دار الكتب المصرية (تحت رقم ٨٥٠٣)، كما يشير إلى ذلك الجزء السابع من قسم الفهارس العربية فيها (ص ٩٦) المنشور سنة ١٩٣٨ م[1].

يقع مخطوط (رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار) في تسع وثلاثين صفحة، في كل منها أحد عشر سطراً في الغالب وقد كتبت في مطلع القرن السابع وسمعها جماعة من كبار فضلاء ذلك العصر على مؤلفها، تجد ثبتاً بأسمائهم في آخر الرسالة كما تجد تاريخ السماع واسم كاتبه هنالك.

وخط الرسالة واضح جلي وشكلها جيد صحيح في الجملة. على أن من عادة الناسخ أن يجعل أحياناً تحت السين ثلاث نقاط وتحت الدال نقطة واحدة ويسهل الهمز ويسقط بعض النقط ويجعل الهمزة - عندما يثبتها - تحت كرسيها، وقد يضع نقطتين فوق الياء وفوق الألف المقصورة ... وفي هامش الرسالة تصويب واستدراك لما أخطأ فيه الناسخ، أثبته من سمع الرسالة من مؤلفها.

***

أما هذه الرسالة فهي طرفة أدبية جميلة، متينة النسج في جملتها، مشرقة الأسلوب في سبكها، فيها صورة دقيقة لناحية مما كان يعنى به أدباء القرن السادس من الأغراض والمعاني، ونموذج جيد من تقدم وذوقهم الأدبي. ولغتها سليمة على العموم ولكن بعض السجع الغالب على الرسالة غث متكلف.

يبدو صاحب الرسالة في مقدمتها برماً بعيشه في حلب، مؤثراً المقام في دمشق، ثم يُظهر في ثنايا الرسالة اعتداده بنفسه، وفخره بشعره، وزهوه بأدبه، واستصغاره أحياناً شأن من عاصره من الشعراء وهو في هذا يذكرنا بابن الأثير في مثله السائر.

وفي الصفحات التالية تنشر هذه الرسالة الفريدة لأول مرة:

(دمشق) عبد الهادي هاشم

---

(١) يجعل مفهرس دار الكتب رسالة الأنوار: مقامة أدبية في وصف نار النجم، وهو تطبيع صحيحه: في وصف نار الفحم.

رسالةُ الأنوار

المقتبسة من أوار[1] النار

صنعة السيد الفاضل الصدر العدل الرضي ، أوحد دهره وفريد عصره ، مقدّم الفصحاء والبلغاء ، أفضل الكتّاب والوزراء ، رئيس الأدباء والشعراء ، أمين الدين أبي الفضل عبد المحسن بن حمّود ابن المحسّن التنوخي الحلبي الكاتب ، أدام الله علاه ، وكبت حسّاده وأعداه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتُ أمليتُ عليك ـ أطال الله في المجد الراسخ بقاءك ، وأدام في الجدّ الشامخ ارتقاءك ، في سعادة تحرس لك المراتب ، وتُخرس عنك لسان العايب والعائب ، ـ بعد محاضرة تجاذبنا أطراف طُرَفها ، ومذاكرة تشاربنا سُلاف سُلْفتها[2] ، ما جرى لي بمجلس ، مع سادة من أهل الأدب ، وجماعة من أتراب الرُتب ، يُعْجِب الأسماعَ حديثُه ، ويُطرِب الطباعَ قديمُه وحديثه ، وتستطرفه النفوس ، ويستلطفه الرئيس والمرءوس ، تُعقَد عليه الخناصر ، ولا يُمَلُّ إيرادُه المتناصر[3] ، فهزّك طرباً ، واستفزّك عُجْباً وعَجَباً ، واقترحتَ عليَّ الاهتمام بتسجيله ، واقتدحتَ زناد الاعتزام لتعجيله ، واستفتحتَ بالتعوذ من تأخيره وتأجيله ، فأنسيتُه « وما أنسانيه إلا الشيطان »[4] ، وأهملته إهمالاً ألهَنيه

(١) الأُوار : اللهب .

(٢) ضبطت هذه الكلمة في الأصل المسموع على المؤلف بفتح السين ، ولكننا نرى الضم أولى ، ومعنى السُلفة كما في اللسان : ما تدخره المرأة لتتحف به من زارها .

(٣) تناصرت الأخبار : صدّق بعضها بعضاً .

(٤) اقتباس من الآية الكريمة ٦٤ من سورة الكهف ١٨ .

الحرمان ؛ ثم أجلت (١) عن الخاطر الغمة ، وأنجلت عن الناظر الظلمة ، وادكرته ولكن بعد أمة (٢) ، فأودعته صحيفة لطيفة ، لتكون على متحملها خفيفة ، وإلى متحفظها أليفة .

وذلك أنه لما كانت سنة ست وتسعين وخمس مائة حدث لي من الضجر بحلب في صفر ، ما أوجب لي عنها السفر ، ونعب به طائر البين وصفر ؛ فخرجت منها لا خائفاً مترقباً (٣) ، بل عن أهل الفضل منقباً ، ورأيت من وجوه الأمل سافراً ما كان متنقباً ، وسعيت لأعلام العلوم متطلباً ، ومع تصاريف الصروف متقلباً .

فلما أظفرتني بدمشق يد السفر ، وأسفرت لي بها طلعة الظفر ، ألفيتها كما وصفها أهل الظرف ، وفيها كل ما يشوق القلب ويروق الطرف ، وتلقاني شيبها وشبابها (٤) ، وشعراؤها وكتابها ، وخطباؤها وحسابها ، بما حسن به عند نفسي اغترابها ، وهجن به لديها وطنها وأترابها ، وأنساني حلب وإن كانت «أول أرض مس جلدي ترابها» (٥) ؛ وحملني أهلها من الكرامة ، ما حملني على اتخاذها دار إقامة ، وقلت : الحمد لله الذي أحلني من فضله دار المقامة (٦) ، وهززت جذوعها فساقطت علي رطباً جنياً (٧) ، وامتريت ضروعها فأدرت لدي حلباً هنياً ، وبلوت (٨) بنيها فألفيت كلا بي حفياً ،

(١) أجلى ، على اللزوم لا التعدية : تفرق وانفرج .
(٢) الأمة : الحين .
(٣) اقتباس من الآية الكريمة ٢٠ من سورة القصص ٢٨ .
(٤) في الأصل : وشبانها ، وما أثبتناه أكثر ملاءمة لأسلوب المؤلف في هذه الرسالة .
(٥) هذا شطر من أبيات ثلاثة اختلف في قائلها وروايتها ، وأشار إلى بعضها أو كلها كثير من كتب اللغة والأدب كاللسان (في نوط) والأمالي (١ / ٨٣) وسمط اللآلي والكامل وزهر الآداب ....
(٦) اقتباس من الآية الكريمة ٣٢ من سورة الملائكة ٣٥ .
(٧) اقتباس من الآية الكريمة ٢٤ من سورة مريم ١٩ .
(٨) في الأصل : وحالفت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .

فما أنسَ لا أنسَ الزمان الذي بها تولّى وعيشاً كنتُ أنهبُه نهبا
وصحبةَ قوم كلّما شئتُ أن أرى وجوهَهم الغرَّ الحسان أرى الشُّهبا
وهل أنا ناسٍ ما يذكّرني به أصيلُ نهاري والنسيمُ إذا هبا

ولما كانت سنة ستمائةٍ عدتُ الى حلب لمهمة عرَضتْ ، ومداواة نفس بالشوق إلى إلفٍ لما مرِضتْ ؛ حتى إذا حللتُ برُحبها ، وحللتُ حُبا[1] السفر للإقامة بها ، واستراحت نفسي باستنشاء روْح صَباها ، لم أجد منها ما كنتُ أعهدُه من عمارة معهَدِ صِباها ؛ فعلمتُ أن محاسن أهل دمشق قد أفسدَتْ عليَّ ناظري ، وأن إحسانهم قد شغل عن سواهم خاطري ، وخفتُ أن تفيظ[2] مهجتي ، لما كادت تغيض بهجتي .

وكان بحلب وزير فاضل ، يعنى بالأفاضل ، ويمطرهم سحائب الفواضل ، وهو نظام الدين أبو الحسين سبط جمال الدين بن الحصين ؛ فعطف عليَّ عطفةَ الظباء على الأطلاء ، وخفَّ إليَّ خفةَ الحنين إلى الأحباء[3] وجذبني الى الوطن ، بما قرُب من الوعظ وما شطن[4] ، ورغّبني في العود إلى المعطن ، بما ظهر من النصح وما بطن ؛ فلم أزِدْ على طول الرياضة إلا شماساً ، ولم أفِدْ على كثرة الترجّي إلا ياسا . وقد كان فاوضني في مثل هذا بدمشق ، وعارضني بأشدّ من هذا القول وأشق ، وهيهات لا يؤثر معوَل الباطل في صفا الحق .

فلما رآني بحلب ، توهم أن خِلفَ خَلَبه قد حلب ، وحكم بأن مضارب عَذْله جاب وجلب ، وحسب أن استعطافه قد خامر خِلْبَ[5] كبِدي فخلَب ، وظنّ

(١) حلَّ الأولى بمعنى نزل وأقام والثانية بمعنى فك ، والحبا أو الحبى بفم أوله وكسره جمع حبوة .
(٢) فاظ يفيظ : مات .
(٣) في الأصل : أطلائها ... وأحبائها . وما ذكرناه من تصحيح الهامش .
(٤) شطن : بَعُد .
(٥) خِلب الكبد : حجابها .

أنه ظفر مني بما كان طلب ؛ فجعل يبشرني بانجاح طلبي ، ويعدني بمخاطبة سلطانه بسببي ، ويقسم بالله جهد أيمانه ليجتهدن في إدراك أربي ؛ فلانت للمقام عريكتي ، وهامت في وادي الانتظار قرونتي ⁽¹⁾ وبشرني التماع أسارير مسرتي ، بمساعدة القضاء على إنجاز قضيتي .

فبينا أنا ذات ليلة ليلاء ، مدلهمة سوداء ، تساورني من أساود الهموم كل ضئيلة رقشاء ، وبواثبني من أسود الطمع كل أغلب وغلباء ، إذ استدعاني الوزير بجماعة من أصحابه ، فيهم مقدم حجابه ، وأمامهم من المشاعل ما أعاد الليل نهاراً ، ومن الشموع ما خلته أشجاراً أثمرت نارا ، وشاع من أشعة أضوائها ما عاد به جرف الظلام منهارا ، وخيلت حنادس الظلماء جنات فاضت (عليها) ⁽²⁾ أنواء الأنوار (فأجرت خلالها) ⁽²⁾ أنهارا . فأيقنت أن ليل الوفاء ⁽³⁾ قد أقمر ، وعود الرجاء قد أثمر ، فنهضت نهوض المنشط من العقال ، وخرجت خروج من أفرج عنه بعد الاعتقال ، وجعلت أمشي مشية المختال ، وأهتز اهتزاز من أظفره بمراده لطف الاحتيال . فلما دخلت عليه ، أجلسني إليه ، وأكرم مثواي ، وهنأني ببلوغ مناي ، فسررت سرور الجدي بعد العدم ، والمهتدي بالعلم بعد الضلال في دياجير الظلم ، ونظرت فإذا مجلسه غاص ، بالفضلاء الخواص ، ومن ذوي الأدب ، بكل من شعر وكتب . وكان فيمن حضر من الأدباء ، سالم بن سعادة الحمصي ⁽⁴⁾ المقدم في زمانه على الشعراء ، ذو الخاطر الماهر ، والشعر الباهر ، والطبع الذي هو لعواصي القوافي قاهر ، والفكر الذي هو لاقتناص شوارد المعاني ساهر ؛ إلا أنه قد

(١) القرونة والعريكة : النفس .

(٢) ما بين القوسين استدراك وزيادة في الهامش .

(٣) في الأصل الخط . وما ذكرناه مأخوذ عن الهامش .

(٤) شاعر معروف توفي سنة ٦١٨ ، وممن أشار إليه ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب) (٥/٨٤) ط . القاهرة سنة ١٣٥٠ .

أرِجَ عليه في ذلك المجلس ، وبين يديه صحيفة ينظر فيها ولا ينبس ، كأنما ينظر في صحيفة المتلمس [1] ؛ فتأملتُ الصحيفة الملقاة ، فإذا فيها مكتوبٌ بعد بسم الله :

اِشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً في شاذمهرَ ودَعْ غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج المُلك تلبَسه من هوذةَ بن علي وابنِ ذي يزن [2]

فقال لي الوزير ــ وكان ممن هو لخرائد المحامد زير [3] ، وبيده زمام التدمير والتدبير ، بيد أن يده كانت مُصانة [4] عن التبذير ، ــ : إنه قد غُنّيَ بين يدي السلطان بهذا الشعر فاستحسنه لما جلّته عليه ماشطةُ السكر ، وخلع على قائله خِلَع الشكر ، وقال بعد ما أعمل في استحسانه عوامل الفكر : أمَا في أهل الأدب بحلب مَن ينظم فينا مثل هذا المعنى ، لنُحِلّه من الشرف أعلى مغنى ، ونجعله ممن كان مُعْثِرا فاستغنى ؟ ثم أرسل بهذه الصحيفة إليّ ، وأمر باحضار الشعراء لديّ ، لأستمريَ [5] مواطرَ خواطرهم المحلولة عزالي المزاد ، وأستقدح قرائحهم الوارية الزناد ، وأستقريَ كوامن ضمائرهم الهائمة في كل واد ، وقد نظم كلٌّ من جواهر بحره ما (عليه) [6] تيسّر ، وتعسر على بعضهم ما تعسر ، وقد كنت مفكراً فيما أعرّض به للسلطان من ذكرك ،

(١) المتلمس : جرير بن عبد المسيح نديم عمرو بن هند ملك الحيرة ، وقصة الصحيفة التي كتبها ابن هند إلى عامله بقتل المتلمس مشهورة في كتب الأدب .
(٢) يضبط الأصل هذا الشطر بفتح الميم في (من) وضم الهاء المتطرفة في هوذة والنون في (بن) و (ابن) . ولما ذهب إليه وجه يفضله في رأينا الشكل الذي أثبتناه . أما هوذة (وهو ابن علي الحنفي صاحب اليمامة ممدوح الأعشى) فقد ضبط بفتح فسكون كما هو المشهور ولكن ذهب قوم إلى ضم أوله وسكون ثانيه ، راجع في ذلك تاج العروس في (هوذ) .
(٣) حذف المؤلف الألف من آخر الكلمة التزاماً للسجع فيما يظهر وله وجه .
(٤) كذا في الأصل وليس في اللغة أصان ، ولعل الناسخ أخطأ فجعل مصانة بدل مصونة ، ولم يفطن السامع والمؤلف .
(٥) استمرى اللبن ونحوه : استخرجه واستدره .
(٦) زيادة من استدراكات الهامش .

وأتوصل به إلى مخاطبته في أمرك ، وقد اتّفقتْ هذه الحركة ، وأرجو أن تكون مُقتَرِنة بالبركة ، ولصيد ما تؤمّل شبكة ؛ فإن رأيتَ أن تَشْوي سَمكتك في هذا الحريق ، وتُنهِج الطريق ، وتَفرج المضيق ، بما تنظمه في هذا المعنى من شعرك الرقيق ، فافعل وبالله التوفيق . ثم أدنى إليَّ دواة وبيضاء ، وقال : استخِرِ اللهَ يُستخَرْ لك القضاء . فأعملتُ جواد الجَنان ، فجرى وما كبا ، وسللتُ حسام اللسان ، ففرى وما نبا ، وكتبتُ ، ما به حاسدي كُبِتَ ، وهو :

أيام مُلكِ غياث الدين ذي المنن ... لدى رعيته من أشرف الزمن[1]

مَلْك خلائقه أصفى لرامقها ... اذا تأملها من رائق المُزُن

وما زجتْ كلٌّ ذي نطق مهابتُه ... لمّا بَلَوْه امتزاجَ الماء باللبن

كأنما سيفُه والموتُ قد قُرِنا ... وأنفسُ القوم يومَ الرَوْع في قَرَن

وأصبحتْ حلبُ البيضاء حين ثوى ... غازٍ بقلعتها من أحسن المُدُن

عرينةٌ الليثُ يحميها فكيف إذا ... كانت عرينتُه من أمنَع القُنَن

فقل له يا غياثَ الدين قد فَخَرت ... بك العواصم في الدنيا على اليمن

لِمْ لا تتيهُ بك البلدان فاخرةً ... وأنتَ منها محلُّ الروح في البدن

فاشربْ بقلعتك الشهباء صافيةً ... صهباءَ تَشفي سَقام الهم والحزن

فأنتَ أحرى بمُلك الأرض أجمعها ... من سيفِ حمدان أو سيف بن ذي يَزَن[2]

لا زلتَ تَرفُل في بُرد العلى مرحاً ... ما غرّدتْ ذاتُ طوق في ذُرى غُصن

ثم أرسل مانظمه الجماعة الى السلطان ، على يد غلام من أقرهِ الغلمان ، فوجده الغلام ، قد استولى عليه كأسا المنام والمُدام ، وأصبح دمعُ كلٍّ من القوم

(١) في صلب النص (على) وفي الهامش (لدى) كما اثبتنا .

(٢) في الأصل المسموع على المؤلف فتحت ميم (من) والأواخر من (سيف) و (بن) . ولهذا الشكل وجه يفضله في رأينا ما أثبتناه . وجاء مثل ذلك في الصفحة السابقة ، راجع الحاشية الثانية فيها .

لتأخر الجواب سائلا ، وراح كلٌّ منهم عما أُنتِجَتْ عُشَراءُ قضيته سائلا ، فلم يُسْمَعْ عن ذلك أثر ، ولا رؤِيَ له عينٌ ولا أثر .

وكان ابنُ سعادة الحمصيُّ كثير الاجتماع بفارس بن سنان الحلبيّ ، وكان فارسٌ من الشعراء المجيدين ، والأدباء المجدودين ، والفضلاء المجتهدين ؛ قد أربى على أقرانه ، وفاق أبناء زمانه ، وله كلُّ شاردة القوافي ، سالمةُ القوادم والخوافي . فاجتمع به صبيحةَ الليلة التي فيها اجتمعنا ، وتَمنَّنا بالحضور والمحاضرة فيها واستمتعنا ، وأخبره بقدومي ، وبلغه تحيتي وتسليمي ، فوافاني من الغد مسلما مُهَنّيا ، وناداني إلى منزله مستدعيا ؛ فأجبتُه الى مُراده ، وانطلقت معه طلقَ العنان الى مَراده ؛ فاذا جماعةٌ من ذوي الأدب حاضرون ، وفي مَيْدان البيان مُحضِرون ، وبأنواع الفصاحة والبلاغة متحاضرون ، فاستبشروا بورودي ، وأقبلوا على تقبيل يدي ؛ فما استقرّ بنا المجلس ، ولا رَجَع نفَسَ المتنفّس ، حتى أحضِر كانونٌ من الصفر الأصفر ، وناره تحت فَحْمه كلابس مِغفر ، على قناع مزعفر[1] ، ودخانه أطيب من دُخَان العودِ الأذفر ، شكله مربّع ، وأرجله أربع ، وقد أحسن فيه صانعه وأبدع ، واستفرغ جُهْده فيه أجمع ، يستوقف حسنه الأبصار ، وتُعوِزُ مثلَه الأمصار ، وتُشَهِّي ناره دخولَ النار ، في يوم بَرْد (كأنّ)[2] كلُّ مُكتَسٍ فيه عارٍ ، وما اكتساء الكساء فيه بعارٍ ، كأنما نارُه وقد خذتْ في أطراف الفَحَم ، ثغرُ سوداء ابتسم ، أو الفجرُ افترّ في وجه الظُّلَم . فراق منظرُه الأعينَ ، وأفحَم عن وصف ناره وفَحمِه الألسنَ ؛ فقلتُ للحاضرين : أمَا ترون هذا المنظر البَهِج ، كأنه صحن عقيق نُثِر عليه سَبَج ؟![3] فقال مَن عن يميني : كأنّ منظره

(١) في المتن : مصفر . والذي أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) زيادة في الهامش .
(٣) السبج : الخرز الأسود .

الأنيق ، بَنَفْسَج نُضِد على شقيق . وقال الآخر : ما أشْبَهه بطبق من ذهب ، مُلِئَ بمسودّ من العنب . وقال رجل الى جانبه : كأنه أناملُ سوداء مُشَبَّكة على نارنجة صفراء .

فقلتُ : أنتم شعراء العصر ، ومالِكو زمام المدّ والقصر ، وفصحاء أبناء الدهر ، وبلغاء البدو والحضر ، ولكم في النظم كلّ عود نضر ، واليكم مرجع الأمر في صنعة الشعر . فما لكم وللنثر ، وقد جمع منكم هذا المكانُ سادةً لا يساعد مثلَه على مثلِها الإمكانُ ، ولا والله ليس له بأختها يدان ، ولو أطاع له القدر ودان ، فأنشِدوا ياذوي الفضائل ، ما رويتموه عن مَن رأيتموه من شعر الأوائل ، فلديكم من الرواية كل فن طائل . فقال صاحب المكان ، وهو فارسُ بن سنان : أجمل ما في مثل هذا أُنشِدَ ، وأجلّ ما به عليه استُشْهِد ، قول ابن المعتز الذي يزداد حسناً كما رُدِّد :

كأنما النــار في تلظّيها والفحم من فوقها يغطّيها[1]
زنجيّة شبّكتْ أناملهــا من فوق نارنجة لتخفيهــا .

وقال سالم بن سعادة ، الذي ما فوق بلاغته زيادة : أبلغ أقاويل الشعراء ، في نار الاصطلاء ، قول السَّرِيّ الرفّاء :

وذي أربع لا يطيق النهوضَ ولا يألفُ السير فيمن سرى
تُضَمِّنُه سبجــاً أسوداً فيجعــله ذهبــاً أحمــرا[2]

وقال الثالث ، فأنسى بإنشاده الثاني والثالث ، وهو أحمد اللالائي الذي هو لكل فضيلة متراثي : أشعَرُ ما خرج من بين شفتين ، وأصنعُ ما ولج في

(١) ليس هذان البيتان في ديوان ابن المعتز المطبوع في القاهرة وبيروت واستانبول ، وتنسبها بعض كتب الأدب إلى غيره وقد تجيء (تلهبها) بدل (تلظيها) .

(٢) أثبت هذين البيتين للسري الرفاء الثعالبي في يتيمته (١/٥١٠ من طبعة القاهرة ١٩٣٤) ولكنه ذكر (تحمله) بدل (تضمنه) .

أذنين ، قولُ أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين [1] :

ومُقْتعَد لا حَراكَ يُنْهِضه   وهو على أربعٍ قد انتصبا
مصفرٍ مُحْرِقٍ تَنَفُّسه   تخاله العينُ عاشقاً وَصِبا
إذا تَظَلَّمْنا في جيده سبجاً   صيَّره بعد ساعة ذهبا

وقال الرابع ، وهو شابٌّ يحسن صورته رائع ، يَشْغَل بصباحته الرائي ويُذْهِل بفصاحته السامع ، دهشتُ عن معرفته ، بما شهدتُ من معرفته : أطرفُ ما أُنشِدَ في هذا المعنى المستجاد ، والطف ما رُدِّد فيه الإنشاد ، ما نظمه فيه ظافرٌ الحدّاد :

كأنّ سواد الفحم من فوق جمره   وقد جُمعا فاستُحْسِنَ الضدّ بالضدّ
غدائرُ خَوْدٍ فرَّقتها وقد بَدَتْ   على خَفَرٍ من تحتها حُمرةُ الخدّ

فقلتُ لهم : ابلَغُ من الجميع ، وأبدعُ من البديع ، وأصنعُ ما صُنِع في هذا المعنى الصنيع ، شعرُ أبي الحسن عليّ بن وكيع [2] :

فَحَمٌ أحضَرَ الغلام إلينا   في كوانينه حياةُ النفوسِ
لقيَ النارَ في ثياب حِدادٍ   فكَسَتْه مُصَبَّغات عَروسِ
كان كالآبنوس غيرَ مُحَلّىً   فانثنى وهو مُذهَبُ الآبنوس

فاستحسنه الشيب والشبّان ، الحاضرون في ذلك المكان ، وقالوا : هذا والله من الأشعار الحسان ، التي تلج الآذان ، بلا استئذان . فقلتُ : كيف لو سمعتم شعرَ بعض المغاربة ، الذي ألحق طوالع كواكب الشعراء بالغاربة ؟ فقالوا : بالله إلاّ أسمعتنا ، وأدمتَ ما به أمتعتنا . فأنشدتُ ، وما ترددتُ :

هاتِ التي للأيْك أصلُ ولادِها   ولها جبين الشمس في الأشماسِ

---

(١) يروي هذه الأبيات صاحب اليتيمة (١٦٧/٢ من الطبعة المذكورة) لأبي بكر الخالدي ولا يشرك فيها أخاه أبا عثمان ، وهو يوردها في قصيدة طويلة .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٣١٧/١ و ٣٤٤ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في روايتها وينسبها لأبي محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي .

أنسُ الوحيد وصبحُ ليل المُنتَشي ولباس مَنْ أمسى بغير لباس
يضاهُ تنزل في السواد كأنما ضُرِبَتْ بعرق في بني العباس

فقالوا : زِدْنا من إنشادك ، لا حدّتَ عن سَنَن رشادك . فأنشدتُهم قول الصنوبري [1] ، الذي هو من الحسن مَبريّ ، ومن العيب بريّ :

أما ترى البردَ قد وافت عساكره وعسكرَ الحرِّ كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت سقيط الثلج تحسبها قد ألبست فنَكاً او غشيت ورقا
فانهض بنار الى فحم كأنها في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا برداً فصرنا كقلب الصب إذ عشقا [2]

فطربوا ، طربا كاد يُكسبهم الزماعة [3] ، وقالوا : زدنا من هذه الأناشيد ، التي أحكم بناء معانيها وشيد . فقلتُ : أَمَدُ إنشادي لا ينتهي ، وقوة مددي فيه لا تهي ، وكلكم اذا نظم أزرى بموثقات العقود ، وأتى بأبيات مؤنقات العقود ، كأنها حلاوة ذوب العسل المعقود ، وتكاد إذا أنشدت تلحق القيام سُكراً بالقعود ؛ فانظموا من فرائدكم المنتقاة ، وأنفقوا مما آتاكم الله ؛ فابتدر ربّ البيت ، وأنشد بيتين أعذبَ مذاقا من الكُميت ، ولم يقل كَيْتَ وكَيْتَ :

أنظر لكانوننا وما فيه وقد بدا بيننا تلظّيه
يأخذ فحما كأنه سبج يتركه عسجداً لرائيه

(١) ابو بكر أحمد بن محمد (يقول بروكلمان في الذيل ١/١٤٥ : محمد بن احمد) الصنوبري (ت ٣٣٤/ ٩٤٥) شاعر حسن وأكثر أشعاره في وصف الطبيعة والفصول والورد ، ممن تحدث عنه الطباخ في اعلام النبلاء ٤/٢٣ وابن شاكر في فوات الوفيات ١/٦٢ .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (٢/٣٠٩ من الطبعة المذكورة) هذه الأبيات مع اختلاف يسير في رواية البيت الثاني منها وينسبها للقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد ابن داود (من شعراء البصرة) . في البيت الثالث رواية الأصل : (بفحم الى نار) ؛ وفي الهامش ما أثبتناه .

(٣) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان ، وزمع منه : دهش . ولم نجد للزماعة التي ذكرها المؤلف معنى يناسب سياق الكلام .

وتلاه سالم فأنشد عَجِلا ولم يتردّد ، بيتين أحسنَ نظماً من عقود الزبرجد :

وحَبَّــذا مَنْقَلُنا ونارُه ذاتُ الوَهَجْ
صار عقيقاً فحمُهُ مِن بَعد ما كان سبج

ثم تلاه أحمد ، فحمد الجاعة ما أورد ، واسترشد كلٌّ ما أنشد :

كأنما نارُنا وقد علقت (١) في الفحم منها أوائلُ الوهجِ
جامُ عقيق عليـه قد نُثِرَتْ قلائدٌ نظمتْ من السبجِ

ثم أتى ذلك الشاب ، بما شمط له مَفرِق سامعه وشاب :

أتانا بكانونٍ بكانونَ تلتظي به جِذوة في الفحم ذات توهّجِ
كروض زهورجاده الطلُّ أوبدا خِلالَ شقيق فيه نَوْرُ بنفسج

وانتهت النوبة إليّ ، وقد نظمتُ ما وجب عليّ (٢) ، فأنشدتُ لما فَرَغ من الإنشاد ، كأنما كنّا على ميعاد :

أتانا بكانون يَشُبُّ اضطرامُه كقلب محبّ أو كصدر حسودِ
كأنّ احمرار النارمن تحت فحمها خدودُ عذارى في معاجر سودِ (٣)

فاستحسنه الحاضرون واستجادوه ، ولولا فرط الحسد عليه لاستعادوه . ثم استهوتنا شياطينُ الفكاهة المتردةُ ، إلى أن خَمَدَتْ تلك النارُ المتوقدة ، واستبدلتْ بعد سواد فحمها رماداً يققا (٤) ، وأكنست قضبان عسجدها من الورِق وَرَقاً ، وأرَتِ الناظرين رُواءً مُونِقا ، إلا أنّها بدت بعد الافترار ، في بُرْقُع الاكفهرار ، وأعادتْ إلى كنائن الرماد ما فوّقته من سهام الشّرار ، ولبست لباسَ الأخيار ، وخلعت لباسَ الأشرار ، وتواري ما كانت تُريه من الأُوار ، وأصحبتْ بعد جماح انقيادها ، وارتدت (٥) برداء رمادها ؛ فلاحت كالشهبان تحت ظُلَل

(١) في الأصل : ظهرت ، بدل علقت ، وما أثبتناه مأخوذ عن الهامش .
(٢) في صلب النص : وقد برئت مما وجب على . وفي الهامش ما ذكرناه .
(٣) جاء في الهامش هنا : المعاجر جمع معجر وهو ما تشده المرأة ، كما في الصحاح .
(٤) اليقق : الأبيض أو شديد البياض .
(٥) في الأصل : والتحفت ، وفي الهامش ما أثبتناه .

الغمام الخفيف ، أو الخرصان (١) لمعت خَلَل القتام الكثيف ، وجعل كلٌّ منهم يرميها بسهام ناظره ، ويجيل فيها قِداحَ خاطره ، (ويقتدح زناد قريحتـه ، ويُعْمِل بعملات فكرته ،) (٢) فقلت : ما أشْبَهَها في حالها الماضي والآتي ، بقول عليّ ابن الساعاتي : (٣)

انظر الى الكانون في بدئه ... وبعد ما يخمد منـه اللهبْ
بينا تراه سبجـاً مُذْهبـاً ... حتى ترى الكافور فوق الذهبْ

فراق عقولَ الحاضرين وأعجبهم ، وشاقَ قلوبَ الحاضرين وأطربهم . فقلت : وأين أنتم عن العُجاب ، الذي إذا دعا إلى مثلِه الخاطرُ لا يُجاب ، وهو قول السريّ الرّفّاء (٤) ، القائم للمعاني بشروط الوفاء :

خَفَقَتْ رايةُ الصباح ولنـا (م) رِ لهيبٌ كالراية الصفـراء
لمعت للعيونِ بعد سواد ... فأضاءتْ حنـادسَ الظلماء
واستقرّتْ تحت الرماد فخِلْتَ ... ذهباً تحت فضة بيضـاء

فقال سالم : لله در كشاجم ، المفحم عن معانيه شعراء الأعارب والأعاجم :

كأنمـا الجمرُ والرمادُ وقد ... كاد يُواري من نارِه النورا
وردُ جَنِيٌّ القطاف أحمرُ قد ... ذرّتْ عليه الأكفّ كافورا (٥)

فقال فارس بنُ سنان : أحسنُ منه قول سيف الدولة بن حمدان :

كأنما النار والرمادُ بهـا ... وضَوْؤها في ظلامه يُحتجَبْ

---

(١) الخرص واحد الخرصان وهو الرمح اللطيف والقناة والسنان .
(٢) ما بين القوسين استدراك في الهامش ولم يرد في الأصل .
(٣) ورد هذان البيتان في ديوان ابن الساعاتي (ص ١١٦ ج ١ طبعة بيروت ١٩٣٨) باختلاف يسير . ولكن ناشر الديوان الأستاذ أنيس المقدسي وهم فظن أن في رواية الديوان خللاً في وزن البيتين فحوّر وبدّل حتى أخرجها عن وزنها الى وزن آخر .
(٤) ابو الحسن السري بن احمد الرفاء الكندي الموصلي ، انظر ترجمته في بروكلمان (١/٩٠ والذيل ١/١٤٤) واليتيمة (١/٥٠٥) وأنساب السمعاني وابن خلكان ....
(٥) ورد هذان البيتان في ديوان كشاجم (ص ٤٢ من طبعة بيروت ١٣١٣) مع اختلاف يسير في روايتهما .

وجنةُ عذراء مسّها خجلٌ فاستترتْ تحت عنبر أشهبِ [(١)]

وقال أحمد اللالائي ، غير محاب ولا مرائي : قول المأموني أبي طالب ، من هذا المعنى متقارب :

ما ترى النار حين أسقمها القرُّ (م) فأضحت تخبو وحينًا تسعَّرْ

وغدا الجمر والرماد عليه في قميصين : مُذْهَبٍ ومُعنبَرْ [(٢)]

وقال الشابُّ الغريب : قول ابن سارة من هذا قريب :

ما كابنة الزند للمقرور فاكهة إذ يجمدُ البردُ منه ساعداً ويدا

جاءوا بياقوتة حمراء قد قطعوا من مسك دارين أثوابًا لها جُدُدا

حتى إذا ما تغطّت بالرماد حكت ورداً عليه سقيط الطل قد جمدا

فقلتُ لهم : أحسنتم وما ونيتم ، ولا وريّتم فيما رويتم ، ولا ارتبتم فيما أتيتم ، فلله أنتم ، فلقد أرفدتم وأفدتم ، وشأوتم نظراءكم وفقتم ؛ ولكن على العمل المعول ، فافعلوا في الثاني فعلكم في الأول ، وشنفوا الآذان بما تنظمونه من اللآلي ، وائتوا وإن كنتم من الأواخر بما لم تستطعه الأوائلي [(٣)] .

فنهض ابن سنان مائلا ، وأنشد لنفسه متمايلا :

أُنظرْ الى كانوننا لترى ما شئته من منظر أنقِ

ولفحمِهِ قُضُبٌ يبدلها بعد السواد بأبيض يققِ

فكأنها قضب النُّضار علا من فوقها ورقٌ من الورقِ

---

(١) ورد هذان البيتان في اليتيمه (ص ٢٦ ج ١ من الطبعة المذكورة) لسيف الدولة مع اختلاف يسير في روايتهما .

(٢) يورد صاحب اليتيمة (ص ٢٦٠ ج ١ من الطبعة المذكورة) هذين البيتين لأبي طالب المأموني الرقي باختلاف يسير في الرواية . ثم يترجم له (ص ٢٤٤ ج ١) .

(٣) ينظر في هذا الى قول المعري في سقط الزند :

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

فقلنا : هذا والله هو السحر الحلال ، الذي يعجز أن يأتي بمثله أبناء الحلال [1].

وقفاه ابن سعادة فاقتفى رشدا ، وأطرب حين شدا :

والجمر يحكي في الرماد الذي يستر عنه غير مستور
كواكباً من ذهب أشرقت على سماء من طباشير

وأظن هذين البيتين من شعر أبيه ، بلا تمويه ؛ لأن سالماً كان عاجزاً عن البديه . وسألته فيما بعد عنهما ، ولمن هما . (فقال : ليس الكذب من مذهبي ، هما) [2] من شعر أبي .

ثم قام غلام اللالا ، ومد صوته بالانشاد له وعالى :

قد شابت النار في الكوانين مذ شب برد أتى بكانون
كأنها والرماد يسترها ورد بدا من خلال نسرين

وبرز ذلك الشاب بروز البطل ، وحلى بانشاده ما كان من حاله ذا عطل :

وافى الغلام بمنقل متضمن ناراً فياطوبى لها من نار
وتوقدت في فحمه جمراته كالخد يشرق في سواد عذار
وخبت فخيلت رمادها من فوقها حبباً تنظم فوق كأس عقار

ثم وجب تكميل الدائرة علي ، وألقى القوم أسماعهم إلي ؛ فبقيت مفكراً في معنى لم أسبق اليه ، ولا عرجت قريحة قبل قريحتي عليه ؛ لأنهم قد استعملوا أجل المعاني ، التي مثلي لمثلها يعاني ؛ وعافت نفسي الموارد المطروقة ، وأنفت أن تأتي بمعنى تكون اليه مسبوقة ؛ فجعلت قريحتي تبني وتهدم ، وفكري توجد وتعدم ، فكأن القوم أطلعوا طلعي ، وعرفوا عزوف طبعي ، فجعلوا يترقبون صنعي . وكنت شاهدت مرة فاختة صدحت ، فصرعت وذبحت ،

(١) الحلال بكسر الحاء جمع حلة وهي المحلة والمجلس والمجتمع والقوم النزول فيهم كثرة .
(٢) ما بين القوسين موجود في الهامش فقط .

فانتشر ريشها على الدم ، فأشبه كافوراً ذُرّ على عندَم ، أو رماداً علا ناراً لم تخمَد . فقلتُ : هذا معنى ما هَجَسَتْ به الضمائر ، ولا حاكته فكرة شاعر ، فحاولته فأطاع ، من غير امتناع ، وأجاب من غير دفاع ، ثم أنشدته فسُرّت به الأسماع ، وطربت له الطباع ، وهو :

كأنما نارنا وقد خمدت وجمرها بالرماد مستورُ
دم جرى من فواختٍ ذُبحت من فوقه ريشهن منثور

فما في الجماعة إلا من نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر[1] ، ثم صاح وكبّر ، وقال : ما هذا قول البشر ، إن هو إلا سحر يؤثَر[2] ؛ ثم اعترفوا لي بالابداع ، وأقروا بأنني لم أُسبَق اليه بالاجماع ، وقالوا : لو سمعناه قبلَ لَبِسْنا من أطمارنا ما لَبِسْنا ، ولحبَسْنا ألسُنَنا ، عن القول وما نبَسْنا ، ولكن فات ما ذُبح ، وخسر مَنْ خسر وربح مَن ربح ؛ وأجمعوا على أن هذا هو الكلام الحرّ ، المُربي حُسْناً على الدراري والدُّر ، وأنه لم يَسبِقْ شاعرٌ الى مثله ، ولا خطر خاطرٌ من قبله في سُبله ، وأن الفضل أبى أن يكون إلا لأهله . ثم انصرفنا ، وتشعّبنا في أشغالنا وتصرفنا .

وهذه رسالة رق معناها وراق لفظُها ، ووَجب على كل متأدب حفظها ، وقد وفيتُ بما وعدتك به من إملائها ، ووفّيتُ بما عاهدتك عليه من تجرير ذيول مُلائها ؛ ومصرّف الأحوال ، مسؤول في تجديد صلاح الأحوال[3] ، وتجويد إصلاح الأقوال والأفعال ، إنه هو الكبير المتعال ، ولكل ما يريد فعّال ، والحمد لله الذي إليه المُنقلَب والمآل ، وصلواته على نبيه محمد وعلى مَن له من صحابة وآل ، ان شاء الله .

***

---

(١) اقتباس من الآيات الكريمة : ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ من سورة المدثر ٧٤ .
(٢) اقتباس من الآيتين الكريمتين : ٢٤ و ٢٥ من السورة نفسها .
(٣) الأحوال الثانية لعلها جمع حول بمعنى السنة .

سمع جميعَ هذه الرسالة ، من لفظ منشيها السيدِ الأجلّ الامام العالم العامل الفاضل الكامل أمين الدين سيد الوزراء والفضلاء والأدباء أمين الدين جمال الإسلام أبي الفضل عبد المحسن بن حمود بن المحسن التنوخي الحلبي الكاتب أيده الله ، صاحبُها سيدُنا وشيخنا الامام الحافظ العالم الزاهد الأصيل تاج الدين بقية السلف أبو الحسن محمد بن الامام أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي ، وابنُه أبو بكر محمد وفقه الله ، وشيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد البرزالي ، وشرف الدين ابو عبد الله الحسين بن ابرٰهيم بن الحسين ، وعز الدين ابو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإرْبِلِيّان ، وجمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن الصابوني ، وابنه أبو المعالي أحمد وهو في آخر الخامسة ، وشمس الدين ابو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع الأبهري ، وعبد الرحمن بن يونس التونسي ، ومجد الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الناسخ ، ومحمد بن أبي بكر بن ابرٰهيم الشاغوري المؤذن ، وعثمان بن يحيى المؤذن بالكلاسة ، وأحمد بن يحيى بن عبد الرزاق المقدمي ، وابرٰهيم بن داود بن ظافر الفاضلي ، ومحمد بن يوسف بن محمد الكنجي ، وعبد الله بن سالم ابن نمال العرضي ، ومحمد بن علي بن محمد بن منصور اليمني رحمه الله ، وهذا خطه ؛ وصح ذلك في يوم الخميس ثالث عشر ذي حجةِ سنةِ أربع وثلثين وستمائة ، بزاوية الحديث الأشرفية الفاضلية بكلاسة جامع دمشق حرسها الله ، والحمد لله وحده .

التكية السليمانية في دمشق

– ١ –

ان التكية التي أمر بإنشائها عند مدخل دمشق الغربي السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني على إنقاض القصر الأبلق للملك الظاهر بيبرس هي من أروع الفن المعماري التركي ، والأبدع من بنائها هي الغاية السامية التي أسست من أجلها .

عثرت بين سجلات مديرية أوقاف دمشق على نسخة عن وقفية هذه التكية سجلت فيها أوقافها وعينت نواحي البر التي يجب انفاق غلاتها عليها . ولو سلمت الى يومنا أوقافها لكفي ريعها لإنشاء عدة جامعات عصرية وعشرات المؤسسات الخيرية . قدر عشر هذه الأوقاف بموجب حكم صادر عن محكمة التمييز السورية عام ١٩٣١ بنحو من ثلاثة ملايين قرش تركي ذهباً .

يكمن وراء كل مؤسسة دينية اسلامية هدف خيري وثقافي ، ولو رجعنا الى نصوص وقفياتها لكشفت لنا عن صفحات مشرقة من الحضارة الاسلامية وتفننها في أساليب نشر الثقافة الدينية والى جانبها الحدب على اليتيم والمسكين والمريض ، هذا ما حملني على نشر هذه الوقفية التي تعطي فكرة واضحة عن الدافع الحقيقي الى تأسيس المعاهد الدينية واقبال المسلمين عليها وجعلها صدقة جارية ابتغاء ثواب الله ومرضاته .

حذفتُ من هذه الوقفية مقدمتها المقتصرة على إطراء مزايا الواقف والدعاء له لطولها وتشويه نصها ولأنها لا تفيد موضوعنا . وقد تعذر عليّ تحقيق هذه

الوقفية ومقابلتها على نسخة ثانية صحيحة[1] ، ولهذا لم يتبين لي وجه الصحة في بعض المواضع فنقلتها على علاتها .

بيان القرى الموقوفة

١ — الزبداني (الكامل)
٢ — كفر عامر من نواحي الزبداني (الكامل)
٣ — الكرمة من نواحي الزبداني ($\frac{١٨}{٢٤}$ قيراطاً)
٤ — الأشرفية من توابع الزبداني (الكامل)
٥ — الحارة من نواحي الزبداني (الكامل)
٦ — العادلية من توابع وادي العجم ($\frac{٢١}{٢٤}$ قيراطاً)
٧ — زاكية من نواحي وادي العجم (الكامل)
٨ — صيدنايا من توابع ناحية العسال (الكامل)
٩ — معرة صيدنايا (الكامل)
١٠ — ماطي من توابع معرة صيدنايا (الكامل)
١١ — المرج من أعمال الشام ($\frac{١٥}{٢٤}$ قيراطاً)
١٢ — المزة من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٣ — سفيرة من أعمال الشام ($\frac{١٦}{٢٤}$ قيراطاً)
١٤ — قبر الست وتعرف أيضاً بالراوية من توابع غوطة دمشق (الكامل)

---

(١) لم أتمكن من الوقوف على النسخة الأصلية التي نقلت عنها نسخة مديرية أوقاف دمشق المحفوظة لدى أحد ورثة الشيخ أسعد الصاحب متولي التكية المذكورة في العهد العثماني . وقد أفادني الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان انه يوجد نسخة ثانية في الخزانة التيمورية في القاهرة في الرسالة (٢٣) من المجموع المخطوط رقم (٢٦٦) انشاء محمد جلبي المنشيء لم أطلع عليها .

١٥ – عقربا من توابع غوطة دمشق (الكامل)
١٦ – القصيبة داخلة في حدود عقربا (الكامل)
١٧ – قرحتا من أعمال الشام (الكامل)
١٨ – مزرعة النويخته من توابع قرية قرحتا (الكامل)
١٩ – دوما تابع الغوطة (الكامل)
٢٠ – مسرابا تابع الغوطه (الكامل)
٢١ – دورس من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٢ – مزرعة بلطي قرب دورس (الكامل)
٢٣ – ايعاث من توابع بعلبك (الكامل)
٢٤ – طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٥ – كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٦ – مزرعة كنيسة طبشار من نواحي بعلبك (الكامل)
٢٧ – سرعين من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٨ – حور تعلايا من أعمال بعلبك (الكامل)
٢٩ – مزرعة الرقايق من أعمال بعلبك (الكامل)
٣٠ – بيت شامان من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣١ – الفرزل من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٢ – مزرعة كفرعنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٣ – مزرعة البروقية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٤ – مزرعة العونية من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٥ – مزرعة تليلة من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٦ – قصر بنا من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)
٣٧ – رياق البعل من نواحي كرك نوح (البقاع) (٢/٢٤ قيراطا)

٣٨ – ارعيت من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)

٣٩ – مزرعة الكفيرات من نواحي كرك نوح (البقاع) (الكامل)

٤٠ – القرية من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤١ – السعادة من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤٢ – الدلهمية من أعمال الكرك نوح (الكامل)

٤٣ – الطيربة من جبل عاملة (الكامل)

٤٤ – الطيبية من جبل عاملة (الكامل)

٤٥ – كوكب الهواء قضاء طرطوز اللاذقية (الكامل)

٤٦ – الماعون (الكامل)

٤٧ – ازرع من أعمال حوران (الكامل)

٤٨ – مزرعة مليحة (الكامل)

٤٩ – داريا الكبرى من أعمال اقليم الداراني تابع الشام (الكامل)

الوظائف المحددة في الوقفية.

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
متول	١	٥٠ درهماً
كاتب شهيد	١	١٥ درهماً
جاب	١	٦ دراهم
جاب قضاء بعلبك والكرك	١	١٠ دراهم
امام	٢	١٥ درهماً لكل منهما
موقت	١	٥ دراهم
بواب	١	٥ دراهم
فراش	١	٥ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
كناس	١	٥ دراهم
شعال	١	٥ دراهم
مبخر	١	٢ درهمان
رئيس الحفاظ	١	٥ دراهم
قراء حفاظ	٦	٢ درهمان لكل منهم
معرّف	١	٢ درهمان
شيخ الاجزاء	١	٤ دراهم
قراء	٢٩	٢ درهمان لكل منهم
مفرق الاجزاء	١	٢ درهمان
مراقب الدوام	١	٢ درهمان
قارئ عشر بعد صلاة الظهر	١	٤ دراهم
قارئ عشر بعد صلاة العصر	١	٤ دراهم
واعظ	١	١٠ دراهم
قارئ مجود لسورة يس بعد صلاة الصبح	١	٣ دراهم
قارئ مجود لسورة عمّ بعد صلاة العصر	١	٣ دراهم
حافظ المصاحف	١	٢ درهمان
كناس وفراش الحرم	١	٢ درهمان
بواب الباب الشرقي	١	٥ دراهم
بواب الباب الغربي	١	٥ دراهم
فراش الضيفان	١	٥ دراهم
ناظر الطعام	١	٦ دراهم

الوظيفة	العدد	الراتب اليومي
موزع الخبز	١	٦ دراهم
موزع اللحم	١	٦ دراهم
أستاذ الطبخ	٤	٧ دراهم لكل منهم
تلميذ لخدمة الأساتذة	٦	٤ دراهم لكل منهم
خباز	١	٧ دراهم
تلميذ لخدمة خبز الخبز	٤	٥ دراهم لكل منهم
وكيل خرج للعمارة	١	٦ دراهم
حمال صحون الأطعمة لبيوت الضيافة	٢	٢ درهمان لكل منهما
حمال طاسات الأطعمة الى الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
منظف أواني بيوت الضيافة	١	٢ درهمان
منظف طاسات طعام الفقراء	٣	٢ درهمان لكل منهم
مموه ومبيض الاواني والطاسات	١	٤ دراهم
دقاق حنطة	١	٥ دراهم
خازن	١	٦ دراهم
تلميذ خازن (معاون)	١	٢ درهمان
حمال اللحم	١	٤ دراهم
منقي الحنطة	٤	٢ درهمان لكل منهم
بواب العمارة والمآكل	٢	٤ دراهم لكل منهما
خازن الأنبار	١	٤ دراهم

نص الوقفية بعد حذف المقدمة

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

. . . .

. . . .

أراد الواقف السلطان المنوه أعلى الكتاب بذكره الشريف المستطاب لا زالت أعلام معالم عدله واحسانه منشورة ولا برحت بلاد الأرض بأرحبت بحمايته معمورة أن يرتب من الوقف الدار والبر البار النافع المدرار القابل للاستغلال والاستثمار ما يقوم بأوده ويموله وما يحده حدوده ويصونه صيانه فقد وقف وأبد وأرصد وخلد عن صميم طوية على الإخلاص مطوية وصفاء نية[1] سنية جميع ما هوله وما هو له وملكه ، وبيد سلطان تصرفه سلكه بمقتضى شراء شرعي صحيح .

وذلك جميع القرية المعروفة بالزبداني من أعمال دمشق الشام لما دمنة عامرة تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين بها أشجار منوعة الثمار مخرجة على أربابها حدها قبلة أراضي كفر عامر وشرقاً أراضي مضايا وشمالاً أراضي قرية الكيرمه[2] وغرباً أراضي الحارة .

وجميع قرية كفر عامر من نواحي الزبداني المشتملة على أراضي معتملة سهلة ووعرة المحدودة قبلة قرية الزبداني وشمالاً أراضي قريه الدله ومن توابعها سربه والقصاص وحدهما قبلة أراضي الزبداني ومضايا وبينهما درب العجال وشرقاً كذلك الا أن بينهما طريقاً وشمالاً حقل المخلص وغرباً أرض قرية السفيرة .

وجميع الحصة من قرية الكرمة من نواحي الزبداني وقدرها ثمانية عشر قيراطاً

---

(١) في الأصل : وصفا دينه .

(٢) تأتي فيما بعد باسم قرية الكرمة ولم يتبين لي وجه الصواب .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وبساتين حدها قبلة عين الحداد وشرقاً مقلب ماء بئر اللاح وطريق مضايا وشمالاً وادي بو الخير من أرض بلودان وغرباً حقل بيت الزيني ·

وجميع قرية الأشرفية من توابع الزبداني المحتوية على وعور وسهول ومعتملات المحدودة قبلة بصحايا(١) وشرقاً بقناة البويفي(٢) وشمالاً بأرض داريا وغرباً بدرب معاصل(٣) ·

وجميع قرية الحارة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة المحدودة قبلة صحراما(؟) وشرقاً أراضي الزبداني وشمالاً أراضي كفر عامر وغرباً أراضي كفر تفاح ·

وجميع الحصة من قرية العادلية من توابع وادي العجم من أعمال الشام الحاوية على أراضي وحقول وقدرها أحد وعشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً المحدودة قبلة جملتها بزرعة الحجَر والميصرة وشرقاً بزرعة تل الغبار وشمالاً بالخليج وغرباً بأراضي حرجلة ولها الثلثان وسير حق شرب من ماء الأعوج المنقسم من حزاز الكسوة ·

وجميع قرية زاكية من نواحي وادي العجم المحدودة قبلة بأراضي قرية الرجم وشرقاً بأرض مزرعة الدير وتمامه قبلة الطريق الى شقحب وشمالاً بأرض العباسية ولها الثلثان حق شرب مستمد من نصف ماء الأعوج المقسوم من حزاز الحسينية ·

---

(١) صوابها : صحنايا

(٢) صوابها : البويضة .

(٣) لا يتفق تحديد هذه القرية مع حقيقته الموروثة وان التشويش ظاهر في هذه الفقرة لأن القرية المذكورة هي من أعمال الشام أو الاقليم الداراني لمجاورته . واما التابعة للزبداني هي أشرفية الوادي لا هذه . وربما الناسخ قد خرج بين الأشرفيتين وأسقط من النص إحداهما .

وجميع الحصة المعلوم قدرها شرقاً من القرية المعروفة بالصيدنايا من توابع ناحية جهة العسال من مضافات دمشق المحروسة المحدودة قبلة بكروم معرة الصيدنايا وشرقاً بين الرامين والجبل الممتد على الضير (؟) وغرباً بأراضي قرية قلقاس وقرية تلفيتا .

وجميع قرية معرة الصيدنايا المحدودة قبلة جبل الخالوص وشرقاً بمقلب ماطي المنتهي مجراه منحرفاً تارة ومستقيماً أخرى الى الطريق العام وشمالاً بكروم الصيدنايا وغرباً بمقلب ماطي وتمامه كيمان أحجار .

وجميع الحصة من المزرعة المشتهرة بماطي من توابع القرية المذكورة وقدرها ثمانية قراريط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً حدها القبلي جبل الحطا والشرقي مقلب ماطي والشمالي الطريق العام والغربي أراضي منتين[1] .

وجميع الحصة من قرية مرج من أعمال الشام وقدرها خمسة عشر قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع معلومة الحدود عند أهاليها .

وجميع قرية المزة تابع غوطة دمشق المحروسة لها دمنة عامرة تشتمل على أراضي معطلة ومعتملة وبساتين وحقوق[2] ولها شرب من ماء القناة المختصة بها المستمد من نهر بردا أحدها[3] قبلة أراضي مزرعة القصور وتمامه أراضي دارى[4] الكبرى وأراضي كفرسوسيه وشرقاً أراضي كفرسوسية وتمامه أراضي مزرعة الحرية وشمالاً نهر القنوات الجاري الى طاحون الشريف ثم يأخذ مغرباً الى نهر بردا والربق[5] وغرباً الجبل .

وجميع الحصة من قرية صفيرة[6] من أعمال الشام وقدرها ستة عشر قيراطاً

(١) صوابها : منين .
(٢) صوابها : وحقول .
(٣) صوابها : يحدها .
(٤) صوابها : داريا .
(٥) لعلها : الربوة .
(٦) غير معروفة اليوم .

من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على دمنة عامرة ومعطلات ومنافع وحقول معروفة الحدود عند الجيران .

[وجميع] قرية قبر الست وتعرف أيضاً الراوية وتشتمل على أراضي معتملة وأقاصي وأداني وأشجار ودمنة عامرة وحقول وشربها من ماء القناة المختص بها شرعاً ولها شرب أيضاً من ماء قناة تجيرا عدان بالتناوب حدها القبلي قناة مزرعة قوين (١) والشرقي أرض قرية عقربا والشمالي أرض قرية ببيلا والغربي الدرب السلطاني ومن توابعها الداخلة في حدودها قطعه أرض تعرف ببستان الديل .

وجميع قرية عقربا المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر وبساتين ودمنة عامرة لها من نهر عقربا شرب معلوم حدها القبلي قناة مزرعة عين كيل والشرقي أرض قرية الشعبا (٢) والساهلية والشمالي قرية تليثانا (٣) والغربي قناة قرية الجدلية (٤) .

وجميع مزرعة القصيبة (٥) المختصة بها الداخلة في حدودها .

وجميع الحصة من قرية قرحتا تابع القبلي وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وأقاصي وأداني ودمنة عامرة لها من نهر الحازوم غربياً شرب ليلاً ونهاراً و شرب آخر من الماء المستمد من نهر الأعوج المحدودة قبلة بنهر الأعوج وشرقاً بنهر القزلانية وشمالاً بأرض مزرعة الميدانية وغرباً بأرض مزرعة الأشرفية .

وجميع مزرعة الفويخة (٦) تابع القرية المذكورة المشتملة على أراضي ومنافع وحقول حدها قبلة نهر قرية قرحتا المعروف بالكرواني وشرقاً نهر ... (٧) وشمالاً

(١) غير معروفة اليوم . (٢) صوابها : الشبا .
(٣) صوابها : تلفيانا . (٤) صوابها : البحدلية .
(٥) لعلها : قصيبات اسم قناتها ما زال على الألسن وهي تخرج قرب بيوت ببيلا .
(٦) صوابها : الفويختة . (٧) فراغ في الأصل .

وقف قطعة العرفان السامى بأبي يزيد البسطامي قدس سره وغرباً التل الرفيع .

وجميع قرية دوما تابع الغوطة المشتملة على أراضي معتملة ومعطلة وكروم ومنافع ولها من ماء نهر ثوره شرب معلوم ويحدها قبلة مزرعة حرستا وادبا (١) الصغرى وشرقاً قناة قرية الشفونية وشمالاً الجبل وغرباً أرض قرية حرستا .

وجميع قرية مسرابا المشتملة على أراضي معتملات وبساتين ومنافع ولها شرب معلوم من ماء نهر ثوره ومن قناتيها المختصتين لها قبليها أرض قرية كفرمديرا وشرقيها أرض قرية بيت سوى وشماليها أرض قرية دوما وغربيها أرض مزرعة داريا الصغرى .

وجميع قرية دورس (٢) من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ووهاد وتلال ودمنة عامرة ومنافع وحقول يحدها قبلة رجيات الأحجار وشرقاً الطريق الى المقطع وشمالاً أرض مزرعة بلطي وأراضي بعلبك وغرباً الطريق .

وجميع مزرعة بلطي بقرب القرية المذكورة تشتمل على أراضي ومنافع قبليها أراضي قرية دورس الى أراضي قرية دورس (٣) الى أراضي مزرعـة بردا وشرقيها أراضي قرية دورس وشماليها أراضي بعلبك وغربيها أراضي مزرعة بردا (٤) .

وجميع الحصة من قرية ايعات (٥) من توابع بعلبك وقدرها أربعة عشر قيراطاً وثلث قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وسهل ووعر ومنافع ودمنة معمورة يحدها قبلة مرج عدوس وشرقاً حقلة بيت الجبلي وشمالاً الطريق العام وأراضي مزرعة الرزازلة وغرباً حقل البركة وأراضي مزرعة دير النبط .

---

(١) صوابها : داريا .
(٢) قاموس لبنان لوديع تقولا حنا ص : ١٠٥ .
(٣) لعلها مكررة .
(٤) لعلها برقا انظر قاموس لبنان ص : ٢١ .
(٥) في قاموس لبنان (إيعات) .

وجميع قرية طبشار من نواحي بعلبك وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة وسهلة وخزنه (١) ومنافع ودمنة عامرة يحدها قبلة حرق (٢) القرية والطريق ومجمع الطرق وشرقاً الطريق والجبل وشمالاً قلوة الماء منتهاه تجاه قلعة الحجارة ورجم أحجار تجاه حرنه (٣) المكبسه وغرباً أراضي مزرعة الرقايق .

وجميع مزرعة كنيسة طبشار ويشتمل على اراضي ومنافع وحقول يحدها قبلة شراك بين أراضي طبشار ومنتهاه عين زيدان وشرقاً وادي أراضي حور تعلا (٤) وشمالاً وادي العميق الى الطريق السلطاني وغرباً الطريق العام .

وجميع قرية شرعين (٥) من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة ومنافع يحدها قبلة الحجر المعروف بادريس وبيدر الحاليات وشرقاً مجمع الطريق المنتهية الى ضريح نبي الله شيث عليه السلام وتبة سقفان واعزاز وشمالاً حرف القرية ووادي المنارة وغرباً جسر الدم من المفرقين .

وجميع قرية حور تعلا (٦) وتشتمل على أراضي عمالة وبطالة ودمنة مسكونة ومنافع يحدها قبلة الشراك بين أراضيها وأراضي طبشار والبلاط الى الطريق وشرقاً قلعة الصهريج ووادي بلبود وقبر الشيخ صالح وشمالاً الطريق وبركة بحاما والرجمة الطويلة قرباً (٧) قرب قبر الكاشف وعين زيدان .

وجميع مزرعة الرقايق بقرب القرية المعروفة وتشتمل منافع وحقول يحدها قبلة المسيل والطريق وشرقاً الرجمة المعروفة بقبر الكاشف وشمالاً الطريق النافذ وغرباً الطريق ووادي الذيب .

---

(١) كذا في الأصل وصوابها خربة . (٢) صوابها : حرف .
(٣) صوابها : خربة . (٤) صوابها : حور تعلايا .
(٥) صوابها : (سرعين) . (٦) صوابها : حور تعلايا .
(٧) كذا في الأصل ولعلها وغرباً .

وجميع قرية بيت شاما[١] من نواحي كرك نبي الله نوح[٢] عليه السلام من أعمال بعلبك وتشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وحرمه[٣] ومنافع وحقول يحدها قبلة الطريق الى العمود المطمور في وادي التين وشرقاً الحجر المطمور قرب خندق بين أراضيها وأراضي مزرعة الشخجية وحقل القاضي وشمالاً النهر الشتوي وغرباً الشراك منتهاه وادي التين .

وجميع قرية فوزل[٤] من نواحي كرك وتشتمل على معتملات ومعطلات وسهول ووعور ومنافع يحدها قبلة جبل رجمات والطريق ونهر ليطا[٥] وشرقاً خندق الفلايح ومجمع الخنادق وشمالاً الطريق والنهر وعين علوقيه وغرباً الماء الشتوي وساقية يحوشيا .

وجميع مزرعة كفرعنا من أراضي القرية المذكورة وتشتمل على منافع وحقول يحدها قبلة الطريق منتهاه مرج الحى وعين علوقيه وشرقاً مزرعة حالا وحقلة ابن عجروش منتها الحجر الأبيض وشمالاً آخر غيضة الصفصاف والمرج والخندق والطريق الى قرية رياق وغرباً مرج الحى ومجرى نهر ليطا[٥] .

وجميع مزرعة البروفيه ومزرعة العونيه ومزرعة تليله المتلاصقات يشتملن على أراضي ومروج وجد[٦] وحقول يحد جملتها قبلة متاين العرب وباب المخاضة والطريق من كرك الى طاحون بروفيه وشرقاً الطريق والخندق وملتقى السواقي عند طريق الدلهمية[٧] وشمالاً الطريق وحقلة الحاج علي بن سراج وطريق تربل[٨] وغرباً الحجر الأبيض على الخندق الى الطريق .

(١) شرقي حور تعلايا .
(٢) شرقي زحلة .
(٣) كذا في الأصل وصوابها : خربة .
(٤) صوابها : فرزل .
(٥) اي الليطاني .
(٦) كذا ولعلها (ووعر) .
(٧) قرية معروفة شرقي معاقة زحلة .
(٨) قرية معروفة شرقي الدلهمية .

وجميع قرية تمنين الفوقا (١) من أقطار كرك تشتمل على دمنة مسكونة وأراضي وبساتين وأشجار متنوعة ومنافع وحقول يحدها قبلة المقطع بين أراضيها وأراضي عرفنا وملك ابن حنصر وحقلة أولاد طبر وشرقاً أراضي بيد بيت جبريل وحقلة ابن جديد وحقول الرياسة وعين الناعمة بين أراضيها وأراضي تمنين التحتا الى الكنيسة وشمالاً النهر الشتوي وحقلة مقلد بن ساطي وحقلة ابن صلاح وطريق قصر بنا (٢) وغرباً مقلب الماء وتمامه أراضي عرفنا والمقطع .

وجميع قرية قصربنا من توابع كرك تشتمل على أراضي معتملات ومعطلات وسهول وتلال ومنافع يحدها قبلة كسار السطور والطريق وكرم النبعي وشرقاً الحقل وقف جامع قصر بنا وبركته عين سليمان وأراضي بيت نائل وعواميد أحجار وشمالاً العمود بين مزرعة الكنيسة والشخجية وحقلة بيت الأعرج وواد مالك والمقطع وغرباً أراضي حماندة زريق وحقلة تمنين الفوقا .

وجميع الحصة من قرية رياق البصل (٣) من أعمال كرك وقدرها عشرون قيراطاً من أصل أربعة وعشرين قيراطاً تشتمل على معتملات ومعطلات ووهاد وتلال وصحارى وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة ساقية الماء بين أراضيها ومزرعة حالا وساقية النيل وطريق ارعيت وشرقاً الطريق حشمش (٤) وطريق الشام وشمالاً كرم عسكر تجاه الأشرفية الى رأس الشكارة ونصحره (٥) وغرباً صخرة القبيرات والطريق والشراك .

وجميع قرية ارعيت (٦) من ضواحي كرك تشتمل على دمنه عامرة وأراضي

(١) قرية معروفة غربي الفرزل . (٢) انظر قاموس لبنان ص : ٢١٢ .
(٣) ملتقى الخطوط الحديدية بين بيروت والشام وحلب .
(٤) قرية جنوبي رياق . (٥) كذا ولعلها (الصخرة) .
(٦) انظر قاموس لبنان ص : ١١٩ .

سهول ووعور ومنافع وحقول يحدها قبلة الحجر الموضوع في الطريق وذيل الجبل الشرقي وشقيف الزيادت[١] وأم غيلان وشرقاً بيادر راحاب وطريق بعلبك ومرج عين الكردي وشمالاً أسفل كرم ابن زقضه وقلاع القلاب وغرباً كرم ابن سعيد وصخر القطاطين وطريق حشمش .

وجميع مزرعة الكفيرات تشتمل على أراضي ومنافع وحقول قبليها مجرى الماء بين أراضيها وأراضي حشمش الى طريق قوسيا[٢] وشرقيها قطع أرض وقف سيدنا نوح النبي عليه وعلى نبينا سلام السبوح والطريق وشماليها الطريق البراني بها الى الطريق وغربيها الطريق من كرك الى قصايا .

وجميع القرية من أعمال كرك تشتمل على دمنة عامرة وتلال ووهاد وأراضي عمالة وبطالة وبساتين ومنافع وحقول يحدها قبلة الجرن على مطل تربل ومضيق معذر وشرقاً شحلة وسلسلة حجازي في وادي الدير وشمالاً سلاسل وادي الدير وشومزيا وطريق عقبة حشمش وغرباً الرأس على مطل سيدنا نوح على نبينا وعليه صلاة الله وسلام السبوح وشقيف الشكارة وسفل قرية عين .

وجميع قرية السعادة من نواحي كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي معتملة وسهل ووعر ومنافع وحقول حدها القبلي جسر المذموم ولفتة الساقية وحقلة الرمادة ولفتة خندق التفاح والشرقي بنهر الخصيب والمسيل والطريق بين أراضيها ومزرعة تل بين[٣] حسين وتل مزرعة بروطيا والشمالي ساقية الحريقة ونهر الحويرق وقرية تربل والغربي تل السرجون الى جسر المزموم .

وجميع قرية الدلهمية [من] أقطار كرك تشتمل على دمنة عامرة وأراضي وحقول ومنافع قبليها سهم بن مكي والعقيبة وصدرة القمقمية الى خربتها وشرقيها

(١) لعلها : الزيارات .

(٢) في قاموس لبنان : قوسايا .

(٣) كذا في الأصل ولعلها بيت أوبير .

الطريق الى سهم البدوي وشماليها ساقيـة المشار وحقلة الزورة المعروفة بالقرية والطريق الى جسر يروقيا وغربيها الطريق تحت حقلة النقيرة والطريق الى جسر الدلمية الراكب على نهر ليطاني والشراك بين أراضيها ومزرعة حدوثنا .

وجميع قرية الطيرية (١) المستغنية عن التحديد لكونها معلومة الحدود عند القريب والبعيد ومما في قربها جميع قرية قانه (١) .

وجميع قرية طيبه (١) .

وجميع قرية الكواكب الهوا (٢) .

وجميع قرية الماعون المستغني كل واحدة منها عن التحديد عنـد وضيع [و] شريف وقريب وبعيد .

ومزرعة قبقوس . ومزرعة عين العاطف المستغنية كل واحدة منها عن التحديد لكونها معلومات الحدود لدى وضيع [و] شريف وقريب وبعيد .

وجميع قرية ازرع (٣) الوافف (٤) بناحية بني مالك الأشراف من أعمـال حوران تابع الشام تشتمل على أراضي معتملة ومعطلة وبساتين ومفاره (٥) وحدها القبلي قناة القرية المنشأة بناص (٣) والشرقي قرية البصر (٣) والشمالي قرية الشقرا (٣) والغربي الطريق السلطاني من جانب الدرب لناص ومن توابع تلك القرية المذكورة .

وجميع مزرعة مليحة (٦) وقطعة أرض تسمى بالدبورا وقطعة أرض تسمى بقيمة تشتمل كلها على الفوايد والعوايد ومنافع وحقول .

(يتبع) جعفر الحسني

(١) قرية معروفة في جبل عاملة . (٢) في قضاء طرطوز في محافظة اللاذقية .
(٣) قرية معروفة الى يومنا هذا . (٤) صوابها : الواقفة .
(٥) كذا ولعلها : ومنارة .
(٦) لعلها مليحة الشرقيه أو مليحة العطش في قضاء ازرع .

رثاء الجندي والبزم

لِمَن خلفتما الميدانْ فقيديْ لغة القرآنْ
لمن خلفتما الميـدا نَ ، والميدانُ للفرسان ..
يُحَوِّمُ بعـد يومكما حِمِيُّ الأنف في الأقران
ويدعو الندّ من قيس يباريه ومن غسان
وتفتقد النهى من كا ن للحجة والبرهـان
لواؤكما على الفصحى وحكمكما هو الميزان

* * *

توارت أيكة الوادي وغارت نبعة البستان
وضلّ سبيله الحادي وأسلم للدجى الركبان
وناح وأعول الشادي وحطم كأسه النشوان
ودالت دولة النادي فلا عرش ولا سلطان
هل «الجندي» و«البزم» انـــطوى علماهما الصنوان ؟

أبالسهمين تُرمى مهـــجة ، ويصيبها السهمان ؟
وهل يلتئم الجرحا ن والجرحان قتالان !
صريعا حومة الأقدا ر شباً للاسى نيران
رثيتُ « سليما » و « محمّـــداً » وانهلّت العينــان
مضى « أدب » المبرّد ، وانـــقضى « نحو » أبي حيان
بكيت أبا العلاء بأو ل ، والشنفرى في الثان
وأخلاقاً صفت ، كالتبـــر واللؤلؤ والمرجان
ووردا كان عذب الور د للمرتشف الظمآن

* * *

ذكرتُ دمشق ، والأيا مُ ضاف ظلها فينــان
وأرديةُ الصبا جـدد وأحلام الهوى ألوان
ليالي الأنس بالأخدا ن قبل تفرق الأخدان
على بردى وربوته وحول تلاطم الغدران
وبين خمائل النسريـــن والزنبق والريحان
وأنديةُ البيان الحرّ قائمة على أركان
منابرهـا مَزاجرهـا لمن يطغى ، عن الطغيان

* * *

هوى بِعِلْمِيٍّ جيلٍ هوى الأرزاء والحِدْثانْ

وطاح بتاجي الإبدا ع في الإفصاح والتبيان

نعى قيصراً الناعي وثنّى بأنوشروان

عمادا أدبٍ ضخم رفيع راسخ البنيان

شهابا فلك غابا معاً، في حلك الأزمان

* * *

صراعٌ منذ كان النا سُ، بين الفقد والوجدان

يعلله بنو الإنسا نِ، ما أغبى بني الإنسان!

خير الدين الزركلي

ايوانية البحتري

- ٢ -

(فإذا ما رأيتَ صورة أنطا كيةَ ارتعتَ بين رُوم ٍ وفرس)

يظهر أن هذه الصورة مرقومة على جدران الجرماز ، وهي تمثّل للناظر صورة مدينة انطاكية وكسرى يحاصرها بجنوده . وتحت أسوارها قيصر ملك الروم يدافع عنها بجنوده أيضاً ، كذا قال في معجم البلدان عند الكلام على الإيوان ان صورة قيصر كانت أمام كسرى . ولعلها صورةُ القائد الذي ناب عن قيصر في صدّ كسرى . أو أن المصوّر الذي صور المعركةَ صوّر قيصر نفسه تهكماً أو استهانةً به . وقد قال الشاعر انه منظر يُحدث الروع والخوف في نفسك إذا نظرت اليه .

أما هذه الواقعة التي تُمثّلها لنا الصورة المذكورة فهي الوقعة الثانية من الوقعتين اللتين حدثتا بين الأكاسرة والقياصرة على أسوار أنطاكية . فالأولى كانت في أواسط القرن الثالث للميلاد بين شابور وڤاليريانوس ، انتهت بفتح شابور لأنطاكية وإحراقها ونهبها وسبي أهلها . والوقعة الثانية هي التي حكتها لنا الصورة على جدران الجرماز فوصفها لنا البحتري . وقد حدثت في أواسط القرن السادس للمسيح في عهد كسرى أنو شروان الذي وُلد النبي (ﷺ) في زمنه . وقد فتح كسرى أنطاكية بعد أن حاصرها ، فسلبت جنوده ما في كنيستها الكبرى من أواني فضيّة وذهبيّة وحُليّ . وأخذوا بلاطها النفيس واضرموا في المدينة النار فاحترقت ما عدا الكنيسة المذكورة والحيّ المدعو (ستراتيوم)

وكان ذلك في عهد القيصر (يوستينيانوس) ، فأرسل الى كسرى سفيرين تقابلاه وعقدا معه معاهدة صلح كان من مقتضاه أن يؤدّي قيصر الى كسرى مبلغاً سنوياً بشرط أن لا يُسمي هذا المبلغ (جزية) بل (تعييناً) وهذه هي الواقعة التي خلد الفرس صورتها على جدران إيوانهم العظيم ووصفها لنا البحتري .

(والمنايا موائل وأنوشر وان يُزجي الصفوف تحت الدِرَفْس)

(المنايا) جمع منية : الموت و(موائل) جمع ماثلة أي بارزة منتصبة أمام عيون المحاربين و (أنوشروان) صوابه كسر الشين و (يُزجي) يسوق ويدفع . و (الدِرَفْس) تفسّره معاجمنا العربية بالعَلَم الكبير كأنه لفظ عربي مع أنه لفظ فارسي وفارسيته درَفْش بالشين المعجمة نُعرّب بالسين كما عرب شاه شاهان بساسان وشابور بسابور . وقد اشتهر إطلاق (درفس) على علم خاص للفرس له في تاريخهم قصة يتداولونها ، ورنّة فخر يتغنّون بها . وملخص القصة نقلاً عن شاهنامه الفردوسي أنه قام في تاريخ الفرس القديم رجل تغلّب على العرش الفارسي واستبدّ به ويسميه مؤرخو العرب الضحّاك . وقد اختلفوا في جنسيته وزمنه . فظَلَمَ الفرسَ ظلماً عظيماً حتى اشتهر بلقب الظالم وكان في كتفيه سلعتان تشبهان الحيّتين ولذا لُقب بذي الحيتين . وكان هو يقول انهما حيتان حقيقيتان تهويلاً على الناس . فكانتا تؤلمانه ولا تسكنان حتى يطليها كلّ يوم بدماغي إنسانين فكان يذبحهما ويطلي حيّتيه . وبهذه الصورة اشتدّ الأمر على الفرس . ثم اتفق أن الضحّاك قتلَ ابن رجل حدّادٍ اسمه (كابي) أو (كاو) فعظُم على أبيه الحداد الأمر ونهض للثورة واتخذ من الجلد الذي يضعه الحدادون عادةً في أوساطهم عند الشغل علماً للحرب . والتفّ الشعب حوله . وزحفوا على الضحاك متفائلين بدرفشه أي بعَلَمه الذي اتخذه من جلد مهنته . ثم ان (كابي) والفارسيين بطشوا بالضحاك وقهروه وأرادوا

أن يملكوا (كابي) فأبى لأنه ليس من سلالة الملوك . وأمرهم أن يولوا أفريدون وكان من سلالتهم فولّوه ، واحتفظ الفرس من يومئذ بذلك الدرفش في خزائنهم . وعظّموه وتبرّكوا به . وصار العلم الأكبر لملوكهم . وسموه (درفش كابيان أو كاويان) وكانوا لا يخرجونه إلا في أحرج الخطوب ، وأكبر الحروب . فكانوا ينتصرون . وكانوا يرصّعونه بالجواهر واليواقيت حتى أصبح بدعةً من البدع وبقي لديهم الى أن تغلب الإسكندر على ملكهم دارا (داريوس) فأخذه أي أخذ الدرفش . وقيل بقي الى زمن (يزدجرد) فأخذه المسلمون في وقعة القادسية وحمل الى عمر فقسّم جواهره في الناس .

يقول البحتري إن صورة أنطاكية تمثل للناظر اليها اشتداد هول المعركة حتى ان المحاربين كان يرون شبح الموت ماثلاً منتصباً أمام أعينهم . وتمثل الموت بصورة شبح مرئي كثير الوقوع في كلام الشعراء ، وأبلغه ما قاله بعضهم في وصف بطل أبلى حتى قتل :

مَثَلَ الموتُ بين عينيه والذُّلُّ وكُلاًّ رآه خطباً جسيما
ثم سارت به الحميّة قدْماً فأمات العِدى ومات كريما

* * *

(في اخضرار من اللباس على أصفر يختالُ في صبيغة ورْس)

الظاهر من هذا الوصف أنه يرجع الى (أنوشروان) لأنه نسب اليه لباساً أخضر مسدولاً عليه . واعتلاؤه على الأصفر يعيّن أن يكون المراد بالأصفر جواداً ملوّناً بصفرة . وهذا الجواد يختال ويتبختر في غشاء من جلد أو خرق (صبيغة ورس) أي مصبوغة بورس . والورس نبت كالسمسم أصفر اللون يزرع باليمن ويصبغ به وتتخذ منه الغمرة وهي طلاء تطلي به المرأة وجهها ليصفو لونها . وصبيغة الورس هذه إما أن يكون المراد بها (التجفاف) وهو

جُلٌّ يُلبِسهُ الفرسَ في الحرب لبقيّة الجراحات فيكون تجفاف فرس كسرى ملوناً في هذه الصورة باللون الأصفر الورسي • ويحتمل أن يكون المراد بصبغة الورس الميثرة • وفي الحديث الشريف (نهى رسول الله عن ميثرة الأرجوان) قال في النهاية : هي مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج وتحشى بقطن أو صوف • وتكون كالفراش الصغير يحملها الراكب تحته فوق سرج الفرس أو فوق رحل البعير نهى عنها النبي لأنها من مراكب الأعاجم • ولأن لونها الأحمر فيه شهرة تبعث على العُجب والخيلاء • وانما رجّحتُ أن يكون المراد بصبغة الورس هنا التجفاف لا الميثرة لأن فرس كسرى في معركة ضرب وطعان لا في موكب عرس أو حفلة مهرجان •

(وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس)

ومما تمثله الصورة لعين الرائي خفوت المحاربين أي انخفاض أصواتهم • وهذا معنى (إغماض جرس) أيضاً فان الجرس الصوت الخفي يقال (ما سمعت له حسّاً ولا جرساً) والإغماض من غمّض الكلام خفي مأخذه • فهؤلاء الرجال كان لهم في الحرب بين يدي كسرى أصوات خفيّة غمّضت على سامعها وخفي مأخذها بحيث لا يفهم لها معنى • إذن كان (الفنّان) الذي رسم الصورة حاذقٌ في صنعته حتى إنه يخيّل إليك أن رجال المعركة لهم جلبة وضوضاء • وتشعر مع هذا أن أصواتهم خافتةٌ منخفضة •

(من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس)

(من مشيح) بيان للرجال المحاربين أي أنهم كانوا على أوضاع في القتال مختلفة : كانوا ما بين مُشيح وما بين مُليح • فالإشاحة أن تحذر من الهلاك فتجدّ وتجتهد في دفعه عنك • قال عمرو بنُ الإطنابة :

وإقدامي على المكروه نفسي وضربي هامةَ البطل المُشيح

والمليح من ألاح بمعنى أشاح أيضاً فيكون المعنى أن المحاربين كانوا ما بين بطل أمامه قرنه فهو يخافه ويحذره فيجدّ في مقاومته ودفعه عنه فيهوي بصدر رمحه اليه ، وما بين بطل آخر أمامه قرنه قد سدّد سنان رمحه اليه وقد خافه وحذر منه فجدّ دارئاً بترسه عن نفسه وواقياً لها من سنان عدوه المشرّع عليه . وللمليح معنى آخر غير معنى (المشيح) أستحسن أن يكون هو المراد هنا يقال ألاح بسيفه إذا ألمع به وحركه كلوّح بسيفه . فالمعنى على هذا أن بعضهم يشيح ويجدّ في دفع عدوه فيهوي بالرمح اليه . وبعضهم يحرك ويلمع بترسه الذي يدنه ليقي نفسه من السنان الذي يسدّده اليه عدوه . وعلى كلا التقديرين فإن في قوله (ومليح من السنان بترس) شيئاً من إدماج وإيجاز تفصيله وبسطه ما ذكرناه .

(تصف العين إنهم جدّ أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس)

قوله (إنهم) يحتمل فتح الهمزة على كونه واقعاً موقع المفرد مفعول لتصف ويحتمل الكسر على تضمين (تصف) معنى القول فيكون واقعاً موقع الجملة وتكون جملته مفعولاً لفعل (تصف العين) أي ان عين المشاهد لهذه المعركة لا يمكنها إلا أن تصف لغيرها ما رأته : فما تصف العين لنا من حالات المحاربين أن الناظر اليهم يظنهم جدّ أحياء : أي تناهى اليهم تمام الحياة ، يقال فلان عالم جدّ عالم أي متناه في العلم وتقول اليوم فلان عالم جدّاً وبارع جدّاً وقولنا هذا حسن . لكن البلغاء أكثر ما يقولون جدّ عالم وجدّ بارع . والمعنى أن المصوّر أبدع في تصوير هؤلاء الأبطال حتى إنك لتظنهم أحياء مما تتخيله من الحقيقة في حركاتهم وسكناتهم وأصواتهم الخافتة التي يحاكون بها أناساً خرساً يديرون فيما بينهم إشارات يتفاهمون بها بدل الكلام .

(يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس)

الارتياب الشك والتردد في صحة أمرٍ ما . وتَتَقَرّاهم تتبعهم يقال قروت البلادَ واستقريتها وتقرّيتها بمعنى تتبعتها أرضاً أرضاً ، وسرت فيها بقعة بقعة . ونحن نستعمل من هذه المادة فعل استقرأ . ومنه (دليل الاستقراء) في علم المنطق فهو من القرو لا من القراءة . و (يغتلي) بالغين المعجمة إما من غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، أو من غلا بالسهم إذا رمى به أبعدَ ما يقدر عليه . واغتلى البعير أسرع إسراعاً جاوز به حسن السير . فالبحتري يقول : ان ارتيابه في كون هؤلاء الرجال أمواتاً لا أحياء تعاظَم في نفسه وبلغ به أقصى الغاية حتى جعله يعتقد أنهم أحياء لا أموات وحتى كاد يمدّ يديه اليهم ويتقرّاهم أي يتتبع أعضاءهم عضواً عضواً وجارحة جارحة ليتبيّن إن كانوا أحياء أو لا . وهذا غاية في وصف الحذق الذي أبداه المصوِّر في تصوير هؤلاء الرجال .

* * *

(قد سقاني ولم يُصَرِّد أبو الغو ث على العسكرين شُرْبَةَ خَلْسِ)

أبو الغوث ابن البحتري وكأنّ البحتري لما شاهد هذه الصور والتماثيل البديعة في شكلها ، ومختلف أوضاعها ، هاج هذا المشهدُ شهوةَ الشرب والتعاطي في نفسه . ولذلك التفت الى ابنه (أبي الغوث) وقال هاتها فسقاه منها ولم يصرّد ، أي لم يقلّل . و (التصريد) أن تسقي آخر ثم تمنع الشرابَ أو الماء عنه قبل أن يروَى منه . وقريب منه (التغمير) وهو أن تسقيه بالغُمَر : وهو قدح صغير تسقيه به لقلة الماء فلا يُروَي . فأبو الغوث على العكس كان يروّي أباه أي يسقيه بالصغير وبالكبير . والشربُ كان نخباً على صحة أو سلامة أو شرف العسكرَين : عسكر الفرس وعسكر الروم . لكن تلك الشُّربة لم تكن شربة قومٍ متمكنين في مجلس الشرب وإنما كانا في غالب الظن على ظهر جواديهما ، فكان ابنه يعاطيه الشربة (خَلْسًا) أي في اختلاسٍ وخفة

وعجلة . و (الشُربة) بضم الشين بمعنى المقدار المشروب من الماء أو غيره وهو مفعول به لسقاني في أول البيت و (أبو النوث) مرفوع على التنازع ، تنازعه كل من الفعلين قبله فيرفعه أحدهما ويقدر للآخر فاعل .

(من مدامٍ تقولها هي نجمٌ ضوّأ الليل أو مُجاجة شمس)

(تقول) هنا بمعنى الظن ومثله قوله :

متى تقول القلص الرواسما يحملن أم قاسمٍ وقاسما

و (ضوّأ) بمعنى نوّر وأضاء . والمُجاج والمُجاجة الريق تمجّه من فمك . ويستعمل مجازاً في مثل قولنا (أرض خصبة يمجّ ثراها الندى مجًّا) . وفي مثل (مُجاج المزن) وهو المطر ؛ فان المزن أي السحاب كأنه يمجّ المطرَ كما يمجّ الإنسان الريقَ من فمه . ومثل هذا ما قاله البحتري هنا : فانه سمّى السائلَ الذهبي الذي ينتشرُ عن الشمس مُجاجةً كأن الشمس تمجه من فيها مجًّا . والتجوز عن ذلك بالمجاجة يشبه تجوزهم باللُّعاب (وهو الريق الذي يسيل من الفم) عن السَّراب الذي يترقرق في الصحارى وقت الظهيرة فانهم يسمونه لعاب الشمس .

ومعنى البيت أن أبا النوث سقى أباه مداماً فظنها لفرط لألائها نجماً ينير الظلام أو شُعاعةَ شمسٍ تنتشر حرارتها في الفضاء فتحيي الأنام .

(وتراها ـ إذا أجدّت سروراً وارتياحاً للشارب المتحسّي)

(أفرغت في الزجاج من كلّ قلبٍ فهي محبوبةٌ الى كلّ نفس)

ضمير (تراها) يرجع للمدام و (أجدّت) بمعنى جدّدت وأحدثت و (الارتياح) النشاط و (المتحسّي) اسم فاعل من تحسّى الشراب واحتساه وحساه : شربه في مُهلة وتأنٍّ . وهذا كما يُشرب الشاي والقهوة والمرق ونحوها . فالحسوُ خاص بالمائعات أو الأطعمة المرقّقة كالحساء فانه عند العرب طعام مرقّق يُتخذ من دقيق ودهن وماء ونحن اليوم وضعنا أرزاً مكان الدقيق وسميناه (شوربا) ثم

عدلنا أخيراً عن كلمة (شوربا) التركية الى كلمة حساء العربية ، وكلمة (شوربا) محرفة عن كلمة (شربة) العربية . كما أن كلمة (Sirop) الفرنسية محرفة عن كلمة (شراب) العربية وان كان لاروس يقول إن (Sirop) مأخوذة من اللاتينية . ومما يحسن إيراده هنا أن الفرنسيين اشتقوا من (Sirop) فعل (Siroter) أي شرب لكن لا بمعنى مطلق شرب بل هو شرب في مهلة وتأن كما يشرب الشاي مثلاً وهذا المعنى لفعل (Siroter) هو نفس معنى حسا وتحسى في العربية كما مر بيانه .

وقوله في البيت الثاني (أفرغت في الزجاج من كل قلب) جملة حالية من مفعول (تراها) في البيت الأول ، لأن الرؤية فيه بصرية أي ترى المدام - حينما تحدث في نفس شاربها السرور والنشاط - مفرغة في زجاج الكؤوس (من كل قلب) ، أي كأنها تسيل وتعصر من القلوب لا من عناقيد العنب . والدليل على أنها معتصرة من القلوب هو أنك تراها محببة الى القلوب . فلو لم تكن معتصرة من القلوب لما كانت محببة اليها لأنها جزء منها . كما أن الولد جزء من أبيه ولذا يحبه . وهذا على حد قول الآخر :

اذا كنتَ من كل القلوب مركباً فأنتَ الى كل الأنام حبيب

وما قاله البحتري في وصف الخمرة على بلاغته من جهة الصنعة الشعرية والجمال الفني فإن الأبلغ منه من جهة الصنعة الطبية والأخلاقية والاجتماعية قول بعض الحكماء (ليست الخمور سوى مصائب مجمّعة في الكؤوس) وجاء في بعض الأسفار القديمة : (إذا أراد الشيطان أن يدخل مكاناً عسُر عليه الوصولُ اليه أرسل أمامه الخمرة) .

(وتوهمتُ أن كسرى أبرويـــز مُعاطيَّ والبَلَهْبَذَ إنسي)

كلمة (كسرى) يطلقها العرب على كل ملكٍ للفرس كما أطلقوا (النجاشي)

على كل ملك للحبش . و (كسرى) محرفة عن اسم علم لأحد ملوكهم الأقدمين وهو (كيخسرو) . ويفهم من كسرى عند الإطلاق كسرى أنوشروان المشهور بالعادل . وقد ولد في زمنه النبيّ (ﷺ)، أما كسرى أبرويز المذكور في البيت فهو من متأخري ملوكهم الذين أدركهم الإسلام . والمعاطاة في اللغة المناولة ثم غلبت في مناولة كؤوس الخمر و (البَلَهْبَذ) اشتبه عليَّ تفسيرها وضبطها ولا سيما انها في معجم البلدان (البلهبدى) بالدال المهملة وألف مقصورة في آخرها . ولم أجدها في المعاجم العربية . وليس لدينا معاجم فارسية يعتمد عليها . ثم هُديت الى تفسيرها بطريق ينبغي ذكره لطف اتفاقه وحسن مساقه : ذلك أنه زار مجمعنا العلمي الدمشقي (سنة ١٩٢٩ م) لمشاهدة الآثار نفر من حجاج الإيرانيين . وفيهم رجل يتزيّا بزي علمائهم ومجتهديهم فاستأنستُ به وطفت معه على الآثار . وسألته عن اسمه فقال : إنه من علماء رشت في خراسان العجم واسمه (ميرزا أبو الفضل) وانه مدرس في احدى مدارس رشت يعلّم طلابها الفقه . فذاكرته في معنى كلمة (البلهبذ) وأنشدته بيت البحتري المذكور ، فقال : البلهبذ بضم الباء الثانية لا بفتحها وآخرها ذال معجمة ومعناها النديم[1] ويراد منها نديم كسرى المشهور ، فقلت له : هل تأذن لي

(١) ثم ظفرنا بفوائد تتعلق بالبلهبذ في شهنامة الفردوسي المترجمة العربية جزء (٢ ص ٢٥٤) وخلاصة ما قرأته فيها ان البلهبذ هو أكبر المغنّين في بلاط كسرى (أبرويز) وأصل اسمه بالفهلوية (بَلَهْبَتْ) وقد تحرف في العربية الى نحو عشرة تحاريف منها : (بربد) و (برباد) وبهليد وبهلبذ وبابهبدى الخ . وهو الذي غنّى لكسرى فأعلمه بموت حصانه (شبديز) بعد ان أحجم وزراؤه عن نعيه اليه . وقد رأيت الأستاذ عبد الوهاب عزام في مجلة الرسالة في كلامه على رحلته الى ايران يضبط (البَلَهْبَذ) بفتح ثم فتح ثم سكون ثم فتح ثم ذال مرةً معجمة ومرةً مهملة وقال : رووا ان لكسرى أبرويز ثلاث خصائص : حصانه شبديز وجاريته شيرين ومغنّيه بِلَهْبَذ ولم يقم في العالم أحذق من بلهبذ بالعود .

أن أروي شرح هذه الكلمة عنك ؟ قال: قد أذنت لك . فشكرت له تلطفه وودعته بحفاوة وإكرام .

وكلة (أنسي) بضم الهمزة وهو ضد الوحشة أي ذو أنس، وأستحسن أن تكون بكسر الهمزة صفة بمعنى الأنيس الذي يؤانسك، يقال فلان (إنسُك وابنُ إنسِكُ) بكسر الهمزتين أي صفيك واليفك، وقال أبو زيد (تقول العرب للرجل: كيف ترى ابنَ إنسِك ؟ إذا خاطبت رجلاً تسأله عن نفسك) .

ومعنى البيت أن البحتري لما سقاه (أبو الغوث) نخب العسكرَيْن وهو ينظر اليهم والى ملوكهم خُيّل اليه أنه في مجلس شراب وأن كسرى ابرويز نفسه يُعاطيه، والبلهبذ نديمه يؤانسه ويناجيه .

(حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشك عيني   أم أمانٍ غَيَّرنَ ظنّي وحَدْسِي)

(الحُلُم) رؤيا المنام و (أمان) جمع أمنيّة والحدس الظن والتخمين، يقول البحتري: إن ما توهمه من معاطاة كسرى ومنادمة البلهبذ أهو يا ترى أضغاث أحلام انطبقت أجفانه على الشك والتردد في صحتها أو هو من قبيل الأماني التي تشتدّ أحياناً في النفس فيتبدّل معها الظن والتخمين إلى القطع واليقين ؟؟

(وكأنّ الإيوان من عَجَب الصنـــعة جوْبٌ في جَنْب أرعن جِلْسِ)

بعد أن وصف الشاعر صورة معركة انطاكية التي شاهدها في (الجرماز)، وشرب عليها المدام اختلاساً من دون نقل ولا ماز، عاد في الوصف الى مشهد آخر من مشاهد إيوان كسرى وطاقه المشهور . والطاق كما مر القوس الأعظم المبني بالآجر وكل آجرة طولها ذراع وعرضها نحو شبر . عُرّيت تلك القنطرة من جصّها وزينتها . ولم يبق منها إلا تلك الآجرات المقوّسة كأضلاع الهيكل العظمي بحيث يظنها من يراها عالقةً في الفضاء. وقد انطادت صُعُداً حتى كأن لها حاجةً في السماء . هذا الطاق إذا استقبله الزائر رأى فضاء مطوقاً بقوس

من آجر على ارتفاع ثمانين ذراعاً وقد أحاطت به من ورائه بعيدة عنه بقايا القصور والأبنية الشاهقة ـ اذا رأى هذا المشهد مشاهده لم يحسبه إلا جوباً في جنب أرعن جلس . والجوب الخرق والنقب الواسع . وكل فجوة تحيط بها البيوت من جوانبها فهي جوب . وأصل معنى الجوب القطع وجابوا الصخر بالواد (وهم ثمود) : قطعوه ونحتوا فيه فجوات ومغاور يسكنون فيها . والأرعن الجبل ذو الرعن . والرعن أنف عظيم يتقدم الجبل أي نتوء وبروز في الجبل . و (الجلس) بفتح الجيم الجبل العالي الطويل .

يقول البحتري في صفة الإيوان وطاقه : إن صانعه أتى في صنعه بالعجب العجاب : إذ هو يشبه فجوة واسعة في جنب جبل شامخ عظيم .

هذه الفجوة أو الجوب الواسع في الجبل الذي رآه شاعرنا يذكر بفجوة أخرى أو جوب آخر يراه الناظر تحت قدمه إذا أشرف من أرز لبنان على وادي نهر قاديشا المشهور بالجبة . تلك الفجوة أو الهوة الواسعة العميقة جداً العمق والتي تحيط بها الجبال الشامخة جد الشموخ وكلها من صنع الطبيعة تذكر بفجوة الطاق المائلة وحولها الأبنية ، وكلها من صنع البشر .

(يتظنّى من الكآبة إن يبـ ـدو لعيني مصبّح أو ممسّي)

(مزعجاً بالفراق عن أنس إلف عزّ أو مرهقاً بتطليق عرس)

يصف الكآبة الحزينة التي تغشى الإيوان عندما يراه الناظر وقت الصباح أو وقت المساء . و (يتظنّى) بمعنى الظن أصله يتظنّن بثلاث نونات أبدلت الأخيرة ألفاً ومنه قول الحريري في مقاماته :

يا من تظنّى السراب ماء لما رويت الذي رويت

(مصبّح وممسّي) اسما فاعل من صبّحه ومسّاه جاءه صباحاً ومساء . و (مزعجاً) بفتح العين اسم مفعول من أزعجه عن وطنه ثم اضطره الى مغادرته وهو كاره ومنه قول ابن دريد :

وسائلي بزعجي عن وطني ما ضاق بي جنابه ولا نبا

و (إلف عزّ) أي أليف وأنيس عزّ عليه و (المُرهَق) اسم مفعول أيضاً من أرهقه إذا أعنته وكلّفه ما لا طاقة له بحمله . والعِرس بكسر العين: الزوجة .
والمعنى أن من زار الإيوان صباحاً أو مساءً ظنه مما عليه من الكآبة والعُبوس وسوء الحال رجلاً طرده ظالم من وطنه وفرّق بينه وبين أليفه المؤانس له العزيز عليه . أو يظنه زوجاً محباً لزوجه في رغد من الحياة معها أرهقه ظالم غاشم وأكرهه على تطليقها ، فإيوان كسرى يشبه أحد هذين الرجلين الحزينين المهاجر من وطنه أو المطلق لسكنته .

(عكست حظّه الليالي وبات الـمشتري فيه وهو كوكب نحسِ)

هذا البيت وارد على رأي الأقدمين في الطالع وأن للنجوم تأثيراً في أحوال البشر ، وشؤون حياتهم . وهو العلم الذي أبطله الإسلام . ولكن مع الأسف بقي جماعة من المسلمين يؤمنون به الى هذه الساعة .

وكوكب (المشتري) هو الذي يتجلى على الناس بحسن الطالع في زعم المنجمين . وعلى العكس كوكب (زُحَل) فإن طالعه شؤم وشقاء عليهم . فإيوان كسرى بعد أن كان كوكب سعده كوكب المشتري عكست الليالي هذا الحظ وحولت المشتري الى كوكب نحس وشؤم على الإيوان .

(يتبع) المغربي

بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية

- ٢ -

(م) فان قيل (أي إن قال الشيعة) : فأنتم - في هذا المقام - تسبون الرا .. وتذمونهم وتذكرون عيوبهم .

(ت) قيل (أي يقول السنيون) : ذكرُ الأنواع المذمومة غيرُ ذكر الأشخاص المعيَّنة ... وهم يستعينون بالكفار على المسلمين ، كما جرى لجنكز خان ملك الترك الكفار ، فانهم أعانوه على المسلمين . وإما إعانتهم لهولاكو ابن ابنه لمّا جاء الى خراسان والعراق والشام ، فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد .... ولم يُرَ في الاسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفّار المسمّين بالتتر ؛ وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير العباسيين ، فهل يكون مواليًا لآل الرسول (ﷺ) من يسلّط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين ؟؟

[وصف مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ص ٥٧٨ من كتابه (روضات الجنات) الطبعة الثانية هذا الموقف المخزي ، فقال في ترجمة شيخهم النصير الطوسي ما نصه : « ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره (أي النصير الطوسي) للسلطان المحتشم في محروسة ايران ، هولاكو خان ابن تولي خان ابن جنكز خان ، من عظماء سلاطين التاتارية ، وأتراك المغول ، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد ، لإرشاد العباد وإصلاح البلاد ، وقطع داير سلسلة البغي والفساد ، وإخماد

ثائرة الجور والإبلاس ، بإبادة دائرة ملك بني العباس !! وايقاع (القتل العام) من أتباع أولئك الطغام . إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها الى نار جهنم دار البوار ، ومحل الأشقياء الأشرار !!! .. وهذا مصداق ما قرره شيخ الإسلام (ابن تيمية) منقولاً بحروفه من اعتراف الخونساري .. الذي يعدّ (القتل العام) في المسلمين من أمانيّهم ورغائبهم ، عاملهم الله بما يستحقون] .

(ت) وكان وزير الخليفة ببغداد الذي يقال له ابن العلقمي منهم (توفي سنة ٦٥٦) .

[ووثق به المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فألقى اليه زمام أموره . ولما دخلت جيوش هولاكو الوثني بلاد إيران أرسل اليه ابن العلقمي يحرضه على قصد بغداد ... فزحف هولاكو على بغداد في مائتي الف من التتار والكرج وسائر يأجوج ومأجوج ، ومثّل ابن العلقمي دوره في مخادعة الخليفة المستعصم ، وهوّن عليه الأمر ، فلما نزلت جيوش هولاكو في شرقي بغداد وغربيها ، استأذن ابن العلقمي خليفته بالخروج إليهم للتوسط في الصلح ، وبعد أن توثق الخبيث لنفسه وكاشف المغيرين بانحيازه اليهم وخيانته لدولته ، عاد فزعم للخليفة انّ هولاكو يرغب في تزويج ابنته بالأمير أبي بكر ابن الخليفة !! .. ودعا الخليفة وابنه وأعيان الدولة الى الخروج لزيارة هلاكو ، كما دعا العلماء والرؤساء ليحضروا عقد الزواج بزعمه ، فلما صاروا بعسكر هلاكو أمر بضرب أعناقهم ، وبقيت الرعية بلا راع ، ثم دخلت يأجوج ومأجوج بغداد ، فوضعت السيوف في الرقاب ، واستمر القتل والسبي والنهب أربعين يوماً ، ويقال ان هلاكو أمر بعد ذلك باحصاء ضحايا الأمة الإسلامية هناك ، فزاد عدد من أحصوه من القتلى على ألف ألف ، وثمانمائة ألف ، والذي لم يحصوه أضعاف

ذلك . وقد وصف تقي الدين ابن أبي اليُسر هذه الجزورة الهمجية بقصيدة منها :

يا زائرين إلى الزوراء لا تَفِدوا   فما بذاك الحمى والدار ديّارُ

أما عدوّ الله ابن العلقمي فخابت آماله كلها في إقامة الملك أو الإمامة لهم ، واحتقره هلاكو ورجاله كما يحتقر كل خائن ، وصار فيهم كمملوك من المماليك ، حتى أثر عنه أنه كان ينشد : «وجرى القضاء بعكس ما أمّلته» ثم مات كمدا ، لا رحمه الله . وهذا البلاء الأعظم الذي وقع في دولة الإسلام وأمة المسلمين على يد كفار التتار الوثنيين ، هو الذي وصفه مؤرخ الشيعة الخونساري بلسان الشماتة والابتهاج ، معلنا أنه ومَن على شاكلته من طائفته متحازون الى صفوف الكفار ، ومعادون لجماعة المسلمين . قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله] .

(م) وقال عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، (فمن عاد الى مثلها فاقتلوه) .

(ت) قلنا : هذا القول الأخير افتراء ، وإنما قال : وليس فيكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبي بكر . ومعناه أن بيعة الصديق بُودر اليها من غير انتظار وتربث لكونه كان متعينا .

(م) ولم يولّ النبي أبا بكر عملاً قط ؛ بل ولّى عليه عمرو بن العاص مرة ، وأسامة أخرى . ولما أنفذه بسورة براءة ردّه بوحي من الله» ؟

(ت) قلنا من المعلوم قطعاً أن النبي (ﷺ) استعمل أبا بكر على الحج عام تسع ، فكان هذا من خصائصه ، كما أن استخلافه على الصلاة من خصائصه ، وكان عليّ من رعيته في الحج المذكور ، فإنه لحقه فقال (أي أبو بكر لعلي (رض)) : أمير أو مأمور ؟ قال عليّ : بل مأمور . وكان علي يصلي خلف أبي بكر مع سائر المسلمين في هذه الحجة ، بل خُصّ بتبليغ سورة براءة» .

[لسببين : (أحدهما) أن في السورة فسخاً لعهود سابقة مع المشركين ، ومن عادة العرب أن يتولى إعلان ذلك الرجلُ المطاع في جماعته ، أو رجل من ذوي قرابته . (والسبب الثاني) أن في السورة ثناء من الله عز وجل على الصديق الأعظم رضوان الله عليه ، وهو قول الله جل جلاله : « إلاّ تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن ، إنّ الله معنا » . فكان من مناقب الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أن يعلن هذا الثناء الإلهي عليه أخوه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما] .

(م) وأهمل أبو بكر حدود الله ، فلم يقتصّ من خالد بن الوليد حيث قتل مالك بن نويرة ، وأشار عمر بقتله فلم يقبل » .

(ت) إن كان ترك قتل قاتل المعصوم (أي معصوم الدم) مما ينكر على الأئمة كان هذا من أكبر حجج شيعة عثمان على عليّ ، فان عثمان خير من أمثال مالك بن نويرة ، وقد قتل مظلوماً شهيداً ، وعلي لم يقتص من قتله ، ولذا امتنع الشاميون من مبايعته ، فان عذرتموه فاعذروا أبا بكر ، فانا نعذرهما . وكذلك إنكاركم على عثمان حيث لم يقتص من عبيد الله بن عمر بالهرمزان . ثم إن عمر أشار عليه باجتهاد منه :

(م) وخالف أمر النبيّ في توريث بنته ومنعها فَدَك » .

(ت) قلنا : جميع المسلمين مع أبي بكر فيما فعل ، (خلا الجهلة) وذلك لرواية جماعة من الصحابة عن النبي (ﷺ) أنه قال « لا نورث » (وقد تقدم ذلك) .

[روايات هذا الحديث وما دار حوله في ص ٤٨ — ٥١ من (العواصم من القواصم)] .

(م) وعن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) قال في مرضه: ائتوني بدواة وبيضاء، لأكتب لكم كتاباً لا تضلون من بعدي. فقال عمر: إن الرجل ليهجر، حسبنا كتاب الله، فكثر اللغط، فقال رسول الله (ﷺ): اخرجوا عني، لا ينبغي التنازع لدي، قال ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب النبي (ﷺ).

(ت) أما قصة الكتاب فقد جاء مبيناً في الصحيحين من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله (ﷺ) في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فاني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» ... والنبي (ﷺ) كان عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما أراد، كما قال: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة؛ أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن علياً كان هو المستحق للإمامة فيقولون انه قد نص على إمامته قبل ذلك نصاً جلياً ظاهراً معروفاً، وحينئذ فلم يكن يحتاج الى كتاب.

(م) فكان (أي عمر) يعطي أزواج النبي (ﷺ) من بيت المال أكثر مما ينبغي، ويعطي عائشة وحفصة في السنة عشرة آلاف.

(ت) قلنا: كان مذهبه التفضيل في العطاء، كما كان يعطي بني هاشم أكثر من غيرهم، ويبدأ بهم، ويقول: ليس أحد أحق بهذا المال من أحد، وإنما هو الرجل وغناؤه، والرجل وبلاؤه، والرجل وسابقته، والرجل وحاجته، وكان يعطي ابنه عبد الله أنقص مما يعطي أسامة بن زيد، فو الله ما كان عمر يتهم في تفضيله لمحاباة ولا صداقة.

(م) وقال بالرأي والحدس والظن» .

(ت) قلنا هذا لم يختصّ به ، وقد كان عليّ من أقولهم بالرأي ، فمن ذلك سيرُه الى صفّين ، فقال : لمْ يَعْهَدْ إليّ فيه نبيّ الله بشيء ولكنه رأي رأيته . وأما قتاله الخوارج فكان معه فيه حديث . وأما قتال الجمل وصفين فلم يروِ أحد منهم فيه نصّاً إلاّ القاعدون فانهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة [ومنهم سعد بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وأسامة بن زيد وغيرهم] .

ومعلوم أن الرأي إن لم يكن مذموماً فلا لوم على من قال به ، وإن كان مذموماً فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين ، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم ، بل نقص الخير عمّا كان ، وزاد الشرّ على ما كان ، فاذا كان مثل هذا الرأي لا يعاب به فرأي عمر وغيره في مسائل الفرائض والطلاق أولى أن لا يعاب ، مع أن علياً شركهم في هذا الرأي ، وامتاز برأيه في الدماء ؛ وقد كان ابنه الحسن وأكثر السابقين الأولين لا يرون القتال مصلحة ، وكان هذا الرأي أصلح من رأي القتال بالدلائل الكثيرة . ومن المعلوم أنّ قول عليّ في الجدّ وغيره من المسائل كان بالرأي ، وقد قال : اجتمع رأيي ورأي عمر على المنع من بيع أمهات الأولاد .

(م) إن زعم أنّ الامام يكون منصوصاً عليه وهو معصوم» .

(ت) فليس هو أعظم من الرسول ، ونوابُه وعمّالُه ليسوا معصومين ، ولا يمكن أن ينصّ الشارع على كل معيّنة ، ولا يمكن النبيّ ولا الامام أن يعلم الباطن في كل معيّنة . وأما علي رضي الله عنه فظهور الأمر في الجزئيات بخلاف ما ظنه كثير جدا ، فعلم أنه لا بدّ من الاجتهاد في الجزئيات من المعصومين

وغير المعصومين . وفي الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال : «أنكم تختصمون إليّ ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيتُ له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار» فحكمه في القضية المعينة إنما هو باجتهاده ، ولهذا نهى المحكوم له أن يأخذ ما حكم له به إذا كان الباطن بخلاف ما ظهر .

(م) وقولك : جمع (أي عمر) بين الفاضل والمفضول ، (أي في الشورى) .

(ت) فهذا عندك ، وأما عندهم فكانوا متقاربين ، ولهذا كانوا في الشورى مترددين ، فان قلت : علي هو الفاضل وعثمان المفضول ، قيل لك : فكيف أجمع المهاجرون والأنصار على تقديم مفضول ؟ وقال بعض العلماء : مَن قدّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وفي الصحيحين عن ابن عمر ، قال : كنا نفاضل على عهد النبي (ﷺ) فنقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان . وفي لفظ : ثم ندع أصحاب النبي (ﷺ) فلا نفاضل بينهم ، فهذا ينقل ما كان عليه الصحابة على عهد نبيهم ، وظهر أثر ذلك فانهم بايعوا عثمان من غير رغبة ولا رهبة واتفقوا عليها ... فدلّ على أنهم إنما قدموه باستحقاق . وهذا شيء إذا تدبره الخبير ازداد به بصيرة وعلماً .

(م) وأمّا عثمان فانه ولّى مَن لا يَصلُح حتى ظهر من بعضهم الفسق والخيانة ، وقسم الولايات بين أقاربه ، وعوتب فلم يرجع .

[كلُّ ما عزاه أعداء الصحابة الى ذي النورين رضوان الله عليه ، أورده القاضي أبو بكر بن العربي وسماه (قواصم) وأجاب على كل قاصمة بعاصمة من الحق عن أصدق المصادر وأصحها بعد كتاب الله . ومن ذلك تألف كتاب : (العواصم من القواصم) الذي علقنا عليه بما لا يترك مقالاً لقائل . فارجع اليه لتطهر قلبك من الغل للذين آمنوا من تلاميذ محمد (ﷺ) ، وخاصة أحبابه ،

فإن أعداءهم شحنوا الكتب بالأكاذيب التي انتشرت ، وأفسدت قلوب بعض المسلمين على سلفهم الأول ، إلى أن أظهر الله الحق بكتاب العواصم من القواصم ، فانتفع به الكثيرون ولله الحمد والمنة] .

(تنبيه) ذكر ابن المطهر أمثلة على انحراف الخليفة عثمان ، فأجاب عنها ابن تيمية ، وصاحب التعليقات واحدة واحدة .

(م) وأبو بكر وعمر وعثمان ما كانوا معصومين اتفاقاً ، وعلي معصوم فيكون هو الإمام » .

(ت) الرسول هو المعصوم ، وطاعته هي الواجبة في كل وقت على الخلق ، وعلم الأمة بأوامره أتم من علم البعض بأوامر المنتظر . فهذا رسول الله (ﷺ) هو المعصوم ، وأوامره معلومة ، فاستغنت الأمة به وبأوامره وبعلمه عن كل أحد ، وأولو الأمر منفذون لدينه ليس إلا . ومعلوم قطعاً أنه كان نوابه في اليمن وغيرها يتصرفون في الرعية باجتهادهم وليسوا بمعصومين ، ولم يتول على الأمة من ادُّعِيَتْ له سوى علي ، وكان من نوابه على رعيته بالبلاد النائية مَن لا يدري بما أمر ولا بما نَهى ، بل كانوا يتصرفون بما لا يعرفه هو (أي باجتهادهم) .

ثم الإمام الذي وصفته ، لا يوجد في زماننا ، مفقود غائب عندكم ، ومعدوم لا حقيقة له عند سواكم ، ومثله لا يحصل له شيء من مقاصد الإمامة ، بل الإمام الذي يقوم وفيه جهل وظلم (كما تدعون) أنفع لمصالح الأمة ممن لا ينفعهم بوجه ، والإمام يحتاج اليه للعلم ليبلغه ، وللعلم ليطاع في سلطانه .

[إن جميع الدلائل الشرعية والعقلية والتاريخية التي في أيدينا – عن آخر مَن يدّعون عصمته – تدلّ على أنه لم يخلق ، ويوم وقعت وفاة أبيه وحُوِّرت تركته ، لم تقل زوجة من أزواج المتوفى ولا أمة من إمائه إنّ له ولداً منها . وحجزت أزواجه وإماؤه في منزل مدة العدّة على احتمال أن تكون حاملاً فتلد ،

فقضت مدة العدة ولم يولد له أحد . والمنزل الذي يزعمون انّ فيه سرداباً كان من يوم وفاة الحسن العسكري تحت تصرف أخيه جعفر ، وكان جعفر على يقين بأنه ما كان ولم يكن لأخيه ولد ، وللعلويين نقابة وتقنيب وسجل للمواليد ، وليس فيه أي ذكر لمولود ينسب الى الحسن العسكري] .

(م) والإمام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، وعليّ فاضل أهل زمانه فهو الإمام لقبح تقدم المفضول على الفاضل عقلاً ونقلاً » .

(ت) قلنا لا نسلّم أنه أفضل أهل زمانه ، فانه قال على منبر الكوفة : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . ثم كثير من العلماء لا يوجبون تولية الأفضل ، ومنهم من يقول بولاية المفضول إذا كان فيها مصلحة راجحة كما تقول الزيدية .

(م) قوله تعالى : يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل اليك من ربك» اتفقوا على نزولها في عليّ ، روى أبو نُعيم باسناده الخ ومن تفسير الثعلبي الخ وقد روى هذا النقاش في تفسيره» .

(ت) قولك اتفقوا على نزولها في عليّ كذب . . . بل ولا قاله عالم ، وفي كتاب أبي نعيم والثعلبي والنقاش من الكذب ما لا يُعدّ ، والمرجع في النقل الى أمناء حديث رسول الله ، كما أن المرجع في النحو الى أربابه ، وفي القراءات إلى حذاقها ، وفي اللغة إلى أئمتها ، وفي الطب إلى علمائه ، فلكل فنّ رجال ، وعلماء الحديث أجلُّ وأعظم تحرياً للصدق من كل أحد ، علم ذلك من علمه ، فما اتفقوا على صحته فهو الحق ، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط ، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بانصاف وعدل ، فهم العمدة كمالك وشعبة والأوزاعي والليث والسفيانين والحمادين وابن المبارك ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، ووكيع وابن علية ، والشافعي وعبد الرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحميدي

وأبي عبيد وابن المديني وأحمد واسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون وصالح جزرة والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبّان والدارقطني وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل ٠

وقد صنف في معرفة الرجال كتب جمة : كالطبقات لابن سعد ، وتاريخي البخاري ، وكلام ابن معين من رواية أصحابه عنه ، وكلام احمد من رواية أصحابه عنه ، وكتاب يحيى بن سعيد القطّان ، وكتاب علي بن المديني ، وتاريخ يعقوب الفسوي ، وابن أبي خيثمة ، وابن أبي حاتم ، والعقيلي ، وابن عدي وابن حبان والدارقطني ٠

والمصنفات في الحديث على المسانيد : كمسند أحمد ، واسحاق ، وأبي داود ، وابن أبي شيبة ، والعدني ، وابن منيع ، وأبي يعلى ، والبزار ، والطبراني وخلائق ٠

وعلى الأبواب : كالموطأ ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيحي البخاري ومسلم ، والسنن الأربعة ، وما يطول الكتاب بتعداده ٠

ثم نقول : ما يرويه مثل النقاش والثعلبي وأبي نعيم ونحوهم : أتقبلونه مطلقاً لكم وعليكم ، أم تردّونه مطلقا ، أو تأخذون بما وافق أهواءكم وتردّون ما خالف ؟ فان قبلوه مطلقاً ، ففي ذلك من فضائل الشيخين جملة من الصحيح والضعيف ، وإن ردّوه مطلقاً بطل اعتماده بما ينقل عنهم ، وان قبلوا ما يوافق مذهبهم أمكن المخالف ردّ ما قبلوه والاحتجاج بما ردّوه ، والناس قد كذبوا في المناقب والمثالب أكثر من كل شيء ٠

ثم هذا الحديث كذب باتفاق أهل الحديث ، ولهذا لم يُروَ في شيء من كتب الحديث المرجوع اليها ، وانما يجوّز صدقه من يقول : إن النبي (ﷺ) كان على مذهب أحد الأربعة !! ٠٠٠ أو ان قبر علي رضي الله عنه بباطن

النجف ، وأهل العلم يعلمون أنّ عليًا ومعاوية وعمرو بن العاص دفن كل واحد منهم بقصر الإمارة ، خوفًا عليه من نبش الخوارج .

[أما قصر الإمارة في الكوفة الذي دفن فيه عليّ كرم الله وجهه ، فانه يقع قبلي الجامع ويطلّ على الرحبة . ويقول مؤرخ الشيعة لوط بن يحيى إنه دفن في إحدى زوايا الجامع على رحبة القصر ، بالقرب من أبواب كندة . وما زعمته الشيعة بعد ذلك من أن قبره في النجف ، فهو زعم متأخر دهراً طويلاً عن زمن عليّ وابنيه ، لأنه يرجع إلى أواخر القرن الثالث ، وقصر الإمارة في دمشق الذي يعلم أهل العلم أن معاوية دفن فيه هو (الخضراء) التي كانت تتصل بجدار القبلة من مسجد دمشق ، وتمتد شرقًا الى بركة جيرون ، وغربًا الى باب البريد ، وجنوبًا الى قصر أسعد باشا العظم وما حوله] .

[وأما عمرو بن العاص فانه لما توفي في عيد الفطر من عام ٤٣ صلى عليه ابنه عبد الله (رض) ولم أعثر عند كتابة هذا التعليق على نص لمن قالوا انه دفن في دار الإمارة ؛ والمشهور أنه دفن في سفح جبل المقطّم بقرب مدخل الشعب . وكان الصحابة يرون أن العظماء تخلدهم أعمالهم لا قبورهم . ولذلك لم يكونوا – كالفراعنة والجبارين – يبالون بأن تقام المباني والصروح على قبور العظماء منهم والفاتحين والصالحين] .

(م) روى الجمهور قوله عليه الصلاة والسلام : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض . وقال : أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وسيد أهل بيته علي ، فيكون واجب الطاعة على الكل فيكون الإمام» .

(ت) قلنا : إنما لفظ الحديث في مسلم ، عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ﷺ) خطيبًا بخم ، فقال : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا : كتاب الله» وأما قوله : «وعترتي» فهذا رواه الترمذي ، وتفرد به زيد بن الحسن الانماطي عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر ، والانماطي قال فيه أبو حاتم منكر الحديث [ويعدُّه الشيعة منهم ، وله ترجمة عند المامقاني (١ : ٤٦٢) . ولكنه غير محمود عندهم ولا عندنا] . وأما حديث سفينة نوح فغير صحيح ، ولا هو في شيء من الكتب المعتمدة ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لن يتفرقا ، يدلّ على أن إجماع العترة حجة ، وهو قول طائفة من أصحابنا وذكر القاضي في المعتمد : والعترة هم بنو هاشم كلهم : ولد علي وولد العباس وولد الحارث ابن عبد المطلب . وسيد العترة هو رسول الله (ﷺ) وكان ابن عباس أفقه العترة ، وكان يخالف عليًا في مسائل ، وعلي ما كان يوجب على أحد طاعته فيما يفتي به .

(الخاتمة) كل عاقل يعلم أن أهل الدين والجمهور ليس لهم غرض ـ والله ـ لا مع عليّ ولا مع غيره ، ولا غرضهم تكذيب نبيهم ، ولا ردّ ما أمر به ، ولو علموا أن الرسول نصّ لهم على عليّ لكانوا أسبق شيء الى أمره والى التصديق به ، غاية ما يقدَّر أنه خفي عليهم هذا الحكم فكيف يكون مَن خفيّ عليه جزء من الدين مثل ... بل يكفي من وضع .. قول المصطفى (ﷺ) : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ، نعم ، ومن كتم ما نصّ عليه الرسول مراغمة لله ورسوله فهو من أصحاب النار .

(م) المنهج الرابع في الأدلة الدالة على إمامته من أحواله ، فذكر أنه كان أزهد الناس وأعبدهم ، وأعلمهم وأشجعهم . وذكر أنواعًا من خوارق العادات له .

(ت) بل كان أزهدَ الناس بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر ، فانه كان له مال يتجر به ، فأنفقه كله في سبيل الله [أخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة : أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف

درهم ، قال عروة : وأخبرتني عائشة ، أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً . ومن طريق أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه : كان أبو بكر معروفاً بالتجارة ، ولقد بعث النبي (ﷺ) وعنده أربعون ألفاً ، فكان يعتق منها ويعول المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف ، وكان يفعل فيها كذلك] .

قال ابن زنجويه [هو حميد بن مخلد الثقة الثبت الحجة الحافظ . توفي سنة ٢٤٧] : كان علي فقيراً في أول الإسلام ، ثم استفاد الرباع والمزارع والنخيل ، واستشهد رضي الله عنه وعنده تسع عشرة سرية وأربع نسوة . وقال شريك بن عاصم : لقد رأيتني على عهد رسول الله (ﷺ) أربط الحجر على بطني من شدة الجوع ، وان صدقة مالي لتبلغ اليوم أربعين ألفا .

ثم قد كان لأبي بكر من الولد مثل عبد الرحمن ، ومن القرابة مثل طلحة أحد العشرة ، فما استعمل هذا ولا هذا في جهاته ، وهي مكة والمدينة واليمن وخيبر والبحرين وحضرموت وعمان والطائف واليمامة ، ثم جرى عمر على مجراه ، ولم يستعمل من بني عدي أحداً على سعة عمله ، وقد فتح الشام ومصر والعراق إلى خراسان ، إلا النعمان بن عدي العدوي وحده ـ على ميسان ـ ثم أسرع عزله ؛ فكان فيهم مثل سعيد بن زيد أحد العشرة ، وأبي جهم بن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وولده عبد الله بن عمر . ثم كل منهما لم يستعمل ابنه من بعده على الأمة ... وجدنا علياً استعمل أقاربه : ابن عباس على البصرة ، وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقثماً ومعبداً ابني عباس على الحرمين ، وابن أخته جعدة بن هبيرة على خراسان ، وابن امرأته وأخا ولده محمد بن أبي بكر على مصر ، ورضي بيعة المسلمين لابنه بعده . ولسنا ننكر أهليته وزهده وعظمته ، ولا أهلية عبد الله بن عباس للخلافة ، ولكنا نقول : إن أبا بكر وعمر أتم زهداً وأعزف عن الدنيا من زاهد يفعل المباحات .

(م) وبالجملة ، زهدُه لم يلحقه أحدٌ فيه ولا سُبق اليه ، واذا كان كذلك كان هو الإمام» .

(ت) قلنا : كلا المقدمتين باطلة : لم يكن أزهد من أبي بكر (كما تقدم) ولا كلُّ مَن كان أزهد كان أحقَّ بالإمامة ، وقال علي : لا يبلغني أن أحداً فضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري ، وقد رُوي عن علي من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبره : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر . وقال البخاريّ : حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سفيان، حدثنا جامع بن شدّاد ، حدثنا منذر الثوري ، عن محمد بن الحنفية ، قال : قلت لأبي : يا أبة من خير الناس بعد رسول الله (ﷺ) ؟ قال : يا بُنيَّ أو ما تعرف ؟ فقلت : لا ، فقال : أبو بكر ، قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم عمر .

ثم عقد ابن المطهر فصلاً في الكلام على إمامة أبي بكر ، واليك مثلاً منه وجوابه :

(م) قال : واحتجوا بالاجماع ، والجواب منعه ، فان جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عبادة وزيد بن أرقم وأسامة وخالد بن سعيد بن العاص ... وبنو حنيفة كافة ولم يحملوا الزكاة اليه ، حتى سمّاهم أهلَ الرِّدَّة وقتلهم وسباهم ، فأنكر عليه عمر ، وردَّ السبايا أيام خلافته» .

(ت) أفسُمِعَ قطُّ بمثل هذا ؟ : فقد عَلِمَ كلُّ عالم كفر بني حنيفة أتباع مسيلمة وارتدادهم ، وهذا يعدّهم من أهل الإجماع ، وإنما قتلهم وسباهم لامتناعهم عن بيعته ، ولأنهم لم يحملوا الزكاة اليه !! فنعوذ بالله من البهتان :

إذا محاسني اللاتي أدلُّ بها كانت ذنوباً فقل لي كيف أعتذرُ

ومن أعظم مناقب الصدّيق قتل أولئك الأرجاس وسبيهم ، وما قاتلهم على

منع زكاة ، بل على إيمانهم بمسيلمة ، وكانوا نحو مائة ألف . والحنفية سرِّية عليّ - أم محمد بن الحنفية - من سبيهم .

[وتسرّي علي بها اعتراف منه بشرعية حكم أبي بكر وحروبه ونتائجها (انظر رسالة مؤتمر النجف ص ٣١)] .

فأما الذين قاتلهم على منع الزكاة فطوائف من العرب غير بني حنيفة استباحوا ترك الزكاة بالكلية فقاتلهم ... فأمر بني حنيفة قد خلص الى العذارى في الخدور ، وكتاب الردة لسيف بن عمر مشهور ، والردة للواقدي . ثم قولك إن عمر أنكر قتال أهل الردة وردّ عليهم» من البهتان ، وإنما توقف مع الصديق في قتال مانعي الزكاة فناظره ، فرجع عمر الى قوله . وأما الذين سميتهم وأنهم تخلفوا عن بيعة الصديق ... ما تخلف إلا سعد بن عبادة ، ومبايعة هؤلاء لأبي بكر ثم عمر أشهر من أن تنكر .

والكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . (أما الأول) فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس بأنه تولى الأمر ، وقام مقام رسول الله (ﷺ) وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفار والمرتدين ، وولي الأعمال ، وقسم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل الإمام ؛ بل هو أول من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بإمامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الاجماع : فلا طريق يثبت بها كون عليّ مستحقاً للإمامة إلا وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق بالإمامة من علي وغيره . وحينئذ فالإجماع لا يحتاج اليه لا في الأولى ولا في الثانية ، وإن كان الإجماع حاصلا .....

فمن تأمل وجد فضائل الصدّيق كثيرة ، وهي خصائص له ، مثل : «إنّ

الله معنا » وحديث الخالّة ، وحديث انه احبُّ الرجال إلى رسول الله (ﷺ) وحديث الإتيان إليه بعده [أي حديث المرأة التي قال لها النبي (ﷺ) : إن لم تجديني فأتي أبا بكر ، وهو في الصحيحين] . وحديث كتابة العهد له ، وحديث تخصيصه بالصديق ابتداء والصحبة ، وتركه له ، وهو قوله : « فهل أنتم تاركو لي صاحبي » وحديث دفعه عنه عقبة بن أبي مُعيط إذ وضع الرداء في عنقه ، وحديث استخلافه في الصلاة والحج ، وشأن ثباته بعد وفاة الرسول (ﷺ) وانقياد الأمة له ، وحديث خصال الخير التي اتفقت له في يوم .

ثم له مناقب يشركه فيها عمر ، كحديث شهادته بالإيمان له ولعمر ، وحديث عليّ يقول : كثيراً ما كنت أسمع النبي (ﷺ) يقول : « خرجت أنا وأبو بكر وعمر » وحديث نزعه من القليب ، وحديث : « إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر » . . . وللصدّيق في الصحاح نحو عشرين حديثاً ، أكثرها خصائص ، فمناقبه جمّة ، وفضائله عِدّة ، استوجب بها أن يكون خليل رسول الله (ﷺ) دون الخلق لو كانت الخالّة ممكنة . فلو كان مبغضاً له كما يقول . . لما حزن ، بل كان يظهر الفرح والسرور ، فأخبر الرسول (ﷺ) أنّ الله معها ، وهذا إخبار بأن الله معها بنصره وحفظه . ومعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي قد عاداه فيه أولئك الملأ ، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره ، وهو عدوّ له في الباطن . هذا لا يفعله إلاّ أغبى الناس وأجهلهم ، فقبّح الله من جوّز هذا على أكمل الخلق عقلاً وعلماً .

(م) وأما إنفاقه على الرسول فكذب ، لأنّه لم يكن له مال » .

(ت) من أعظم البلايا إنكار المتواتر المستفيض القطعي . فمن ذا الذي

نقل من الثقات أو الضعفاء ما زعمت .. أينكر جود حاتم وشجاعة علي وحلم معاوية وغنى أبي بكر وفضله ؟ بل هؤلاء لا ذكر لهم في القرآن ، وهو ، ففيه نص صريح بفضله وغناه ، ففي الصحيحين أن مسطحاً كان أبو بكر ينفق عليه ، وكان أحد من تكلم في الإفك ، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله قوله : « ولا يأتلِ أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ؟ فقال ابو بكر : بلى والله إني لأُحبُّ أن يغفر الله لي . فأعاد عليه النفقة . وقد اشترى بماله سبعة من المعذّبين في الله ، وقال النبي (ﷺ) : « ما نفعني مال ، ما نفعني مال أبي بكر » . ولمّا هاجر استصحب ما بقي من ماله ، قيل : كانت ستة آلاف ، وكان يتجر . وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتُلي المسلمون بمكة ، خرج مهاجرا ، حتى اذا بلغ برك الغماد ، لقِيَه ابن الدَّغِنَّة سيد القارة ، وقال : مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرَج ، إنك تكسب المُعدَم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، واني لك لجار ، ارجع ، واعبد ربك ببلدك ، فرجع به ابن الدغنّة ، وطاف في قريش فأجاره ، فقالوا له : مُرْ أبا بكر فليعبد ربّه في داره ، ولا يؤذنا ولا يستعلن بعبادته ، فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا ... الحديث بطوله .

وقد قال النبي في مرضه ذلك على ما في الصحيحين عن عائشة أنه قال : « ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتى أكتب لهم كتاباً ، فاني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون إلاّ أبا بكر » .

فهذا من إخباره بالكوائن بعده ، ولهذا أعرض عن الكتابة لأبي بكر لمّا علم أن الله يجمعهم عليه ، وأن المؤمنين يبايعونه ولا يختلفون عليه : لا في

الأول ولا في الآخر عندما استخلف عليهم بعده خيرَهم . أماتنا الله وإياكم على حبّ الأربعة ، فان المرء مع مَن أحب .

آخره والله أعلم

هذه شذرات اخترناها ولخصناها من ذلك المجلد الضخم (المنتقى) بلا تعليق منا عليها ، وهي تنوّه بمزايا الخلفاء الثلاثة ومحاسنهم ، وتنفي النقائص التي ألحقت بهم ، وتطري ما للصحابة الكرام من فضل الصحبة ، ونشر الدعوة ، وإقامة الحجة ، وإثبات الأخوة الصادقة بين الأئمة أبي بكر وعمر وعلي ، وتفضيله لهما على نفسه ، وارسال ولديه الحسن والحسين الى عثمان شهيد الدّار ؛ محافظة عليه ودفاعاً عنه (رضوان الله عليهم) ونفيه الكفر والنفاق عن محاربيه ، كما تراه في نهج البلاغة وغيره .

وبعد هذا كله ، إن لم يعمل محبوه ومواله بنصحه وتذكيره ، يتبين أنهم لا يقيمون لرأيه وزناً ، ولا يرفعون به رأساً ، وانك لتجد في هذا (المنتقى) من (منهاج السنة النبوية) جواباً لكل سؤال ، وحلاً لكل إشكال ، وبياناً للحق في كل ما يخوض به الخائضون ، مثل : الميراث من (فدك) التي جرى فيها الإمامُ علي على خطة الخلفاء من قبل ، ومثل حكمه العادل في وقائع الجمل والنهروان وصفين ، ونفي سمة الكفر عنهم ، على خلاف حكم من ادعى التشيع له ، في هذه الكتب المنشرة التي تبدي وتعيد . وتطبع وتوزع وليس فيها من جديد .

ألا وانّ جواب إمام السنة ابن تيمية الحراني الدمشقي ، لإمام الشيعة الإمامية ابن المطهّر الحلي البغدادي هو كافٍ وافٍ بالموضوع . وإني أنصح لمن يقدر وقته حق قدره ، ويعرف قيمة عمره ، أن لا يضيعه بقراءة الكتب الطاعنة اللاعنة ، فهي ظالمة آثمة ، وما أثرناه عن « المنتقى » فهو الجواب الصحيح الذي نرجو أن تجتمع عليه كلمة الأمة ، إن شاء الله ، وبه المستعان .

محمد بهجة البيطار

الدراسات العربية
في الولايات المتحدة

مقدمة

أولاً أريد أن أعتذر الى القراء الكرام عن لغتي وعن عدم إلمامي الواسع باللغة العربية الكريمة .

أما بعد ، فموضوعنا هو الدراسات العربية وامتدادها الى الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة . ولكني قبل أن أطرق الموضوع نفسه يجب عليَّ أن أحدِّث بصورة عامة عن التربية في أمريكا - وربما في الغرب اجمالاً . عندنا في الغرب مجريان مهمان مشتبكان في تراثنا .

أولهما الثقافة اليونانية المسيحية ، وثانيهما روح التفتيش العلمي الطبيعي . وهنا لا أنسى قطعاً الدور العظيم الشأن الذي لعبه العرب وسائر المسلمين في تطور هذين المجريين . إني موقن كل الإيقان بأهمية تأثير الغزالي مثلاً على أفكار طوماس اكوينس (Thomas Acquinas) ومن المعلوم انه أهم المتكلمين الكاثوليكيين في القرون الوسطى وخاتمهم في علم اللاهوت حتى الآن ؛ أو من جهة أخرى بتأثير رجال العلم كابن النفيس - وهو ابن الفيحاء تقريباً - على تطور علم الطب . لقد جاهد هذان الرجلان وأمثالهما العديدون في سبيل العلم ووسَّعوا آفاقه في العالم كله . ومع ذلك أظن أنَّ مياه دور العرب خلال تطور المدنية الغربية الطويل هي مياه نهر فرعي تصبُّ في نهر كبير ، وليست هي

جزءاً من هذا النهر الكبير في البداية . وكذلك دور المدنية الغربية في المدنية الاسلامية هو دور نهر فرعي [١] .

فلنرجع الى الموضوع ذاته . فلو فرضنا ان هذين المجريين حقيقيان ـ وأعني بذلك الثقافة اليونانية المسيحية وروح التفتيش العلمي الطبيعي ـ ، فلا نرى مجالاً مبيناً للدراسات العربية والاسلامية ، أو نقول الدراسات الآسيوية ، أو في النهاية ، الدراسات في أية مدنية خارج الغرب . ومن هنا نسأل من أين جاءت هذه الدراسات اللاغربية . ويبدو لي أن لها مصدرين : أولهما ديني والثاني سياسي .

إننا ولا شك نذكر ان الجامعات في الغرب ـ وفي الشرق أيضاً ـ انبثقت عن حضارة مركزها الدين ، وفي أوروبا نشأت الدراسات الشرقية ، من وجه عام ، عن الاهتمام بالكتاب المقدس ، فبدأت هذه الدراسات مع لغة العهد القديم وتشعبت في القرنين الماضيين الى الاهتمام بأقدم المدنيات في الشرق كالآشورية والفرعونية ، وفي ذلك الحين كان علماء الغرب لا يقدرون أهمية الجزيرة العربية كمهد العائلة السامية حق قدرها وأهمية البدوي كأنقى ممثل لهذه العائلة من حيث اللغة وعلم الانثروبولوجيا . ولقد دُرست اللغة العربية كساعد لغوي لدراسة لغة العهد القديم ، وأيضاً في بعض الأحيان كساعد لعمل المبشرين . ومن الواضح بناء على هذا الميل ان نتائج دراسات المدنية العربية والاسلامية هذه لم تعتبر بحد ذاتها بل تحيزت ضدها قبل البحث فيها ، ومما زاد هذا الميل أفكار خاطئة عن الحروب الصليبية وخوف شديد من قوة الدولة العثمانية .

ونلاحظ اختلاطاً عجيباً كل العجب بسبب الجهل والخرافة خاصة عن حياة

(١) بالرغم من هذا القول فاني أعتقد انه في أعمق الأسس يجتمع الإسلام والمسيحية في قيمها الأساسية باختلافها عن مناطق المندوكية او البوذية مثلاً .

النبي العربي وشخصيته . في أول الأمر فكر هؤلاء الاوروبيون أن محمداً إله معبود ! وبتطور الزمان تغيرت هذه الفكرة الى انه نبي غير مخلص ! وسيطرت وجهة النظر هذه على الرأي العام والمثقفين حتى منتصف القرن الماضي (آنئذ كان العلماء ولا شك يفهمون على أفضل طريقة .ولكنهم قصّروا في إذاعة ما يعلمون في هذا الصدد) عندما كتب طوماس كارلايل (Thomas Carlyle) المؤلف الانكليزي المعروف رسالته المشهورة عن حياة النبي وهي رسالة أعطته قيمته الحقيقية الشريفة . هذا مصدر واحد - الميل الديني .

أما المصدر الثاني فهو ، في نظري ، ما يتعلق بالدافع السياسي أو اذا أردنا القول صراحة بالاستعمار . عندما وجد الأوربيون أنفسهم - في القرنين الماضيين - في الأقطار الآسيوية ومن وجهة نظرنا هنا في الأقطار الاسلامية كالهند وأفريقيا الشمالية ، اكتشفوا أنهم بحاجة الى أشخاص يعرفون اللغات والأديان والتأريخ والثقافة في الأقطار هذه . فأسسوا المدارس والمعاهد المهتمة بهذه الميادين .

الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة فبدأت في هذه الأمور متأخرة جداً بالنسبة الى أوروبا فنجد مثلاً في سنة ألف وثمان مائة وسبعين لم يكن في جامعات أمريكا إلاّ أستاذ واحد قدّم دروساً في اللغة العربية - وهو حقيقةً أستاذ في اللغة السنسكريتية - ولقد كانت كل الدراسات العربية القليلة في أمريكا تابعةً للدراسات الدينية وعلم اللغات السامية . أما اللغة التركية واللغة الفارسية فلا تُدرَّسان مطلقاً . وخلاصة القول هي ان المنظمات التربوية في أمريكا لم تعط دروساً في العربية حباً بها أو لأنها مفتاح لكنوز الآداب والثقافات العربية والاسلامية ذات الأهمية العظيمة في كل وجه من الوجوه ولكنها أعطت شيئاً

من هذه الدروس على نطاق ضيق جداً بدافع الميل الديني فقط دون أي دافع سياسي إذ لم يكن لأمريكا علاقات سياسية بالشرق الاسلامي .

ونرى انه ، قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يكن غير عشر من جامعات أمريكا قدمت دروساً في العربية ما عدا معاهد اللاهوت . وهنا جدير بالذكر ان عدد الجامعات والكليات العليا في أمريكا يزيد عن الألف تقريباً . ونرى ذلك يلزمنا أن نقول إن هذه الدراسات على قلتها كانت مقصورة على طالب الدكتوراه دون أن يتاح للطالب الجامعي الوقوف على هذه الدراسات ، حتى ولو اتفق لأحدهم أن رغب في ذلك . والمغزى من كل ذلك هو إظهار قلة التقدم في هذه الدراسات قبل الحرب العالمية الثانيـة .

فاذا جاءت الحرب ووجدت الولايات المتحدة نفسها مسؤولة عن قيادة حرب وقعت في كل أقطار العالم ومنها ولا أقلها أهمية الأقطار الاسلامية والعربية ، ووجد المسؤولون من العسكريين والساسة نقصاً فادحاً في الولايات المتحدة لتفهم شعوب هذه المناطق وللعمل معهم ولتغطية هذا النقص أنشئت خلال الحرب عدة برامج دراسية في العربية وحتى في التركية والفارسية . من ذلك الحين استيقظت عقلية رؤساء الجامعات والحكومة ومدراء الشركات الكبيرة التي تشتغل في الشرق الأوسط الى الحاجة الماسة الى الدراسات الإسلامية .

فهذه الأمور كلها كانت تشكل تحدّياً فلننظر الى الجواب . كانت أول الجامعات التي استجابت لهذا التحدي جامعة برنستون التي بدأت في هذا الميدان ، كما يعرف الكثير من القراء ، بفضل جهود الدكتور فيليب حتي الذي كان يحث دائماً على التدريس في هذا الميدان المجيد .

وقد بدأت جامعة برنستون ببرنامجها الجديد المنظم هذا والمفتوح للجامعيين في قسم اللغات والآداب الشرقية في سنة ١٩٤٧ . وجدير بالذكر ان هذا القسم

كان في ما مضى قسماً مختصاً بالدروس السامية واللغوية فقط . أما الجامعة الثانية التي فتحت أبوابها على نطاق واسع للدراسات الاسلامية ، فهي جامعة مِشِگن (Michigan) وفي السنة الماضية أسست جامعة هارڤرد (Harvard) مركزاً للدراسات عن الشرق الأوسط . وقدمت جامعة كُلَمْبِيا (Columbia) منذ عدة سنوات دروساً وجهت جل اهتمامها الى العلاقات الدولية في الشرق الأوسط . وأخيراً نذكر معهد الدراسات الدولية العليا التابع لجامعة جَنْزْ هُپكِنْزْ (Johns Hopkins) ويقوم هذا المعهد في العاصمة أي مدينة واشنطن مع ان مركز الجامعة هو في مدينة بَلْتِيمُور (Baltimore) . هناك برامج أخرى على نطاق أضيق ولكن البرامج المذكورة هذه هي البرامج الرئيسية . وفي المجموع يبلغ عدد الجامعات والكليات العليا التي قدمت دروساً في اللغة العربية بحسب تقرير مؤرخ في سنة ۱۹٥۳ هو خمسة عشر وبموجب نفس التقرير توجد ست جامعات تقدم اللغة الفارسية وخمس جامعات تُدَرِّس التركية وأربع اللغة الأندونيسية وجامعة واحدة تقدم الأردية . وهنا علينا أن نقول إن أقل من ثلث الأساتذة الذين يدرّسون هذه الدروس هم أميركان أصليون ، وهذه الحالة مفهومة بسهولة فإنّ سببها عدم وجود دراسات في هذه الميادين في ما مضى .

مثال لمنهاج الدراسة

أما تفاصيل منهاج الطالب في الجامعات التي تقدم الدراسات العربية والاسلامية بشكل منظم شامل فلن أتعرض لكل الجامعات ولكني سأحاول إعطاءكم على كل حال فكرة سريعة عما يجابهه الطالب الجامعي في جامعة برنستون ــ وأختار جامعة برنستون لأني أعرف برنامجها بصورة أفضل ولأنها الأقدم ــ أعني طبعاً الطالب الذي اختار التخصص في شؤون الشرق الأوسط وتأريخه . فهذا الطالب يجب عليه أن يدرس على الأقل سنتين لغة إسلامية (وأكثر من ثلاثة أرباع

الطلاب يختاردن ـ وهم على صواب ـ العربية كلغتهم) . وبالاضافة الى اللغة يجب على الطالب أن يأخذ في كل نصف سنة مدرسية درسين في ثقافة الاسلام وتأريخه ـ إما قديماً أو حديثاً ـ أو في ما يتعلق بالشرق ولو بطريقة غير مباشرة . ومن الدروس المنتشرة امامه نذكر ما يلي : مقدمة للثقافة الاسلامية ، عيون الأدب الاسلامي ، الشرق الأدنى قبل الاسكندر ، الشرق الأدنى من الاسكندر حتى الرسول العربي ، نشوء الاسلام ، عالم الاسلام من عهد العباسيين حتى عهد العثمانيين ، الشرق الأدنى في العصور الحديثة ، العلاقات الاجتماعية المعاصرة في الشرق الأدنى ، العلاقات الاقتصادية في الشرق الأدنى ، السياسة في الشرق الأدنى ، الشريعة الاسلامية . وطبعاً يجد الطالب عدة صفوف أخرى تتجه الى الشرق العربي والاسلامي في طريقة غير مباشرة كصفوف قسمي الفلسفة والعلاقات الدولية وما الى ذلك[1] .

أما طالب الدكتوراه فستُطلب منه لغتان إسلاميتان ، إحداهما كلغة أولى والأخرى كلغة ثانية ويدرس الطالب فوق اللغة نفس المواد تقريباً ولكن على مستوى أعلى . وتستمر الدراسة الاختصاصية في أكثر الأوقات حوالي أربع سنوات قبل نيله شهادة الدكتوراه . وعلى وجه العموم لا يأذن أساتذة القسم لطالب الدكتوراه أن يفلت من بين أيديهم قبل أن يقضي سنة على الأقل في ربوع الشرق لأنهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بأن الاختبار العملي في الأقطار الاسلامية يوفر له تقديراً للثقافة والأخلاق الاسلامية لا يجدها في المحاضرات وبطون الكتب .

(١) لا نقصد ان يعتقد القارىء ان الأساتذة في برنستون يظنون ان منهاج جامعتهم أصبح كاملاً . فهو ما زال يحتاج الى دروس وأساتذة في مواضيع الفن الإسلامي ، والفلسفة الإسلامية ، والإسلام كدين بذاته . وتجابه الجامعة صعوبة في ايجاد هؤلاء الأساتذة .

وقد يكون هنا مجال للاشارة الى بعض التسهيلات التي تملكها جامعة كجامعة برنستون ـ بالإضافة الى الأساتذة ـ . من هذه التسهيلات أذكر أولاً مطبعة جامعة برنستون التي لديها لينوتيب عربي والتي نشرت عدة كتب في العربية بما فيها مذكرات أسامة بن منقذ الفارس المنوار والأديب الضليع الذي كان يقيم بقلعة شيزر بالقرب من حماة في عهد الصليبيين . وثانياً مجموعة نفيسة جداً للمخطوطات العربية وعددها يزيد على عشرة آلاف مخطوط . وثالثاً فان مكتبة الجامعة قد رصدت بعض المال لشراء الكتب المطبوعة في اللغات الاسلامية والغربية لا أعرف عددها ، ولو على سبيل التقريب ، ولكن أعرف أن المكتبة تنفق خمسة آلاف دولار سنوياً على الكتب المتعلقة بالإسلام والعالم الإسلامي .

يحق لكم أيها القراء الكرام أن تسألوني عن أغراض هذا التعليم وأهدافه . سأقول ان الغرض من تدريس الطالب الجامعي هو توسيع ثقافته العامة وتغذية روحه فقط . ويختار الطالب التخصص في هذا الميدان الشريف كما يختار التخصص ـ مثلاً ـ في الأدب الانكليزي أو الموسيقى ، أو أقول في كلمة أخرى بانه قسم من الـ liberal education كما نسميها أي التربية الرحبة أو الحرة ، لا غاية منها في التعليم الحرفي .

وأما هدف التعليم بالنسبة لطالب الدكتوراه فينقسم الى قسمين . نصف الطلاب ـ في الغالب ـ يريدون هذه الدروس لأنهم يريدون أن يصبحوا أساتذة في الجامعات ليدرسوا تأريخ العرب ويبحثوا في تخصصهم الدقيق ، والنصف الثاني يريدون الحياة العملية في الشرق إما كموظفي الحكومة في وزارة الخارجية أو في دائرة حكومية وإما في الصناعة والتجارة مع شركات تشتغل في الشرق كشركات الزيت أو شركات الطيران .

أما عدد التلامذة في جامعة برنستون من الجامعيين وطلاب الدكتوراه فهو

يقارب خمسة عشر طالباً جديداً سنوياً ولقد بلغ مجموع الطلاب في صفوف برنستون المختلفة السالفة الذكر ما يزيد عن المائتين ، وكثيرون من هذا العدد هم طلاب في أقسام أخرى يحبون توسيع ثقافتهم العامة . فهذه صورة موجزة عن احدى الجامعات المتخصصة في الشرق الإسلامي .

الأبحاث

لا أحاول أن أعدد جميع الأبحاث التي قدمها الأمريكيون في الميدان الإسلامي ويكفيني أن أقول بأنه على رغم تأخرهم في دخول الميدان فالمستشرقون الأمريكيون قد تقدموا في عملهم تقدماً لا بأس به وساهموا مساهمةً غير قليلة في ميدانهم المختار . ولكني أذكر هنا أسماء أهم المستشرقين واختصاصاتهم (١) :

وقد كتب وليم پپر William Popper من جامعة كالفورنيا California ابحاثاً مهمة جداً في درس مماليك مصر وفي نشره كتب ابن تغري بردي . وسيظل كتاب جورج سارتن George Sarton من جامعة هارفرد واسم كتابه Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء كبيرة مصدراً أساسياً في العلم الطبيعي الإسلامي (وغير الإسلامي) في الأجيال القادمة وأفاد أرثر جفريز Arthur Jeffreys من جامعة كليا كل طالب بدراساته عن نصوص القرآن القديمة وقراءته . ونعتبر كل من أبحاث ا . ر . نكل A. R. Nykl في الأدب الأندلسي ، والترجمة الجديدة لمقدمة ابن خلدون بقلم فرنس روزنثال Franz Rosenthal من جامعة يابل Yale وأبحاث نفس العلامة في تاريخ علم التاريخ الاسلامي ، ودروس ركشرد أتينكهوزن Richard

(١) هنا أستثني العلماء الكبار كالأساتذة فيليب حتي ونبيه عبود وعجيد خضوري وشارل عيساوي ونبيه فارس فليس هؤلاء بمستشرقين بالمعنى المعروف .

Ettinghausen من متحف الفن فرير Freer في الفن الاسلامي ، ودروس گوستاف ڤون گرُونِبَوم Gustave von Grunebaum من جامعة شيكاگو Chicago في العلاقات الثقافية وفي الشعر العربي ، ودروس وَالتَرْ فِشَل Walter Fischel من جامعة كالفورنيا عن ابن خلدون ، ونشر (منهج السالك) لأبي حيان بقلم سِدْنِي گَلَيْزَر Sidney Glazer - أقول كلها تعتبر أبحاثاً قيمة ومن الدرجة الأولى . ويمكننا الاستمرار طويلاً في التعداد ولكن القائمة المقتضبة أعلاه تعطي فكرة سريعة عن مدى الأبحاث الاسلامية في الولايات المتحدة .

منظمات أخرى

لا أستطيع ترك مسئلة المنظمات المهتمة بالشعوب الاسلامية وثقافتها بدون اشارة قصيرة لبعض المنظمات غير الجامعية ولبعض أوجه النشاط غير الدراسي . فمن أمثال عديدة أختار أربعة : أولاً علي أن أذكر مجلس الجمعيات العلمية الأمريكية، وهذا المجلس - كما يظهر من اسمه - أعضاؤه هم كل الجمعيات العلمية في الانسانيات . فيقدم هذا المجلس عدة خدمات لميدان العلم في أمريكا ومنها أنه أسس سلسلة ترجمات لأهم الكتب العربية الحديثة من أنواع مختلفة وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن عشرة كتب منها : (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيد قطب و (من هنا نبدأ) لخالد محمد خالد و (الحركات الاستقلالية في المغرب العربي) لعلال الفاسي و (عبقرية العرب في العلم والفلسفة) لعمر فروخ، ومختارات من (مذكرات) المغفور له الأستاذ محمد كرد علي وغيرها من الكتب . فلا طريقة أفضل من الترجمة لتفهيم الفئات المثقفة في أمريكا حالة الأدب العربي ، وأحلام العرب وأفكارهم .

ثانياً يلزمني أن أذكر المؤسسات الانسانية كمؤسسة فورد Ford ومؤسسة

رُوكَنفلَر Rockefeller ومؤسسة كَرْنَـگي Carnegie . ومن المعروف أنْ كل واحدة من هذه المؤسسات وغيرها مما هو أقل شهرةً قد بنيت على وقف خيري لرجل كبير في الصناعة الأمريكية . ولا تقوم هذه المؤسسات مباشرةً بأية دراسات ، ولكنها تساعد المنظمات والأفراد الذين يقومون بمشروعات مختلفة ، منها الدراسات الاسلامية . وأظن أنه لا يوجد أية جامعة تقوم بمثل هذه الدراسات بدون مساعدة هذه المؤسسات . وأنا مثلاً مدين لمؤسسة فورد لإتاحتها الفرصة لي في هذا العام للدراسة هنا في دمشق .

ثالثًا ازداد على نطاق واسع عقد المؤتمرات حول القضايا الحديثة والقديمة في الشرق . ويشترك بعضها طلاب وبالبعض الآخر رجال السياسة من عرب وأميركان ورجال التجارة والصناعة والعلم الذين يهتمون بالشرق الاسلامي ، ولهذه المؤتمرات ـ حيث تلتقي الآراء والأفكار المختلفة ـ أهمية غير قليلة في توسيع آفاق الرأي العام عن حقائق شعوب الشرق . وربما كان أهم هـذه المؤتمرات مؤتمر الثقافة الاسلامية المنظم تحت إشراف جامعة برنستون ومكتبة المجلس النيابي أي الـ Congress عام ١٩٥٣ . اشترك فيه علماء من جميع الأقطار الاسلامية ـ ما عدا أفريقيا الشمالية ـ وكان بينهم الشيخ مصطفى الزرقا ، والأستاذ شفيق جبري من سورية ، وعلماء من أمريكا . ولقد دام هذا المؤتمر مدة عشرة أيام ، وهو من أفضل المناسبات في سبيل التعاون الفكري بين أمريكا والعالم الاسلامي .

رابعًا وأخيرًا لا أنسى المتاحف العديدة التي تحفظ مجموعات عظيمة الشأن من الانتاج الفني الاسلامي . وليس من الضروري أن أعدّد أسماء هذه المتاحف ويكفيني أن أذكر متحف فريَر Freer في مدينة واشنطن الذي يحفظ عدداً كبيراً من الصوَر المصغّرة لروائع الفن الفارسي وغيرها من روائع الفن الإسلامي .

المستقبل

الى هنا حاولت أن أقدم وصفاً مختصراً عن الدراسات المتوحة للطالب الامريكي ولكننا لا بد لنا أن نلقي نظرة على المستقبل . رأينا بداية لا بأس بها للدراسات الاسلامية ، أساسها العربية ومادتها الثانوية الفارسية والتركية . وهنا بالمناسبة نستطيع أن نلاحظ عدم وجود دراسات في اللغة الأوردية وهي من أهم اللغات الاسلامية من حيث عدد الناطقين بها ولكن تحقيق ذلك يحتاج الى مال كثير .

ومن ناحية ثانية يجابه توسيع الدراسات الاسلامية في أمريكا مشكلة ثانية ، وهي مشكلة ازدياد سكان امريكا بشكل لا يمكن تصديقه وينجم عن ذلك ازدياد مقابل في عدد طلاب المدارس والجامعات . ويقدر أن يرتفع عدد الطلاب في جامعات أمريكا البالغ المليونين والنصف حالياً الى خمسة ملايين بعد عشرين سنة وتؤثر هذه المشكلة طبعاً في كل قسم من أقسام التربية وخاصة في جميع أقسام الدراسات الشرقية . ولماذا ؟ لأنه في الغالب لا يريد المستشرقون عدداً كبيراً من الطلاب . فليس هذا الميدان بهين ، وعدد المناصب المفتوحة للاختصاصيين فيه غير كبير ، ولذلك فالنوع أفضل بكثير عند المستشرقين من الكمية . أعني أن الدراسات الشرقية غالية وفي نفس الوقت تأخذ قليلاً من الطلاب ـ أي لن تساعد على حل مشكلة ازدياد هائل بعدد الطلاب . فاذاً على المستشرقين أن يجاهدوا كي يُفهموا ادارات الجامعات ـ وهي أمام إقبال شديد من الطلبة ـ أهمية الدراسات العربية والإسلامية وقيمتها حتى تصرف المصاريف اللازمة لها .

ومع ذلك كله فاني متفائل بمستقبل الدراسات العربية في أمريكا . فقد صغر العالم خلال السنين الأخيرة الى درجة اضطر معها الناس في جميع أنحاء هذا

العالم الصغير لتحقيق التفاهم المتبادل . ولذلك أتنبأ أن يكون للجيل الجديد خمسة أو ستة مراكز مهمة للدراسات الاسلامية بالاضافة الى جامعات كثيرة فيها بضعة صنوف تمهيدية تقدم صورة عامة دقيقة عن الشرق . وأرى شخصياً توسيع الدروس في الجامعات غير المتخصصة أهم الواجبات أمام الاستشراق الامريكي في المستقبل القريب . واذا صح توليّ هذا فيكون لهذه الجامعات تأثير عظيم الشأن في تنوير الرأي العام الأمريكي عن حقائق ثقافة أصبحت ثقافة مجاورة .

***

استفدت استفادة خاصة في تحضير هذه المقالة من المؤلفات التالية :

١ - ابوشادي ، احمد زكي «فلسفة الثورة» ، (كتاب العام) . واشنطن : صوت امريكا ، ١٩٥٥

٢ - Dodds, Harold W. خطاب الافتتاح السنوي لجامعة برنستون ١٨ ايلول ، ١٩٥٥

٣ - Fessler, Doris. « Asian Studies in the United States » International Press Service (mimeographed), 1952

٤ - Hitti, Philip K. « Arabic and Islamic Studies in the United States, » <u>Pakistan Quarterly</u>, Vol. IV, No, 3, pp. 11-12

Smith, Wilfred Cantwell. « The Place of Oriental Studies in a Universty » خطاب مقدم الى الجمعية الأمريكية الشرقية في مدينة تورنتو في كندا ، ٢٠ آذار ، ١٩٥٥ .

الدكتور بايلي واينذر

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٦ —

الحالة العلمية في الموصل :

كانت ديار الموصل (حدياب) من ديار العلم العريقة في العراق من قبل الميلاد ، فقد كان سكانها القدماء من الارميين العرب الممتازين بثقافتهم وعلمهم ، وكانت لغتهم الارمية من أرقى اللغات وأدقها نحواً وصرفاً وبياناً وأدباً ، ولما ظهرت المسيحية اعتنق أهلها هذه الديانة ، وعرفوا منذ ذلك الحين بالسريان تمييزاً لهم عن الارميين الوثنيين [1] ، فقد ازدهرت الحضارة وارتقى العلم في الديار الموصلية بعد ظهور المسيح منذ القرن الثاني للميلاد الى ظهور الاسلام بل وبعده بقرنين ، وقد تغلغلت الآداب اليونانية فيها وامتزجت بالثقافة الارمية فتكونت ثقافة شرقية غربية مختارة ، وقد ترجم العلماء الارميون كثيراً من الكتب اليونانية الى لغتهم وبخاصة كتب الفلسفة وعلوم الأوائل ، وقد امتد نفوذ اللغة الارمية بثقافتها الواسعة الى العراق كله ، والى سورية ، وفلسطين ، ومصر وإيران .

وقد كانت مدن (حران) و (الرها) و (نصيبين) و (اربل) وسائر ديار الموصل الكبرى من المدن التي ازدهرت فيها اللغة الارمية والآداب الارمية ، كما ارتقت فيها الفلسفة والعلوم وكثرت فيها المدارس والمعاهد والمكتبات ،

(١) راجع تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ ٢ / ١٣ .

واخذ الناس من بلاد فارس والشام ومصر يقصدون هذه المعاهد للتثقف والاطلاع على علوم الأوائل [١] .

ومما هو جدير بالذكر انه قد قام في ديار الموصل وإلى جوانبها عدة أديرة ومدارس نبغ فيها جمهرة كثيرة من الفلاسفة والحكماء والعلماء والمصنفين كمدرسة (بلد) ومدرسة (الرستاق) في مركا [مرج الموصل] ومدرسة (بيت بقاش) ومدرسة (بيت عباتا) وغيرها . يقول القس الصائغ مؤرخ الموصل : « ان باباي الجبيلتي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حدياب - أي بلاد الموصل - أربعاً وعشرين مدرسة ينوه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ، وينقل ان باباي أسس فيها ستين مدرسة في المدن والقرى الكبيرة ، وأقام لإدارتها ستين نابغة من المبرزين في العلوم وجعل لها أوقافاً وقية وسن لها القوانين والنظامات العجيبة فسمى المؤرخون الارميون ذلك العصر عصر الأستاذ باباي الجبيلتي ، ومن هذا يتضح أن بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علماً وعمراناً [٢] » .

ومن مشاهير العلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين حفظ الدهر لنا اسماءهم من أهل حدياب :

الشاعر الفيلسوف الكبير ترمي (— ٥٠٣ م) وقد أسس عدة مدارس وقضى عمره في التدريس والتصنيف ونظم الشعر وقد بقي من آثاره نحو ٤٠٠ قصيدة مطولة في تفسير كتب الدين وفي علم الإلهيات والعقائد الدينية .

والكاتب الأديب النحوي ابرهيم التنفري الذي كان في أواسط المئة السادسة للميلاد والذي خلف آثاراً ورسائل في الأدب واللغة .

والفقيه المفسر حنانا الحديابي (— ٦١٠) وقد خلف آثاراً كثيرة في علوم

(١) راجع كتاب مدرسة نصيبين لأدي شير . بيروت ١٩٠٥ .
(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ١ / ٩٠ .

الدين والتشريع وتفسير الكتب السماوية ، والعقائد الإلهية ، وقد ضاعت أكثر آثاره هذه ولم يبق إلا عدد قليل من قصائده وتفسيره .

والفيلسوف النحوي يشوع ياب الجدلي البطريرك الذي عاش في أوائل المئة السابعة للميلاد والذي يروي عنه المؤرخون الارميون انه تشرف بمواجهة النبي العربي الكريم (ﷺ) فأنعم عليه بكتاب توصية بنصارى بلاده ، كما أنه حظي برؤية عمر بن الخطاب فأحسن اليه وأكرمه وقد خلف مصنفات معتبرة منها (شرح الزبور) وكتب عديدة في التاريخ والآداب وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا نتف محفوظة في المتحفة البريطانية .

والشاعر اسحق النينوي الشهير الذي عاش في أواخر المئة السابعة للميلاد وقد خلف مؤلفات كثيرة في النحو والادب والتفسير والشعر ، نقل كثير منها الى العربية والحبشية واليونانية واللاتينية والايطالية والانكليزية وقد طبع ديوانه .

والكاتب الأديب يشوع ياب الحديابي (— ٦٦٠) وله آثار جليلة في اللغة والأدب ومن أجلها رسائله الأدبية البليغة التي طبعت قبل سنوات .

وقد كان لهؤلاء العلماء والكتاب والشعراء والفلاسفة أثر كبير في تثقيف سكان هاتيك الديار ، وفي رفع المستوى الثقافي في القطر الموصلي وجعله مركزاً من مراكز الاشعاع الثقافي في المشرق قبل الإسلام وبعده .

أما مدينة الموصل نفسها فقد كانت مدينة صغيرة قبل الإسلام تدعى بالارمية (حصنا عبرايا) ، وقد كان فيها بعض الأديار يأوي اليها رهبان من أهل العلم والفضيلة والدين مثل سائر الأديرة التي كانت منتشرة في هاتيك الديار ، ولما فتحها العرب في سنة ٢٠ للهجرة سكنها بعض القبائل العربية فانتشرت فيها اللغة العربية وتزوج العرب من سكانها الأصليين الذين أخذوا يعتنقون الدين الإسلامي فقويت الروابط الأخوية بين الارميين وبين العرب الفاتحين ، وكان من أبرز القبائل العربية التي سكنتها بنو تغلب وكثير من بني طي وغيرهم من عرب اليمن ،

وعرب ربيعة ، ونبغ منهم في صدر الإسلام والعصر الأموي جمهرة من الأفاضل والشعراء وفي طليعتهم الأعشى التغلبي ، والنعمان بن معاوية الربعي النصراني ، وغيرهما من شعراء الدولة الأموية . ولما استخلف بنو العباس واتخذوا العراق مقرّاً لهم ازدهرت الحركة العلمية في العراق عامة وفي الموصل والبصرة وبغداد والكوفة خاصة .

وغدت الموصل في العصر العباسي من مدن العلم الكبرى التي ازدهرت فيها الحركة الدينية والأدبية واللغوية وتخرّج من جامعها الأعظم وحلقاتها العلمية التي كانت في قصر الامارة (وفي قصور الوجوه وكبار القادة والأمراء) جمهرة من كبار رجال الدين والعربية والأدب والشعر نذكر منهم :

الإمام الجليل بكار بن شريح (— ١٦٣) وهو الفقيه البارع الذي تولى قضاء الموصل فترة طويلة وكان مشهوداً له بالفضل والنبل ، وله آثار جليلة[١] .

ومنهم المعافى بن عمران الأزدي (— ١٨٥) ابو مسعود الموصلي الإمام الجليل المجتهد الذي كان يلقب بشيخ الجزيرة والديار الموصلية في عصره . وكان أحد الثقات وكبار حفاظ الحديث النبوي ومصنفيه وقد خلف للمكتبة العربية آثاراً جليلة تعتبر من أقدم ما صنف في الخزانة العربية من كتب السنن والزهد والأدب والتاريخ[٢] . وقد خلّف المعافى ولداً نبغ في الموصل وخلَف أباه وكان من جلة شيوخ هذه المدينة وهو الشيخ عبد الكبير بن المعافى ومات سنة ٢٢١ هـ[٣] .

ومنهم الامام الزاهد سابق بن عبد الله الموصلي المتوفى في القرن الثاني للهجرة ، وكان من كبار الأئمة زهداً وعلماً وإصلاحاً ، وكانت له على الموصل وأهلها

---

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٢٥ .
(٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢٦ وتاريخ ابن الأثير ٦ / ٦٧ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٥ .

أيادٍ في تهذيبهم وتوجيههم الى سبل الحق ودعوته إياهم بالحكمة والموعظة الحسنة (١) .

ومنهم الإمام الفقيه صفوان بن عيسى الموصلي (— ٢٠٠) وكان من كبار الفقهاء وأهل العلم بالحديث والسنن والأخبار وكانت له بجامع الموصل الأعظم حلقة كبرى يدرس فيها الفقه ويعظ الناس ويقرئهم الأدب والعربية والدين وهو من أقدم من عرف في الموصل من المؤدبين (٢) .

ومنهم الإمام المعافى بن داود الموصلي (— ٢٠٠) وكان من رجال الفقه والحديث وسائر علوم الدين ، كما كان من الزهاد الصالحين ، وكانت له حلقة في جامع الموصل وقد تخرج به جمهرة من أهل الموصل وحلب (٣) .

ومنهم المحدث المؤرخ الفقيه أبو يحيى ابرهيم بن موسى الزيات (— ٢٠٥) خرج من بلاده في سبيل العلم فجلس طويلاً الى المحدث المؤرخ التابعي الجليل هشام بن عروة عالم المدينة وكبير محدثيها ، وأفاد منه ثم رجع الى الموصل ينشر فيها العلم والدين (٣) .

ومنهم المحدث الامام الفضل بن عبد الحميد الموصلي (— ٢٠٩) وكان من كبار حفاظ الحديث ورواته الثقات ، كما كان من أصحاب الأخلاق النبيلة ، وكان يعلّم ولا يأخذ على العلم أجراً وقد أفادت الموصل منه فوائد جليلة (٤) .

ومنهم الخليل بن أبي رافع جعفر بن محمد بن أبي يزيد المزني الموصلي (— ٢١٧) وكان من كبار علماء الموصل وعبّادها وأفاضلها ، وكذلك كان أبوه أبو رافع من العلماء الذين كان يشار اليهم بالبنان ، وبنو المزني هؤلاء من العلماء الأجلاء الذين أثروا آثاراً علمية واضحة في الموصل وأهلها في القرنين الثالث والرابع (٥) .

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ٧٧ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٣١ .
(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٩ .
(٤) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٥٩ .
(٥) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٤٢ .

ومنهم الامام الجليل أبو هاشم محمد بن علي بن أبي خداش الموصلي (— ٣٢٣) وكان من العلماء الفحول الذين تخرجوا بالمعافى بن عمران وكان يقربه ويعتمد على فهمه وقد أفاد الناس فوائد كثيرة من أبي هاشم [1] .

ومنهم الامام المحدث الحافظ عبد الله بن يعقوب بن اسحق العطار التميمي (— ٢٧٥) وكان من أهل الحديث المكثرين ، وكان عند الحكام من المعدلين [2] .

وغير هؤلاء كثير من أئمة الدين الذين لو رحنا نعددهم لطال بنا التعداد .

أما أئمة البيان والشعر فنذكر في طليعتهم الأديبين الموسيقيين المشهورين ابرهيم بن ماهان المعروف بالنديم الموصلي ، وابنه اسحق بن ابرهيم الموصلي ، وكان ابرهيم من أهل الكوفة إلا أنه سكن الموصل طويلاً وأفاد من رجالاتها علماً وفضلاً ، ونبغ في الأدب والموسيقى حتى صار أوحد زمانه في هذين الفنين وبخاصة في الموسيقى والغناء ، فانه اخترع فيهما ألحاناً وأصواتاً ، ولما تسامع أهل بغداد بصيته دعوه الى مدينتهم فقدمها ورحب به أهلها ، وأذن له الخلفاء أن يغني بحضرتهم ، وأول من سمعه منهم المهدي العباسي وكان الرشيد كثير العطف عليه الى أن مات في سنة ١٨٨ هـ فلما مات خلفه ابنه ابو محمد اسحق وكان من عجائب الدنيا أدباً وفضلاً ورواية ، عارفاً باللغة والتاريخ وعلوم الدين والكلام والفقه ، تفرد بمثل أبيه في صناعة الغناء وقد أحبه الرشيد وقربه ، ثم سمت مكانته عند الأمين والمأمون والواثق ، وكانت له مؤلفات أجلها كتاب أغانيه وأخبارها ، وكتاب أخبار عزة الميلاد المغنية ، وكتاب أغاني معبد ، وكتاب أخبار حماد عجرد ، وكتاب أخبار ذي الرمة ، وكتاب مواريث الحكماء ، وكتاب جواهر الحكماء وكتاب الرقص والزفن ، وكتاب الندماء ، وكتاب النغم

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٦ / ١٦١ .
(٢) راجع تاريخ ابن الأثير ٧ / ١٤٥ .

ب ، وكتاب قيان الحجاز ، وكتاب النوادر المتخيرة وغيرها من الكتب التي عدّدها ابن النديم وابن خلكان وياقوت في ترجمته[1] .

ومن أئمة الأدب والفن الموصليين ، الذين كان لهم أثر كبير في هذه المدنية الشاعر الأكبر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الذي استوطنها وقضى شطراً من عمره فيها ، الى جانب الأمير محمد بن حميد الطوسي - وقد طبقت شهرة أبي تمام الآفاق وأفاد العلماء والباحثون في درس أدبه وشعره عما لا مجال له هنا . وقد كان لحميد الطوسي الطاهري القائد الأمير الفاضل حلقات أدبية في الموصل وكذلك كان ابنه أبو نهشل الذي اعتنى بأبي تمام حين مات وبنى على قبره قبة عالية خارج باب الميدان على حافة الخندق . وما يزال قبره معروفاً ومزوراً الى أيامنا هذه[2] .

وأما في علوم الأوائل من طب وفلسفة وهندسة وفلك ورياضيات فقد ظلت الموصل بعد الاسلام محافظة على المستوى الذي كانت عليه قبل الاسلام ، وظل كثير من مدارسها القديمة الملحقة بكنائسها وأديارها يحفل بالعلماء والأطباء والفلاسفة والمناطقة ، وفي طليعة هؤلاء :

الفيلسوف يشوع بن نون (- ٨٢٧ م ، ٢١١ هـ) وكان من رجال دير مار ايليا الحيري المعروف بدير سعيد ، تلقى العلم فيه ونبغ في علوم الدين المسيحي ، وفي الفلسفة وفي الرياضيات وفي الموسيقى ، وأخذ قدره يسمو حتى بلغ رتبة البطركية . وقد خلف عدة آثار في الدين وأحوال الكنائس وتواريخها ، وكتباً في الموسيقى والألحان والشعر[3] .

(١) راجع الفهرست لابن النديم ١ / ١٤١ ، وفهرست كتاب الأغاني ، ووفيات ابن خلكان .

(٢) حدثني الكاتب الموصلي البارع السيد وفائيل بطي ان الحكومة العراقية كانت قد نقلت رفات أبي تمام عقيب الاحتلال البريطاني للموصل الى حديقة البلدية حيث بنت له بناء فخماً تكريماً للشاعر وعبقريته .

(٣) تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٤٦ .

والطبيب الحكيم سابور بن سهل الخوزي (— ٢٥٥) وكان من كبار بلغ في الطب مكانة سامية حتى سمي رئيساً لمستشفى جنديسابور في خوزستان ونسب اليه . وقد خلف للخزانة العربية عدة كتب في الطب والصيا له أجلها كتاب الاقرباذين الخوزي ، وهو الكتاب المعول عليه في البيمارستانات ودكاكين الصيادلة والعقارين [1] وكتاب الرد على حنين بن اسحق وكتاب القول في النوم واليقظة ، وكتاب موتى الأطعمة ومضارها وغير ذلك [2] .

والطبيب العالم يوحنا (يحيى) بن ماسويه الخوزي (— ٢٤٣) وكان طبيباً حاذقاً بارعاً في فنه عالماً باللغات اليونانية والكلدانية والفارسة والعربية . وكان له فضل كبير على أهل الموصل ولما ذاع صيته استدعاه الرشيد الى بغداد وعهد اليه بالقيام على ترجمة ما أراد ترجمته من كتب القدماء في الطب والفلسفة مما استحصله من كتب اليونان والروم في أنقرة وعمورية وقد رتب له الرشيد كتاباً وأمناء حاذقين بالصناعة يقومون بخدمته . ولما مات الرشيد واستخلف المأمون زادت مكانته وجعله الرئيس على دار الحكمة والترجمة .وكان مجلسه في بغداد من أعمر مجالسها العلمية والفلسفية ، وكان الخلفاء منذ عهد الرشيد الى أن مات لا يتناولون شيئاً من الأدوية والعلاجات إلا بمشورته وبحضرته وقد خلف للخزانة العربية آثاراً جد قيمة من أجلها (كتاب الحمّى) و (كتاب الجراحة) وقد طبعا ، وله بعض المخطوطات العربية والعبرية والارمية في الطب مثل (كتاب نوادر الطب) و (الأدوية المسهلة) و (كتاب الكمال والتمام) وغيرها من النفائس [3] .

والشاعر الحكيم عمانوئيل برشهارى (— ٣٧٠ هـ ٩٨٠ م) وكان من رجال

---

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ٢٥٥ .

(٢) طبقات الحكماء ١ / ١٦١ .

(٣) راجع بروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ٤١٤ ومختصر الدول لابن العبري ٢٤٦ وطبقات الحكماء لابن أبي أصيبعة ، والفهرست لابن النديم .

ديرمار جبرائيل بظاهر الموصل وكان شاعراً مجيداً بالارمية وديوانه (الا كساميرون) أي الأيام الستة من أجل دواوين الشعر الارمي وقد بقيت بعض أجزاء من هذا الديوان في خزائن الفاتيكان ولندن وبرلين وبعض خزائن كتب أديرة الموصل . وقد نشر العلامة القرداحي في كتابه الكنز الثمين بعض آثار عمانوئيل هذا [1] .

والأديب الكاتب يوحنا (يحيى) بن خلدون الصياري (— في أواسط القرن الرابع للهجرة والقرن العاشر للميلاد) وكان من رجالات دير بيت صياري ، بارعاً بالأدب والعلم ونحو اللغة الارمية ، وله نظم جيد وآثار جليلة في الآداب والتاريخ واللغات وله ديوان شعر مملوء بالحكم والأقوال الرائعة وقد نشر العلامة القرداحي بعض آثاره [2] .

هؤلاء هم بعض العلماء والحكماء والفلاسفة الموصليين الذين نبغوا في الديار الموصلية ونشروا فيها العلم والحكمة والفلسفة قبل العصر الذي نبغ فيه مؤلفنا العبقري أبو الفتح بن جني الرومي الموصلي ، وهم كما ترى أئمة أعلام لم يتركوا ناحية من نواحي العلم والفلسفة والأدب والمنطق والطب والنحو والصرف وغيرها من علوم الأوائل إلا درسوها وبحثوا وصنفوا فيها ، فليس عجيباً أن يكون العصر الذي نبغ فيه ابن جني عصراً مزدهراً بحركته العلمية بارزاً بنشاطه الثقافي مجلياً في حلبة التأليف والتصنيف ، والبحث والتدريس ؛ فلنقف وقفة طويلة أمام ذلك العصر ، ولنعرض الى دراسته والفحص في جنباته لنرى الأئمة والشيوخ الذي نبغوا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ممن قد أفاد ابن جني من أدبهم أو درس عليهم مشافهةً أو إجازةً أو وساطةً :

***

(١) راجع الكنز الثمين طبع رومة بسنة ١٨٧٥ . ص ٦٨ – ٧١ .

(٢) راجع تاريخ الموصل للقس الصائغ ٢ / ٦٨ .

نبغ في الموصل في القرنين الثالث والرابع جمهرة من كبار العلماء والشعراء والمصنفين أشرنا الى بعضهم في مقدمة هذا البحث ، وقد غدت الموصل محجة طلاب العلم في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس بعد بغداد والبصرة والكوفة وبخاصة في عصر بني حمدان الذين كانوا يجودون على العلماء بالعطاء الواسع ويحسنون الى كل من قصدهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة والمصنفين . وكان على رأس بني حمدان في هذا المضمار سيف الدولة ، الذي شاد للأدب والعلم دولة رفيعة الأركان في الموصل ثم في حلب ، وأبو الهيجاء الأمير العالم الذي كان لا يقل عن سيف الدولة عناية بالعلم وأهله . يقول الثعالبي : « ورزقوا — أي أدباء هذا العصر وعلماؤه — ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون بالأدب ، والمعروفون بالمجد والكرم والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل فانبعثت القرائح في الإجادة وقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا ، وأكثرهم اشتهاراً في ذلك سيف الدولة فكان قصره بؤرة الأدباء ، ومنتدى العلماء والشعراء كالمتنبي شاعر عصره الفريد ، والفارابي الفيلسوف الكبير ، والموسيقي البارع وكان ملازماً لخدمته حتى مات وهو مسافر معه الى دمشق ، ثم الاصفهاني الذي قدم له كتابه الشهير في الأدب والموسيقى والتاريخ فأعطاه سيف الدولة جائزة عليه ألف دينار واعتذر اليه ...[1] »

وقد جمعت الموصل في عهد هؤلاء الملوك الأكارم نخبة صالحة من كبار الأئمة أمثال السري الرفاء أبي الحسن بن احمد (— ٣٦٦) الشاعر العالم الموصلي الذي عاش في كنف بني حمدان في الموصل وحلب ، وكان مبدعاً في شعره وحكمته ، متفنناً في نظمه ونثره ، عطف عليه سيف الدولة وقربه حتى

(١) يتيمة الدهر .

جعله من خواص خواصه فأقام عنده ، وكان عذب الألفاظ متقناً للتشبيهات بارعاً في التصوير ، وقد خلف آثاراً أدبية منها (ديوان شعره) ومنها (كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب)[1] وكان الشاعران الأخوان الموصليان خازنا كتب سيف الدولة المعروفان بالخالديين ينابذانه ويخاصمانه وينافسانه فادعى عليهما سرقة شعره وأوغر عليهما صدر سيف الدولة ثم انهما تمكنا من إقناع سيف الدولة بأنه هو الذي يسرق شعرهما ، فتغير عليه سيف الدولة وقطع رسمه من ديوان مجلسه ، واضطر السري أن يترك الموصل وحلب ويقصد بغداد لاجئاً ، إلى أن أدركه أجله .

ويظهر أن الخصومة بين السري الرفاء والخالديين قد تطورت فتناقل أخبارها أدباء الموصل ومؤرخوها وتفننوا في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين لترويج سوق الأدب واحتدام الملاحم الشعرية . والمؤرخون يزعمون أن السري الرفاء كان ينسخ ديوان شعر كشاجم الشاعر المؤلف الموصلي الأديب الكبير ، ويدس فيه أشعار الخالديين ليزيد في حجمه فينفق سوقه ، ويشنع بذلك عليهما تأكيداً لما يدعيه عليهما من السرقات الشعرية ، وقد عقد الثعالبي فصلاً في اليتيمة لسرقات الخالديين وغاراتهما على شعره وشعر السري . وللسري في ذلك أقوال كثيرة منها ما يقوله في قصيدة يمدح بها الأمير أبا البركات بن ناصر الدولة الحمداني ، ويتظلم اليه من الخالديين ومن سرقتهما شعره :

يا أكرم الناس إلا أن يعد أباً   فات الكرام بآباء وآثار
... أشكو إليك خليقي غارة شهرا   سيف الشقاق على ديباج أفكاري
ذئبين لو ظفرا بالشعر في حرم   لمزقاه بأنياب وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلتة   في جحفل من صنيع الظلم جرار

(١) راجع ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان .

... وكل مسفرة الألفاظ تحسبها صفيحة بين إشراق وإسفار
أرقت ماء شبابي في محاسنها حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
إن قلداك بدرّ فهو من لججي أو ختّماك بياقوت فأحجاري
وما رأي الناس سبياً قبل سبيها بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حيًّا ولا رثيا ميتاً ولا افتخرا إلاّ بأشعاري
لم يبق لي من قريض كان لي وزراً على الشدائد إلا ثقل أوزاري
أراه قد هتكت أشعار حرمته وسائر الشعر مستور بأستار
عار من النسب الوضاح منتسب في الخالديين بين العرّ والعار [1]

والخالديان هما أبو بكر محمد بن هاشم بن وعلة بن عُرام بن يزيد ، وأخوه أبو عثمان سعيد بن هاشم الموصليان الخالديان من بني عبد القيس ، وهما من سكان الخالدية وهي قرية من أعمال الموصل [2] .

ولم يذكر المترجمون من تاريخ ولادتها إلا أن أكبرهما وهو أبو بكر مات سنة ٣٨٠ هـ وأصغرهما وهو أبو عثمان مات حوالي سنة ٤٠٠ هـ وكانا عالمين جليلين وشاعرين فحلين ، يشتركان في التحصيل والدراسة ، والتأليف ، فلما نبغا نبغا معاً وكانا لا يتفارقان كالتوأمين ، وكانا يشتركان في نظم الشعر فينسب اليهما معاً ، قال الثعالبي وكان يجمعهما «من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب نهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة ، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان [3]» .

(١) راجع يتيمة الدهر ١ / ٥٠٣ ووفيات ابن خلكان ١ / ٢٠١ وفهرست ابن النديم ص ١٦٩ وخاص الخاص للثعالبي ص ١٢٠ .
(٢) راجع معجم البلدان (الخالدية) ومعجم الادباء ٤ / ٢٣٧ والوافي بالوفيات نسخة دار الكتب المصرية / تاريخ رقم ١٢١٩ ج ٤ / ٣١٤ ، ويتيمة الدهر ١ / ٤٧٤ وكشف الظنون ٧ / ٥٧٣ وفوات الوفيات ١ / ١٧٢ ، ٢ / ٢٧١ .
(٣) يتيمة الدهر ١ / ٥٠٧ .

قصدا بلاط سيف الدولة في الموصل ثم في حلب فقربهما ، وجعلهما من خواصه وولاهما خزانة كتبه . ولا نعلم بالضبط الوقت الذي انضما فيه الى بلاط سيف الدولة ، غير أننا نعلم أنهما حضرا مجالسه أيام اتصال المتنبي به ما بين سنتي ٣٣٢ و ٣٤٦ هـ [1] . ويقول أبو العلاء المعري في رسالة الغفران أنهما تركا بلاط سيف الدولة (على حد مغاضبته) [2] الى بغداد لاجئين الى الوزير المهلبي الذي ناصرهما وساعدهما هو وأبو اسحق الصابي على خصمهما السري الرفاء .

وقد خلفا للخزانة العربية ديوان شعر ضخما ومؤلفات في الأدب أجلها (كتاب التحف والهدايا) الذي يعني الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بنشره ، و (كتاب حماسة المحدثين أو حماسة الخالديين) ولا نعرف له وجوداً وكتاب (أخبار الموصل) و (أخبار أبي تمام) وكتاب (أخبار أبي تمام ومحاسن شعره) وكتاب (اختيار شعر أبي عبادة البحتري) وكتاب (اختيار شعر ابن الرومي) وكتاب (اختيار شعر مسلم بن الوليد وأخباره) وكتاب (الديارات) وكتاب (اختيار شعر ابن المعتز والتنبيه على معانيه) و (ديوان الخباز البلدي) . وغير ذلك مما فقد [3] .

وقد كان هذان الأخوان عجيبين في النظم وحسن التأليف ، مدحهما أبو اسحق الصابي وقال فيهما قصيدة طويلة منها :

أرى الشاعرين الخالديين سيّرا قصائد يفنى الدهر وهي تخلد
جواهر من أبكار لفظ وعونه يقصر عنها راجز ومقصد [4]

---

(١) الصبح المني عن حيثية المتنبي (المطبوع على هامش شرح العكبري) مصر سنة ١٣٠٨ ج ١ / ١٧٣ .

(٢) رسالة الغفران . طبع أمين هندية ص ١٣٦ ، وطبع الكيلاني ص ٢٩ .

(٣) راجع الفهرست لابن النديم ص ١٦٩ ؛ والوافي بالوفيات طبع استانبول ١ / ٤٧ وكشف الظنون ١٩١/١ وخزانة الأدب ٣٩٦/٢ ومعجم الأدباء لياقوت ٢٠/٢ ووفيات ابن خلكان ١ / ٤٦ .

(٤) راجع اليتيمة ١ / ٥٠٨ .

وكان أبو عثمان أحفظ من أخيه لعيون الشعر روى عنه ابن خلكان في ترجمته أنه كان يحفظ ألف سفر من الشعر وكل سفر مئة ورقة فمحفوظاته إذن كانت مئة ألف ورقة أو مئتي ألف صفحة ولو فرضنا أن في كل صفحة ثلاثين بيتاً من الشعر كان مجموع محفوظه ثلاثة ملايين بيت من الشعر[1] وقال عنهما ابن خلكان أيضاً (انهما كانا يغصبان الشعر صاحبه حياً كان أم ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر ولكن كذا كان طبعهما)، وقد ظلا ينظمان الشعر ويؤلفان في الأدب الى أن توفيا. وقد جمع أبو عثمان شعره وشعر أخيه في ديوان ضخم ولكنه فُقد ولم نعثر على ذكر له في إحدى خزائن العالم حتى ان العالم المستشرق المحقق متس لم يشر اليه. وقد ضاعت أكثر آثارهما كما أشرنا اليه ما خلا كتاب التحف والهدايا وكتاب الحماسة ويعرف أيضاً بكتاب الأشباه والنظائر وهو مجموعة مختارة من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي على نمط حماسة أبي تمام وأبي عبادة ومنها نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل[2].

والأديب الشاعر العالم المصنف الطبيب أبو الفتح كشاجم محمود بن الحسين ابن السندي بن شاهك الرملي الموصلي وكان من كبار أئمة الأدب والشعر والفلك والتصنيف وقد شاع شعره في حياته في العالم الإسلامي حتى بلغ الأندلس والغرب وحاكاه شعراء عصره واقتبسوا منه وقد خلف ديواناً ضخماً وآثاراً عديدة منها كتاب (المصايد والمطارد) وهو أول ما صنف في فن الفروسية والصيد وأتى فيه بالمبدع الفائق، وكل من كتب بعده في هذا الفن أو البيزرة أو في علم الحيوان فهو عيال عليه أو مقتبس منه. وقد ظل هذا الكتاب

(١) راجع تاريخ الموصل للصايغ ٢/٦١.

(٢) راجع فهرس مخطوطات الموصل لداود الچلبي.

النفيس مجهولاً يتناقل المؤلفون والأدباء أخباره الى أن عثرت عليه في بعض خزائن إيران ونشرته في بغداد مؤخراً [١] . وقد كان كشاجم من أعاجيب الدنيا في سعة اطلاعه وكثرة فضله وتعداد نواحي علمه ومعرفته حتى انه لقب نفسه بكشاجم وهو لقب انتزعه من الحروف الخمسة الأولى من كلمات (كاتب ، شاعر ، اديب ، جواد ، مصنف) وربما أضيفت اليها كلمة (طبيب) [٢] . وقد خلف كشاجم في الخزانة العربية عدا كتابي المصايد والمطارد والديوان ، كتاب أدب النديم أو لطائف الظرفاء وهو من أمتع كتب الأدب وهو مطبوع مشهور [٣] .

والشاعر أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي النصيبي المشهور بالببغاء (– ٣٩٨) وكان شاعراً مكثراً مجوداً وكاتباً مترسلاً مليح الألفاظ جيد المعاني حسن القول في المديح والغزل والتشبيه والأوصاف . وقد ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد وأثنى عليه وروى عنه بعض شعره عن طريق شيخه القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبي الفرج [٤] ، وكان الببغاء من أئمة الأدب وعيون رجال الشعر والنثر وقد روى التنوخي عنه كثيراً من أخباره وأشعاره في كتابيه (نشوار المحاضرة) و (الفرج بعد الشدة) وكان من المعجبين به وبأدبه وبخلقه . وقد أطنب المرحوم الدكتور زكي مبارك في كتابه النثر الفني في القرن الرابع بأدب الببغاء وعده من بين الكتاب الذين غلب عليهم النثر «وكان لهم مع ذلك شعر جيد مثل الجرجاني علي بن عبد العزيز وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي اسحق الصابي ، وبديع الزمان الهمذاني وأبي اسحق الحصري

(١) طبع في مطبعة دار اليقظة ببغداد بعنايتي وتحقيقي في سنة ١٩٥٤ .

(٢) راجع مقدمتنا لكتاب المصايد والمطارد ، ومجلة المجمع العلمي العراقي الجزء الثاني فقد ذكرناه في مقال مفصل .

(٣) رجع أيضاً شذرات الذهب لابن العماد ٣ / ٨٣ وزهر الآداب للحصري وبروكلمان G. A. L. الذيل ١ / ١٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي طبع القاهرة ١١ / ١١ – ١٢ .

صاحب زهر الآداب فقد قال عنهم انهم ممن كانوا يجيدون الشعر إجادة تامة مع إجادتهم في النثر وان شعرهم كان رائعاً مثل نثرهم [١] » .

ومما قال عنه أيضاً « إنه نشأ في نصيبين ، واتصل بسيف الدولة فلما مات صاحبه تنقلت به الأحوال بين بغداد والموصل فنادم الملوك والرؤساء وقضى حياته بين النجاح والإخفاق ينعم تارة ويشقى أخرى ، وكان الببغاء من أركان الحياة الأدبية في زمانه ولكن المؤلفين لم يتحدثوا عنه إلا قليلاً فكان من نتائج ذلك أن قلت المصادر التي تكفي لتعيين اتجاهاته الأدبية … ومجموعة ما وصل الينا من شعره ورسائله وقصصه تدلنا على أنه لم يتصل بملوك زمانه على نحو ما كان يتصل الصاحب بن عباد أو أبو الفضل بن العميد وإنما كانت صلاته بهم عند الحدود الضيقة حدود السمر والأنس حول بساط السلاف وانا لنراه يدور حول شهواته وأغراضه النفسية في أكثر ما أثر عنه من المقطوعات والرسائل والأقاصيص ، أما شعره فتغلب عليه النزعة الوصفية وذلك يتصل بمذهبه في النثر أشد اتصال وهو وان لم يستطع مصاولة فحول القرن الرابع كالرضي والمتنبي وأبي فراس يبدع أحياناً ويروع حتى لنعده في طليعة الشعراء [٢] » .
وأما نثره فيمتاز بعدة مزايا أظهرها أنه يمثل عصره من الوجهة الفنية ويمثل الكاتب في ميوله الذوقية والوجدانية فهو من جهة الصورة نثر مسجوع تغلب عليه الفطرة حيناً ويسوده التكلف أحياناً وهو من جهة الموضوع يتصل في أكثر نواحيه بما يحس الكاتب من حيث هو رجل مودات ومجاملات . وقل أن يمثل صاحبه رجل فكرة اجتماعية أو فلسفية على نحو ما نجد عند بعض كتاب القرن الرابع … هذا ولا ننسى أن نذكر فضل الببغاء في رسائله الاخوانية الكثيرة التي خلفها لنا ، وهي لا تقاس الى براعته في نثره المرسل الذي دبج به قصصه الغرامية وقد حفظ

(١) راجع النثر الفني ١ / ٢٧ ، ١٢٨ .
(٢) راجع النثر الفني ٢ / ٢٢٦ - ٢٣٢ .

لنا الدهر منها شاهداً يعز على من رامه من أندى الكتاب قلماً وأسماهم بياناً [١] .

والإمام الفقيه المحدث العالم أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى التيمي الموصلي (— ٣١٧) وكان من أئمة المحدثين وكبار حفاظ الحديث وهو صاحب المسند المعروف به والذي ظل يدرس في الموصل فترة طويلة وكان أهل الموصل يتباركون به وبقراءته كما يحدثنا ابن خلكان [٢] .

وقد ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام وأثنى عليه وبيّن محامده وآثاره وعدد شيوخه ومن أفاد منه من كبار الأئمة وقال عنه : انه حافظ متقن وثقة مشهور ولقبه الذهبي بمحدث الموصل وقد عمر طويلاً حتى ناهز المئة ورحل الناس اليه من أبعد أصقاع الإسلام وله (مسندان) في الحديث أحدهما كبير والثاني صغير [٣] .

والجغرافي البلداني الأشهر أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل الموصلي البغدادي (— ٣٨٠) وكان من العلماء الرحالين البارعين في علم تخطيط البلدان وأصول التجارة طاف العالم القديم ودخل بلاد المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من ديار الإسلام في أوربا وآسية وإفريقية منذ سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) ودامت رحلته هذه ثماني وعشرين سنة وقد أحصى ذكر ما رآه في العالم من أخبار وعجائب ، وأطنب في ذكر البلاد التي زارها وصفاتها وأحوالها غير انه لم يضبط الأسماء وذكر الأطوال والأعراض ، ولم تخل رحلته هذه التي دونها في كتابه « المسالك والممالك » من الأغلاط لأنه أول رحالة مسلم عربي دوّن أخبار رحلاته هذه . وقد طبع كتابه في ليدن سنة ١٨٧١ م . وترجم الى اللغات الفارسية والانكليزية والفرنسية ، والايطالية واللاتينية . ويعد ابن حوقل الموصلي من كبار الجغرافيين الذين كتبوا ما كتبوا بعد الفحص والتدقيق . وقد كان الجغرافيون قبله

(١) راجع النثر الفني ٢ / ٢٣٣ — ٢٤٢ وبروكلمان G. A. L. ١ / ٩٠ والذيل ١ /١٤٤
(٢) راجع وفيات الاعيان ٢/ ٣٥٤ .
(٣) راجع تاريخ دول الإسلام للذهبي ١ / ١٤٦ والرسالة المستطرفة ص ٦٣ .

يكتبون معلوماتهم نقلاً عن أفواه التجـار أو يجمعون الأقاصيص والخرافات جمعاً دون تمحيص [(١)] .

والطبيب الفيلسوف الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن محمد بن أبي الأشعث (— ٣٦٥) وكان أصله من فارس إلا انه سمع بعناية بني حمدان بأهل العلم فقدم على الأمير ناصر الدين الحمداني فأكرمه وقربه واتخذه طبيبه فنال عنده مكانة سامية وأغدق عليه عطاياه وأقام بالموصل يعلم الطب والحكمة والفلسفة . وقد ترجم له ابن خلكان في الوفيات وأثنى عليه وذكر طرفاً من أخباره وعدّد آثاره التي ألفها في علوم الطب والإلهيات والحيوان . وكان من أجل أعماله العلمية ترجمانه لكتب كثيرة من آثار جالينوس مع شرحها والتعليق عليها . وقد ترجم له ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء ومدح علمه وفضله وآثاره ، ويذكر بروكلمان أن من آثاره العديدة التي كتبها لم يبق إلا كتابه عن الحيوان وكتابه عن تفصيل جالينوس في الاسطقسات وشرحه على رسالة جالينوس في المزاج المختلف ، وكتاب الغاذي والمغتذي [(٢)] .

والأديب الفقيه المقرئ محمد بن الحسن بن زياد النقاش (٢٦٦ — ٣٥١) وكان من كبار الأئمة في علوم القرآن وقراءاته وتفسيره ، أقام بالموصل طويلاً يدرس علوم القرآن والعربية ثم رحل الى بغداد فأفاد الناس منه وقد خلف آثاراً عديدة أشهرها (شفاء الصدور) في التفسير و (الاشارة) في غريب القرآن و (الموضح) في معاني القرآن و (المعجم الكبير) في أسماء القراء وقراءاتهم و (المعجم الأوسط) في القراءات و (كتاب العقل) و (كتاب أخبار القصاص) و (كتاب ذم الحسد) و (كتاب دلائل النبوة) و (كتاب

---

(١) راجع دائرة المعارف للبستاني ، وكتاب آثار الأدهار للخوري وشحادة ١ / ١٩٧ واعلام الزركلي ص ٨٩٢ وقاموس الأعلام لشمس الدين سامي التركي .

(٢) راجع ابن خلكان ، وابن أبي أصيبعة ١ / ٢٤٥ وبروكلمان G. A. L ١ / ٢٣٧ والذيل / ٤٢٢ .

إرم ذات العماد) و (المعجم الصغير في القراءات) . وقد ضاعت هذه الكتب كلها إلا قطعة من (شفاء الصدور) فانها موجودة في دار الكتب المصرية ، والمتحفة البريطانية و (كتاب الإشارة) فانه موجود في مدرسة الملا زكريا في الموصل [١] .

والشاعر الأديب الفحل أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السلامي (٣٣٦ — ٣٩٣) وهو من أهل بغداد إلا أنه نشأ في الموصل وسمت مكانته العلمية فيها. فأكرمه بنو حمدان وكانت حلقاته في الموصل حلقات علية وله مناظرات مع أهل الموصل وأدبائها وأذكيائها وكان حين دخل الموصل صبياً ينظم الشعر فيتردد على حلقات أبي عثمان الخالدي وأبي الفرج الببغاء وأبي الحسن التلعفري وغيرهم وقد أعجبوا جميعاً بذكائه وفطنته [٢] .

وبعد فان هؤلاء هم أئمة العلم والدين والفلسفة والطب والحكمة والأدب والشعر في الموصل في الفترة التي نشأ فيها أبو الفتح بن جني . وهؤلاء هم الأئمة الفحول الذين كانت تلك الديار وأهلوها يكرعون من مناهل علمهم وفضلهم وأدبهم ولا ريب في أن أبا الفتح قد أفاد منهم إما مباشرة أو بالوساطة .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) راجع ابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت وبروكلمان ١ / ٣٣٤ الذيل .
(٢) راجع أخباره في ابن خلكان ١ / ٢٩٨ ويتيمة الدهر ١ / ١٧٣ .

التعريف والنقد

ابن رشد

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وهو من سلسلة نوابغ الفكر العربي
طبع في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٣

يشتمل هذا الكتاب على أربعة فصول هي : (١) عصر ابن رشد (٢) ابن رشد في عصره (٣) جوانب ابن رشد (٤) منتخبات من آثار ابن رشد .

وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذه الفصول على نصوص ابن رشد العربية التي بين أيدينا وعلى بعض الدراسات العربية والأجنبية ، فجاءت على اقتضابها كافية لتعريف القارئ بعصر أبي الوليد وحياته وفلسفته . ولا غرو فالأستاذ عباس محمود العقاد يجيد في هذا النوع من التأليف ، فيبسط الأفكار ويجملها على طرف التمام بأسلوب واضح وترتيب حسن .

ولئن كان من المتعذر هنا تفصيل الكلام على كل فصل من فصول هذا الكتاب فليس من المتعذر أن نقول ان كل فصل منها قد صوّر ناحية من نواحي ابن رشد تصويراً صحيحاً . فاذا أراد المؤلف أن يشرح لنا أسباب نكبة ابن رشد قال :

« فمن مجمل أحواله أنه كان رجلاً يحسن المساجلة ولا يحسن المنادمة ، ولا يبالي تزييف لغة « البلاط » في سبيل تحقيق لغة العلم ورفع الكلفة من مجالس الباحثين فيه ولو كانوا من الملوك والأمراء . ومما يصح أن يشار اليه من لواحق هذا أنه غفل عن مكانة الغزالي عند ملوك الموحدين . وهو أستاذ أستاذهم الأكبر ، فردّ عليه دفاعاً عن الفلاسفة ولم يبال في هذا الدفاع أن ينسب اليه المغالطة .

ومن مجمل أحوال الزمن أنه كان زمن المداوات الدينية ، وكانت أخطار الحروب فيه بين المسلمين والافرنج على أشدها ، فكان من أصعب الأمور على الحكام أن يتعرضوا لغضب العامة إذا وقع في وهم هؤلاء أن قاضياً من أعظم القضاة يشتغل بالعلوم التي يرتابون بها ويحسبونها من الكفر والضلالة . وقد اشتهر عن ابن رشد انه كان مصادقاً لأخي الخليفة وتبين من تاريخ تلك الفترة أن المنافسة فيها على الملك كانت حرباً ضروساً لا تنقطع في وقت من الأوقات ، فلا يبعد أن ينكب الخليفة ابن رشد اتهاماً له بمشايعة أخيه واتهاماً لأخيه بمصاحبة الفلاسفة وإضمار الكفر والضلالة » (ص ٢٦) .

واذا أراد المؤلف أن يتكلم على فلسفة ابن رشد قال : فلسفة ابن رشد على الأصح : « فلسفتان لا فلسفة واحدة : فلسفة ابن رشد كما فهمها الأوربيون في القرون الوسطى ، وفلسفة ابن رشد كما كتبها هو واعتقدها ودلت عليها أقواله المحفوظة لدينا » (ص ٣٠) وبين هاتين الفلسفتين « مواضع اختلاف تمس الجوهر أحياناً أو يسمح بتفسير آخر في غير تلك الأحيان » (ص ٣١) .

وقد اعتمد المؤلف الفاضل في تلخيص الفلسفة الأولى على ما كتبه (موريس دوولف) في كتابه : تاريخ فلسفة القرون الوسطى ، كما اعتمد في تلخيص الفلسفة الثانية على نصوص (ابن رشد) العربية التي بين أيدينا غير معول في ذلك على مصدر من المصادر الأجنبية .

ولكن الباحث الذي يتصدى لدراسة فلسفة (ابن رشد) كما كتبها هو واعتقدها لا يستطيع أن يهمل المصادر الأجنبية الحديثة ، لأن في هذه المصادر كثيراً من الدراسات التي توضح نصوص ابن رشد وتصور فلسفته أحسن تصوير . وقد فطن الأستاذ عباس محمود العقاد الى هذه الناحية فذكر في مصادره كتاباً لرينان عنوانه : ابن رشد وفلسفته (Averroès et l'Averroïsme) ولكنه

أهمل كثيراً من الدراسات الأخرى كدراسات (موللر) و (مونك) و (غوتيه) و (بالاسيوس) وغيرها . ولو استعان بهذه الدراسات لصور لنا عقل ابن رشد في شتى مشاركاته تصويراً أتم وأوفى .

وجملة القول ان صورة ابن رشد التي أبرزها المؤلف صورة آنية مربعة ليس فيها ما في فلسفة ابن رشد من نواح مختلفة ، وسبب ذلك يرجع الى أن المؤلف يكتب لجمهور القراء لا للعلماء المختصين ، وأظن أن الناس يتنفعون بهذا النوع من المختصرات أكثر مما ينتفعون بالمطولات . **جميل صليبا**

نوابغ المغرب العربي (١)

الإمام المازري

حسن حسني عبد الوهاب

في طلائع هذه الرسالة (التي بلغت نحو مائة صفحة بقطع الربع) شذرات من تراجم أولئك الغر الميامين الذين دخلوا الشمال الإفريقي من الصحابة والتابعين ، ومن اقتفى آثرهم واهتدى بهديهم إلى عصر المازري في القرن السادس الهجري .

استهل المؤلف — وهو الأستاذ الكبير حسن حسني عبد الوهاب التونسي الشهير — استهل بحثه بذكر بعض من وفدوا على البلاد وأقاموا بها بعد الفتوح ، وهم الذين عينهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز سنة مائة من الهجرة لتفقيه الأفارقة في الدين ، وإرشادهم إلى هديه ، وإشراب قلوبهم حبه . وقد كان في مقدمة هذه البعثة الدينية اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي عامل عمر بن عبد العزيز على المغرب ، ورأس البعثة الدينية ، وعبد الله بن يزيد المعافري ، وعبد الرحمن ابن رافع التنوخي ، ومنهم اسماعيل بن عبيد الأنصاري ، وكل من هؤلاء قد روى عن الصحابة ، واتخذ داراً لسكناه ، ومسجداً لصلاه ، ومدرسة لتعليم

الناشئين : وقد تربى على أيديهم جمع كبير كانوا المربين الأولين لأبناء البلاد ، وهم الذين لقنوهم علوم الشريعة . وذكر المؤلف طبقة ثانية يوافق ظهورها قيام الدولة الأغلبية في البلاد ، ومنهم أسد بن الفرات ، وقد تلقى عنه أبناء إفريقية مثل سحنون ، وسليمان بن عمران وغيرهما « ويمكن أن نعد أسد بن الفرات أول مؤسس للدولة الفقهية القيروانية » .

شرح الأستاذ المؤلف كيف دخلت « الحنفية » إفريقية في القرن الثاني ، والمدرسة المالكية في القرن الثالث ، ثم تتابعت الطبقات وترجم لمشاهيرها بإيجاز ، إلى أن بلغ بها القرن السادس ، فترجم للإمام المازري ، وأشهر شيوخه وتلاميذه . والمازري نسبة إلى مازَرَة بصقلية ، تقابل شمال البلاد التونسية ، وهي أول بلدة امتلكها الجيش الأغلبي الفاتح على يد قائده القاضي أسد بن الفرات (م سنة ٢١٢) . ومن أشهر أساتذة المازري إماما المغرب في وقتها أبو الحسن اللخمي (م ٤٧٨ هـ) وعبد الحميد الصائغ (م ٤٨٦ هـ) . ومن أكبر تلاميذه علماً وسياسة محمد بن تومرت ، مؤسس الدولة الموحدية (وكانت وفاته ٥٢٥ هـ) والإمام أبو بكر بن العربي الإشبيلي (م ٥٤٣ هـ) .

ثم ذكر الأستاذ ابن عبد الوهاب ثناء العلماء عليه ، وآراءهم فيه ، وآثاره العلمية ، ونُبذاً من فتاويه وجهره بالحق . وختم بحثه بهجرة الصقليين إلى افريقية ، وبتمييز المازري عمن يشاركه اسماً ولقباً وبلداً .

وقد وقعت بالطبع هنات لا يخلو منها كتاب (عدا ما في جدول الخطأ والصواب) وهي في ص ٨٢ س ٥ : الآ ، و ٨٩ س ٢ : واحداً بالآخر ، و ٩١/١٠ خمس قرون ، وصوابها : الإله . واحد والآخر . خمسة قرون .

فنشكر للأستاذ المؤلف حسن صنيعه ، ونرجو له مزيد التوفيق في عمله العظيم .

مصادر الحق في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث

(٢)

توافق الإرادتين في مجلس العقد ، صحة التراضي ، (الغلط – التدليس – الإكراه)
ألقاها الدكتور عبد الرزاق السنهوري على طلبة قسم الدراسات القانونية

عرف الدكتور السنهوري بسعة اطلاعه على المذاهب الفقهية الإسلامية ، وعلى القوانين الموضوعة في الدول العربية ، وما يقابلها من فقه الدول الغربية ، وله مؤلفات في ذلك . وهذا هو الجزء الثاني من كتابه الفقه الإسلامي المقارن بالفقه الغربي الحديث ، الذي ألقاه على طلبة قسم الدراسات القانونية في معهد الدراسات العربية العالية ، من جامعة الدول العربية ، بالقاهرة .

(ولم نطلع على الجزء الأول منه) . وأوله : المبحث الثاني في تطابق الإرادتين في مجلس العقد (أي إرادتي المتعاقدين) ، وفيه ثلاثة مطالب (١) التعاقد بين الحاضرين (٢) التعاقد بين الغائبين (٣) حالات خاصة في إبرام العقد . ثم يأتي المبحث الأول في الغلط – : وهو حالة تقوم بالنفس تحمل على توهم غير الواقع – وفيه مبحث الغلط في الفقه الغربي ، والغلط في الفقه الإسلامي . وفي المطلب الثاني : الأنواع الأخرى من الغلط ، كالغلط في الشخص ، وفي الوكالة ، وفي إجازة الظئر ، والغلط في القيمة ، والغلط في القانون .

ثم المبحث الثاني في التدليس ، والمطلب الأول منه : التدليس في الفقه الغربي ، والثاني : التدليس أو التغرير في الفقه الإسلامي .

ويليه : المبحث الثالث في الإكراه ، والمطلب الأول : الإكراه في الفقه الغربي ، والثاني : الإكراه في الفقه الاسلامي ، وفي كل من هذه المطالب والمباحث فروع تتصل بها ، وقد بلغ هذا الجزء الثاني (٢٣٥) صفحة بالقطع المتوسط .

وتجد فيما كتبه الدكتور ما امتاز به الفقه الإسلامي من دقة التعبير، وجمال التصوير، وموافقة قواعده وشواهده لكل أمة، على اختلاف الزمن، وارتقاء الأمم، وتنوع المطالب. أثاب المولى الدكتور السنهوري، وزاده إحساناً وتوفيقاً.

الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

سيرته . بطولته . عظمته

وضع الأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب . جزآن في نحو (٥٧٠) صفحة

مما كان يردده الملك الإمام عبد العزيز آل السعود (رحمه الله تعالى) ويؤيده بالشواهد والبراهين أنّ مدار الأمة على التوحيد، وأن العرب لم تكن لهم وحدة حقيقية، ولا جامعة عربية يحافظون عليها ويدافعون عنها إلا بالتوحيد الذي ألف بين قلوبهم، ووحّد كلمتهم وعملهم، فصانوا دماءهم وحفظوا أموالهم، وقلّصوا ظل القياصرة والأكاسرة عنهم، بل كسروا شوكة الظالمين في أنحاء المعمور. ذلك بأن عقيدة التوحيد التي تغلغلت في نفوسهم، وجرت في عروقهم، قد ناطت رجاءهم في الله وحده، لا يسألون إلا إياه، ولا يخشون أحداً سواه «وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله». وفي حديث ابن عباس: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

لمّا أخذ العرب بهذه العقيدة المثلى تركوا عبادة الحجر والشجر والبشر، والكواكب والملائكة والجن، وعلّقوا خوفهم ورجاءهم بفاطر الأرض والسموات، فطهرت عقولهم من لوثات الشرك والأضاليل، وزكت نفوسهم من الرذائل والنقائص، وأصبحوا علماء حكماء، لا تعرف الخرافات والأوهام الى قلوبهم سبيلا، وأخذت معارفهم حظها من الشيوع والانتشار، بحيث لم تبق أمة من أمم الأرض

لم تقتبس من نورهم ، أو تعطر مسامعها بشذى ذكرهم الفيّاح . هذا مجمل ما كان ينثره الملك من درره ، وكنا نسمعه في كثير من مجالسه العامة والخاصة ، وكان له أحسن وقع وأبلغ تأثير في نفوس المستمعين . وهو ما تراه الآن موزعاً من خطبه وأحاديثه في هذه السيرة التي رأى مؤلفها العلامة أن يسلك بها غير ما سلكه الكثيرون ممن أرخوا للإمام الراحل في حياته وبعد مماته ، وكتبوا كثيراً في مآثره وصفاته ، إذ لم يتعرضوا لسر عظمته في نفسه الكريمة ، وما انطوت عليه من إيمان وتقوى ، (أو محاسبة ومراقبة) هما السبب الأقوى في كل ما تم على يده من الأعمال ، وما نالته البلاد في عهده الميمون من أمن وطمأنينة ، فأحب أن يكتب في هذه الناحية ليتخذ الناس من سيرته مُثلاً عليا ، في هذه الحياة الدنيا . قال : « خصوصاً وإن ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب ما علمته من رغبة عميد الكلية العربية العامة بالباكستان ، في الحصول على معلومات مفيدة عن ملوك الإسلام وآثارهم في البلاد وطريقة حكمهم فيها ، ليدرسها النشء في هذه الدولة الناهضة (باكستان) التي يهمها أن يعلم أبناؤها الكثير عن مزايا الإسلام وفضائل ملوكه وأمرائه المعاصرين منهم والسابقين » .

وقد أهدى المؤلف كتابه بكلمة قيمة إلى سمو ولي العهد وأخيه (جلالة الملك سعود وسمو الأمير فيصل ولي العهد) وقدم له مقدمة شرح فيها المذهب السلفي (المسمّى بالوهابي !) شرحاً وافياً من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود الذي استجاب لدعوته ، إلى عهد الملك الراحل عبد العزيز (رحمهم الله تعالى) . وقد بدأه بمولده ونشأته ، وتأسيسه الملك ، وقضائه على الفتن الداخلية . ثم ذكر قضاءه على حكم آل الرشيد ، وحروبه مع الهاشميين ، وإعلان البيعة له ، وانعقاد مؤتمر العالم الإسلامي بمكة (سنة ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م) . وحادث (المحمل) ، وفتنة الدويش ، وحماية الأدارسة ، وثورة ابن رفادة ثم الأدارسة ، وتوحيد المملكة السعودية ، وبين الملك وإمام اليمن — عفوه

عن الملحدين ـ حل حزب الأحرار . خطب الزعماء بين يدي جلالة الملك والأمراء ـ تفاهم مصر والمملكة السعودية ـ اجتماع رضوى التاريخي ـ ميثاق الجامعة العربية ـ رحلة الملك الى مصر ـ فلسطين والاتحاد العربي ـ الملك وقضية فلسطين ـ الحرب في فلسطين ـ زيارة الملك عبد الله ـ مدة الهدنة ـ لجنة التوفيق ـ النتيجة ـ (وهي أسوأ نتيجة وأخزاها) ـ الى عموم المسلمين ، (قصيدة للمؤلف) الملك وباكستان ـ باكستان كما رأيتها ـ باكستان في أربع سنوات ـ الملك وأندونيسيا ـ خطاب المؤلف في القصر الجمهوري الأندونيسي .

هذا مجمل ما تضمنه الجزء الأول ، في نحو ثلاثمائة وأربعين صحيفة .

وأما الجزء الثاني من سيرته الميمونة فهو خاصّ بما يتعلق بحياة جلالته الخاصّة وأخلاقه وعاداته ، وخطبه وآثاره ، وأبنائه وأصحابه وعمّاله .

قلت : وإنّ من أبرّ أعماله (رحمه الله) وأفضلها ، أنه رأى أنّ أفضل ما تداوى به القلوب ، وينتزع به منها مثارات الشكوك ، هو جمع المصلين في كل صلاة على إمام واحد ، كما تقتضيه وحدة الإسلام ، فأمر أن يتناوب الإمامة عدة أئمة من فقهاء المذاهب الأربعة ، يأتم بكل واحد منهم في نوبته جميع المصلين ، فتمّ ذلك ولله الحمد على أحسن وجه . وقد قضى الإمام عبد العزيز بهذا التوحيد العملي على كلّ خلاف قديم ، وأدخل عصر التفريق والتمزيق في خبر كان ، وبات القول بأنّ النجديين يكفرون إخوانهم المسلمين وإخوانهم يكفرونهم أضحوكة العجائز والصبيان ، وأسطورة الكذب والبهتان . فنحن نذكر إخواننا المسلمين في سائر الأقطار بأن يحذوا حذو البيت الحرام ، قبلة الإسلام بالاقتصار على إمام واحد لكل صلاة توحيداً للأمة وجمعاً للكلمة ، ونحذرهم من ضرر تعدد الجماعة في وقت واحد . والكتاب محلّى برسوم صاحب الجلالة وصاحبي السمو ولي العهد ، ونائب جلالة الملك ، وكثير من الأمراء والأعيان ، وفي ختام هذا الجزء الثاني سجل الصور لبعض أمراء وعظماء المملكة العربية السعودية .

والحاصل أن هذا الكتاب من أغزر الكتب مادة في موضوعه ، وأدلّها على ما ألف من أجله ، والمؤلف غنيّ بتآليفه وآثاره عن التعريف به .

وقد مرّت بي أغلاط قليلة كقوله في قصيدة الأستاذ الزركلي (ج ١ ص ٦٢ س ٢٥) ما استطعت ، صوابها « ما أسطعت » وفي (ص ٦٣ س ٧ منه) وللأياة : « وللأباة » بالباء ، وفي (ج ٢ ص ٨٣ س ١٥) سمحان : « سحان » (وفي ص ٨٢ س ٢٠) المقدس . المقدى . المقمى . صوابها كلها : « المقدمي » وفي ص ٨٣ س ٧ الكلام الطيب : « الكلم » .

المجموع الأول

أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية

بقلم : عبد الله القلقيلي في (٧٧) صحيفة

الأستاذ القلقيلي صحافي قديم ، وكاتب مشهور ، فهو صاحب « الصراط المستقيم » التي كانت تصدر في يافا من أرض فلسطين ، وقد كانت معروفة بمعارضتها للمجلس الإسلامي الأعلى في سياسته ، ولكنها مثال الذوق والأدب ، وصدق القول والعمل ، والغيرة على الدين والوطن ، فهي تشبه جريدة البرهان التي كانت تصدر في طرابلس الشام للأستاذ المغربي ، كلتاهما كانت تصدر عن عقيدة راسخة ، وأدب جم ، وفضل وعلم ، وهذه مقالات منوعة ، افتتحت بمقدمة للأستاذ مظهر العظمة ، وبدئت بمقال الدعوة إلى الحق والخير ، ولا تعارض في الدعوة ، والفصل بين السنوحات والفتوحات ، ومحمد خاتم النبيين ، ومنها الجواب على ما يأتي : أيكون الإيمان سبباً في زيادة الشقاء ؟ هل يباح الفطر للعمال ؟ عشاء الميت ، القراءة للميت ، وختمها بأجوبة وفتاوى على أسئلة :

« ضريبة الإنتاج والزكاة » وتأييد هذه الفتوى بالرد على من خالفها ، وتحديد النسل ، والسلف على الغلة ، وقبر الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والأستاذ القلقيلي في ذلك كله ، وسط بين الغلو والتفريط ، يظهر ذلك من كلامه على مقالي السنوحات والفتوحات (أي المكية لابن عربي) فمن الكتاب المكفر ، ومنهم المؤول ، والأستاذ قائل بالتخطئة ، وفي مقال محمد خاتم النبيين رد محكم على دعاة النبوة الكاذبة في هذا الزمان ، ثم بيان أن الإيمان من أسباب سعادة الإنسان لا شقائه ، واعتدال في الكلام على صيام العمال ، والاقتصار على السنة في أمر الموتى ، وعد ما تنفقه الحكومة على مستحقي الزكاة من الزكاة الشرعية ، والكلام على تحديد النسل الشخصي (لا الاجتماعي العام) وإباحة التسليف على الغلة بشرطه . وهذا (المجموع الأول) كما ترى هو رائد خير ، وطليعة صلاح وإصلاح لما يأتي بعده إن شاء الله ، فنحث المطالعين على الاستفادة منه .

ومن الأغلاط المطبعية (ص ١٢ س ١) باختلاف ومتعلقها : الواو زائدة . و (ص ٢٧ س ١٢) أن يتحاكون : وهي بحذف النون . وباقي الأغلاط طفيف ظاهر ، وأكثره في جدول الخطأ والصواب .

محمد بهجة البيطار

آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)

لمحمد توفيق

عدد صفحاته (٤٠) صفحة من القطع الكبير و (٤٠) لوح مصور طبع في القاهرة سنة ١٩٥١

قدم المؤلف في هذا الجزء أولى دراساته عن جنوبي جزيرة العرب وهي بعض مشاهداته في رحلته العلمية الى جوف اليمن لدرس هجرة الجراد الرحال والكشف عن مناطق توالده وتكاثره في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ . اغتنم المؤلف هذه الفرصة التي تهيأت له فقام أيضاً بدراسة جديدة لخرائب آثار هذه المنطقة والتقط لها صوراً فوتوغرافية استكملت أبحاثه القيمة .

غاص قبله منذ منتصف القرن الماضي وفي فترات مختلفة عدد من علماء الغرب ورحالته محاولين زيارة اليمن ، منهم من أصاب بعض النجاح في جولته ومنهم من لم يفلح ولقي بعضهم حتفه بصورة مفجعة .

يبدأ المؤلف في هذا الجزء دراسته المستفيضة عن خرائب معين عاصمة الدولة المعينية ، فوصف مشاهداته عن آثارها ونقوشها ورقمها ونشر صورها . وسيبقى بحثه هذا مرجعاً أساسياً لدراسة آثار هذه المنطقة . ومن مميزات هذه الدراسة أنها صححت جملة نصوص كان جمعها غيره من الآثاريين وأضاف نصوصاً وصوراً جديدة تنشر لأول مرة .

ومما يدعو الى الغبطة أن نرى إقبال طائفة من علمائنا العرب على دراسة هذه المواضيع التي كانت الى عهد قريب وقفاً على علماء الغرب . ومن هو أحق من أبناء العرب بالعناية بدراسة تاريخ مدينة جنوب جزيرة العرب التي استمدت منها الحضارة العربية في الجاهلية والإسلام أصولها ؟ فللمؤلف شكرنا وتقديرنا .

J. A. Dagher - Repertoire des bibliothèques du Proche et du Moyan Orient. Paris 1951

تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط

من وضع يوسف داغر

أمين دار الكتب الوطنية اللبنانية ، يقع في (١٨٢) صفحة من القطع المتوسط طبع في باريز ١٩٥١

أحصى المؤلف في هذا التقويم دور الكتب العامة والمكتبات الخاصة العربية والأجنبية الموجودة في بلاد جزيرة العرب ومصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وتركيا وإيران ، ولم نجد بينها ذكراً لمكتبات المملكة الأردنية الهاشمية ، فهل يستنتج من ذلك أنها خالية من المكتبات مع أن نهضتها الثقافية الحديثة على ما نعلم كانت شاملة ويستغرب أن تهمل هذه الناحية الهامة من نهضتها .

يقدم هذا الكتاب خدمة جليلة للمشتغلين بشؤون دور الكتب ويرشد الطلاب والعلماء الى مناهل العلم في هذين الشرقين ، ويعمل على زيادة الروابط الثقافية بين هذه البلاد وغيرها من الأقطار العالمية . ان فائدة هذا الكتاب واضحة وهي جديرة بالإكبار والتقدير .

نقوش خربة معين

(مجموعة محمد توفيق) الجزء الثاني

لخليل يحيى نامي في (٣٤) صفحة من القطع الكبير . طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢

اقتصرت دراسات الأستاذ محمد توفيق في الجزء الأول من هذه المجموعة على وصف آثار خربة معين ونقل صور رقمها وعهد الى الدكتور خليل يحيى نامي بنشر النصوص التي جمعها وترجمتها فيكون هذا الجزء تكملة للجزء الأول حقق

فيه الناشر تسع عشرة كتابة من خربة معين كانت بحاجة الى شرح مغلقها ودرس محتوياتها والتعليق عليها ، ويقف المطالع في هذا البحث على مدى الجهد العلمي الذي بذله الأستاذ نامي لإخراج كتابه هذا الذي يستدل منه على مكانته العلمية في موضوع جديد له صلة وثيقة في دراسة تاريخنا العربي . فللمؤلف إعجابنا والى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة الذي خصص سلسلة من منشوراته لمثل هذه الأبحاث القيمة شكرنا .

جعفر الحسني

ابن الحريري ومقاماته

تأليف الدكتور محمد أحمد الصدّيقي

طبعة اله آباد ، بالهند . في ٢٣٢ صفحة

لم تقع للمعاصرين من كتّاب العرب على مؤلَّف في الحريري ومقاماته يستوعب البحث في حياة الرجل وآثاره . لذلك رحبنا أجمل الترحيب بهذا الكتاب الجديد يصدره أستاذ في جامعةٍ بالهند كرسالة للدكتوراة ، يسد بها ثغرة من الثغرات الكثيرة في التأليف الأدبي .

خرج المؤلف ببحث شامل حافل ، تطرّق فيه إلى العصر العباسي ، فذكر المدارس والمعاهد والمراكز العلمية في البلاد العربية وغيرها ، وأشار إلى أثر الكوفة والبصرة في الأدب والعلم والثقافة ، وانتهى الى الإشادة بالبصرة فقد كانت تُدعى قبّة الإسلام، وفيها كانت العناية باللغة في النحو، ومنها كان الحريري .

وتناول الدكتور الصديقي في بحثه أساليب الكتابة وأغراضها ، وسعى إلى دراسة المقالات والمقامات من حيث اللفظ والمعنى ، فعرض للصناعات اللفظية وزخرفة الكلام ، والتكلّف والتطويل والإطراء ، ليبلغ بنا الى نشأة الحريري

وتربيته ودراسته وثقافته حتى كانت منه المقامات والرسائل والمؤلفات . وقد وقف الباحث عند المقامة وقفة غير قصيرة يحللها ويدرسها ، فهي كل ما يلقى في مجتمع الناس ، وفي المجلس من الكلام ، أو هي الرواية والخطبة والعظة ، بل إنها القصة النثرية وما يتخللها من شعر ينظمه صاحب المقامات . وموضوعها ذلاقة اللسان وفصاحة البيان ، وجمال التعبير ، في كل منها نكتة تدور حولها ، ولكل منها اسم تنسب اليه ، تجمع شوارد اللغة ونوادر التراكيب ، في أسلوب مسجع ، أنيق الوشي ، تعج بالأمثال والحكم .

وقد أورد المؤلف آراء المستشرقين والشرقيين في المقامات ، فرأى أن الأولين أخذوا عليها وحدة مغزاها ، ووقوفها عند ابتزاز الأموال على طريقة رخيصة مبتذلة فيها الوضيع والدنيء ، ونقدوها لما بين جنباتها من حب ينكره الذوق السليم وشذوذ يأباه الخلق الكريم ، وأنها قصيرة لا تتصل بالدرامة أو الفاجعة أو غيرهما مما عرف الغربيون في مسرحياتهم وقصصهم وتمثيلهم .

ودافع الدكتور الصديقي عن الحريري ومقاماته ، وذكر الدوافع التي أهابت بصاحبها إلى صنعها ، وبيّن تاريخ ذلك كما انتهى إليه عن سبيل البحث والدرس ، ورسم الأشخاص في المقامة ومصادر ألوانها وحكاياتها ، ثم رأى أن أكثر تلاميذ المقامات يعودون الى الحريري لا إلى البديع في التقليد والاستعارة والاحتذاء ؛ ووجد في أسلوبها طلاوة تسحر الألباب وبلاغة تحيّر العقول ، وأورد هنا كذلك آراء الكتاب والناقدين ، فهي تقتبس من القرآن والحديث وتمتلئ بالجناس الأنيق والسجع الرشيق . وقال إنها مرآة لحياة البصريين الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية ، وضرب الأمثلة على ذلك بنصوص أوردها مشروحة مضبوطة بالشكل ، ووازن بينها وبين مقامات البديع ، فأفصح عن المزايا والسجايا ، ونصب نفسه منصب الخطيب الأريب والمحامي الأديب والكاتب المترسل ليدافع عن

الحريري في حماسة المحبّ وغيرة المخلص ، وذلك لسبب يعلله كاتب المقدمة الأستاذ المفكر أبو الحسن عليّ الحسني الندوي ، معتمد دار العلوم في لكناو ، قال :

«وقد دافع المؤلف عن الحريري مدافعة قوية لأنه من أنصار الحريري المتحمسين له ، وقد يؤخذ هذا عليه كناقد ومؤرخ ، إلا أنه عقيدة وفكرة ، ولا يلام الكاتب على عقيدته وفكرته» ... ثم قال : «وقد كان حقاً على الهند ، وهي التي لم تزل ولا تزال متمسكة بأهداب الحريري في الأسلوب الأدبي وتأثير هذا الكاتب في أساليبها وأوساطها الأدبية معلوم واضح أن تقدم كتاباً لائقاً عن الحريري الذي شغفت به هذا الشغف العظيم ، وقد كان هذا ديْناً عليها» .

وهكذا قام المؤلف الصديقي بوفاء الدين في كتابه ، فقدمه إلى جامعة إله آباد ، وأوفى فيه على الغاية من حيث دراسته وعرضه لآثار الحريري ومخطوطاته ومطبوعاته على غرار المؤلفات الحديثة في جامعات الغرب ، فلم يفته ذكر المصادر ووصف المخطوطات ومظانها . وقد رأينا أنه جمع بين دفتيّ كتابه ما قال القدماء والمحدثون في الحريري ومقاماته وعرض لها بالدرس والموازنة . وكان أسلوبه في ذلك البحث يتصل حيناً بأساليب القدماء من سجع واستعارة واقتباس ، ويتصل أحياناً بالمحدثين المترسلين في البساطة والسهولة .

واذا كنا نحمد للدكتور الصديقي كتابه ، فانما نحمده أولاً ، لأنه صنعه بلغتنا العربية ؛ فجهد في ذلك جهداً كبيراً نعترف به ونشكره عليه ونثني على أياديه فيه ، فقد أراد ان يشركنا في قراءة بحثه وخلاصة درسه ، وكان لنا من ذلك متعة وفائدة ، فأضاف الى مصادرنا المتبعثرة المشتتة عن الحريري مصدراً جامعاً كثير الغناء وافر النفع ، يستوي مع الكتب الناجحة في هذا الباب ، ويستحق به صاحبه أجزل الثواب وأجمل الجزاء .

الجاحظ

تأليف الأستاذ حنا الفاخوري

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ – في مئة صفحة

في هذه المجموعة من تراجم الأعلام في « نوابغ الفكر العربي » عقد الأستاذ حنا الفاخوري فصلاً كبيراً للجاحظ ، إمام الأدب والفكر في أدبنا العربيّ . فصوّر العصر العباسي وما اختلف إليه من فتن وثورات وحروب ومعارك . وعرض للحياة الاجتماعية فتوفر على دراسة الترف والفراغ الذي أصاب الأمة الناشئة ، وما كان من رقيق وغلمان وجوار ، وما نهض من فرق دينية وانعقد من حلقات فكرية ، وما قام من حركة علمية وثقافية ؛ ليرسم التيارات التي كانت تتجاوب في دنيا العراق من علوم الأمم القديمة وثقافاتهم ، وما أفاد العرب منها في النقل والترجمة والاقتباس ، وما قصروا خلال ذلك في ميادين الأدب اليوناني ، ليبلغ بنا إلى حياة هذا الرجل العملاق .

فقد كان الجاحظ يمثل الأديب المثقف والكاتب الاجتماعي ، « وعى في صدره جميع معارف عصره في الأدب والدين والعلم والفلسفة » وأخذ بكل ما وقع له من كتب العرب واليونان والفرس والهنود ، فصاغها ببيانه وعرضها بأسلوبه ، وضرب المثل الرائع للرجل النابغة ، حتى قال فيه أبو هفان : « لم أر قط ولا سمعتُ مَن أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلاّ استوفى قراءته ، كائناً ما كان ، حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر » . وهذه شهادة عظيمة تنطق بفضل الجاحظ ، وتشيد بعقله الراجح وذكائه البالغ ؛ وتجعله صورة للأديب على مدى الأجيال واختلاف الأقطار .

وكتب الجاحظ التي خلفها شاهدة على روعة ثقافته وسعة علمه ؛ وصل بعضها وضاع كثير منها . وهي فيما يقول النقاد تنيف على ثلاثمائة وخمسين كتاباً ،

يدلّ قليلها على فيض أدبه وواسع معرفته ، فهي دائرة معارف كما يقول الغربيون . فيها من كل فن أعجوبة ، ومن كل موضوع جانبه الخطر ، وهي أحرى بأن تنسب إلى عدد عديد من الكتاب ، لكثرة ما فيها من تنع ومعرفة وأدب ، لم تغفل شاردة أو واردة في ثقافة العصر . كأنّ عقله آلة مصوّرة مسجّلة ، ترى وتسمع فتحفظ كل ما ترى وتسمع خلال السنين التي عاشها الجاحظ ، حتى أثقلت ظهره ، فناء بها ووهنت قواه ، فأصيب بفالج ، ألزمه البيت وأسلمه إلى الهرم فالفناء . فأسلم الروح وقد ناهز التسعين ، في منتصف القرن الثالث للهجرة ، وخلّف دويّاً في سمع الدنيا ، وترك آثاراً في خزائننا العربية نزهى بها على الأمم ، ونستصغر أدباء العالم إذا ما جمعوا وأديبنا الكبير في صعيد واحد من رسالة العقل والأدب والحياة .

هذه هي الجوانب التي رسمها الأستاذ الفاخوري في كتابه من حياة الجاحظ ، وأتبعها بفصل عرض فيه مؤلفات الرجل وتناولها بالنقد ، وأبان فضلها وأدبها وفنها ، وأسهب في البيان والتبيين ، والبخلاء ، والتربيع والتدوير ، والحيوان ، ورسائل الجاحظ . وانتهى إلى عرض منتخبات من آثاره هذه ، قدّم لها ، وعلّق عليها ، وشرح غامضها ، فاستوفى البحث ، وأدّى الأمانة . وقد كنا نتمنى على المؤلف أن يتم دراسته بنظرة الغربيين والمستشرقين الى أديبنا ، فيحلّل ويوجز ما وقع منهم في بحوثهم عنه ، كما فعل حين عرض نظرة العرب الى آثاره ؛ وهو حين يفعل ذلك يرشد أبناءنا الى آفاق لا يبلغونها بغير مرشد : بعوج على بروكلمن وغيره من المعاصرين ممن أدرجوا قائمة بمخطوطاته التي لم تطبع ، وآثاره التي لم تنشر ، وذكروا دراسات نافعة فيه تثير همتنا الى بحث جدّي جديد ، لا يعتمد على نظرة العرب فحسب وإنما يتطلع الى نظرة العالم الغربي ، حين يحلّل عباقرته ويستوفي البحث في آثارهم . ولكن هذه الهنة الصغيرة لن تقلّل من أهمية الكتاب الذي وضعه المؤلف واستحق عليه الثناء والشكر .

شاعران معاصران

تأليف الدكتور عمر فرّوخ

بيروت ١٩٥٤ ، في ٢٦٠ صفحة

أما الشاعران فهما ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي ، عاش أولهما في فلسطين ، وعاش ثانيهما في تونس ، فهما يمثلان جناحي هذا العالم العربي مشرقه ومغربه ، تجمع بينهما صفات كثيرة جعلت منهما موضوع كتاب واحد . فقد قضيا في ريعان الشباب ، بعد أن حملا مرضاً خطيراً في جسميهما ، ثم لفظا أنفاسهما في مستشفى أجنبي ، غريبَيْن ، فذاعت شهرتهما بعد موتهما وتناولت شعرهما الصحف والاذاعات نشيداً وغناء ودراسة .

ولد ابراهيم طوقان في صدر القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بنابلس ، من أسرة عريقة في فلسطين وتلقى دروسه الجامعية في الكلية الأمريكية ببيروت ، فلما تخرج منها عاد إليها مدرساً بعض الزمن فما أطاق التدريس فيها ، وتقلّب على غيرها من المدارس بنابلس ، واشتغل في الاذاعة الفلسطينية ، ثم أستاذاً في بغداد . وقضى في المستشفى الفرنسي بالقدس سنة ١٩٤١ ، متأثراً بقرحة في المعدة حملها خلال حياته القصيرة كعمر الورد ، كما قضى فوزي المعلوف وأبو القاسم الشابي ، من قبل . فلم يختلف عنهما ، وانما سلك مسلكهما ليخلف دوياً بعده وأسى لفقده يتساءل الناقد في حرقة أن لو مدّ الله في أجل الشاعر لكان من الأعلام النوابغ ، ولكنها سنة الله في الآجال والأعمار .

وقد عرض المؤلف الدكتور عمر فروخ حياة ابراهيم طوقان في تفصيل دقيق لأنه رافقه في الدراسة والحياة ، وتبادل وإياه الرسائل والكتب ، فبسط لنا من دقائق عيشه ما لا يعرفه إلاّ أقرباؤه المخلصون ، وسرد لنا من حوادث حياته

ما يغفله التاريخ لولاه ، فأثبت نصوصاً من هذه الرسائل دعم بها نقده ووصفه . وذكر من الصحف ماوقف عليه وتجمّع لديه ، فالمؤلف مارس الصحافة وأصدر مجلة «الأمالي» ، لذلك أكثر من الشواهد والدلائل ما يصلح أن يكون تأريخاً للأدب المعاصر في فلسطين ولبنان فوق أنه تأريخ مفصّل لحياة صديقه الشاعر ابراهيم طوقان . ولم يفت الناقد أن يورد مختارات من شعر الشاعر قبل أن ينشر على الناس ديوانه ، فتفرد بذلك وسبق إلى إثبات قصائد في روايات تختلف عما نرى في ديوانه المنشور اليوم ، وقدّم لها وعلّق عليها . وقد عرفنا صدق الوطنية عند شاعرنا ووقوفه للمستعمر الانكليزي في فلسطين وغير فلسطين ، وقرأنا له قصائد وطنية أصبحت اليوم أناشيد للمغرب والشام ولبنان تفيض بالجرأة والصراحة والقوة على أسلوب عربيّ من التفكير وبيان عربيّ في الصيغة والتعبير ، وذلك الى شعر في الغزل جميل رقيق ، وفي الوصف دقيق رشيق . فقد رسم مهنة التعليم التي مارسها بما لا يلحقه في الرسم لاحق ، فغلب عليه طابع السخرية والغمز يلفه بذكاء عبقري ، وسيكون له أثر بعيد في الأدب إذا ما تناول الدارسون ديوانه وأخباره بالتأليف والنقد والتحليل . ولا شك في أن أقوى مصادره يجدها الباحث فيما كتب عنه الدكتور فرّوخ في هذه الصفحات فهي ثمينة قيمة غالية لأنها مذكرات شخصية بين أديبين وزميلين ، نرجو أن ينشر أمثالها لتعيننا على دراسة العصر الحاضر وأدبائه .

وأما أبو القاسم الشابيّ فقد كتب فيه الدكتور فروخ صفحاته عما قرأ في الصحف ودرس في كتاب أبي القاسم محمد كرو عنه ، ولكنه جوّد في عرضها وتلخيص حياته الشقية البائسة . فقد ناضل هذا الشاعر كذلك ضد الفرنسيين وتحمل آلام المرض ومات رحمه الله في المستشفى الإيطالي بتونس عن عمر لا يتجاوز ستاً وعشرين سنة . وقد خلف لنا كذلك ديواناً لما يطبع الى اليوم ،

ولكن مختارات منه ظهرت في مجلة (أبولو)، وجريدة «الامام» للسحرتي بمصر وفي غيرهما من الصحف. وهي تدل على إعجاب الشاعر بأدباء المهجر واتباعه خطواتهم وترسمه المآسي كثير منهم، فأغرق في التشاؤم والصوفية والرمز، فكان صورة لكثير من هذا الشعر الذي تقرؤه في الأدب المهجري. ولكنه تغزل فبكى في أسى وحرقة حبه اليائس البائس على طريقة الرومانتيكين من الفرنسيين. ووصف الطبيعة فأبدع فيها، ولكنه حلق في قصائده الوطنية لأنه استجاب الى داعي النضال في قومه، وراجت اليوم في عالمنا العربي لأنها تصف هذا الصراع الذي يحياه العرب ضد المستعمر. وربما كانت أناشيده في تونس نفسها أشد رواجاً وأمتع في التحليق لموقف أمته في كفاحها لهذه الأيام.

ولا شك في أن الشاعرين «طوقان» و «الشابي» يحملان في ديوانيهما صوراً لمستقبل الشعر العربي تحفز نحو الجديد وتحس بآلام الأمة، وتصف ما يقع تحت بصرها، فتسير نحو الإبداع والاختراع، إلى أن يتاح للجيل المقبل من الشعراء في إكمال خطتها ومتابعة نضالها للوصول بالشعر العربي إلى ذروة الشعر العالمي، ومجاراة الشعر المعاصر في الغرب لكثير من أغراضه.

وقد كشف هذا الكتاب عن كثير من نواحي هذين الشاعرين ورسم دقائق هامة من سيرتها، وأثبت مختارات جميلة من شعرهما، مما ينفع في تأريخ الأدب الحديث، فاستحق مؤلفه ثناء وشكراً ليده وجهده.

الشعر العربي في المهجر

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن

القاهرة ١٩٥٥ ، في ٢٩٥ صفحة

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر نزح كثير من اللبنانيين والسوريين الى البلاد الأمريكية ، انتجاعاً للرزق ، أو هرباً من الظلم ، أو سعياً وراء آفاق جديدة في الحياة ؛ منها الشهرة والحرية ؛ فقد كانت أمريكا تغري بالهجرة ، وترحب باللاجئ وتفتح أمامه دروب الكسب والحياة . فلما هبطها هؤلاء الشرقيون حملوا معهم في صدورهم صور البلاد التي نزحوا منها ولغة الأمة التي نبتوا فيها ، وحب الربوع والأماكن التي عرفت نشأتهم وصباهم . لذلك عاشت أخلاقهم القديمة ومآكلهم المعروفة وحياتهم الموروثة في أقطارهم الجديدة سواء في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .

وكان من ذلك أن تشكلت جاليات عربية في الدنيا الجديدة الى جانب الجاليات الأوروبية ، تتمسك بتقاليدها خلال جيل كامل ، وتنقل عاداتها إلى أبنائها وتورثهم ، جهد الطاقة ، ما ورثت من أغان وسير وآداب . فلما قامت بينهم الصحف والمجلات باللغة العربية راحت تنقل من أحوالهم وتصف ما يقع لهم ، وما يحلو لهم أن يعلموا من أنباء وأخبار ، وما كان شعراؤهم يصوغون من الأشعار .

وكان هذا الشعر عربياً لا يختلف عما كان ينشده إخوانهم وزملاؤهم في المشرق وخاصة في لبنان وسوريا من حيث المعنى والمبنى ، أول الأمر . ثم ما لبث بعضهم أن طرق موضوعات غربية بأسلوب عربي ، كأنه يحاول التجديد . ولكن هذا التجديد نفسه استقى فيما نرى من ينابيع لبنان وسحر الأندلس وصفاء الشام ، واختلف قوة وضعفاً وإشراقاً وعبوساً . وعجز آخر الأمر عن خلق أدب جديد يساير ركب الغرب أو ينافس الآداب الأجنبية للقرن العشرين .

وهكذا أخفقت كثير من هذه المحاولات التي بذلها أبناؤنا في المهجر لاحتلال الذرى وتسلّق جبال الوحي الجديد الغربيّ ، لأن الأجنحة ما تزال لينة ضعيفة لا تعين على النهوض بهذه الأعباء الجسام والتحليق في السماوات الغربية ، ولأن الثقافة الأجنبية لم تتغلغل في صميم هاته القلوب العربية ولم تسر في دماء هؤلاء الشعراء ، فقد كانوا يطيلون الوقوف عند معانينا القديمة ومواضيعنا الجديدة ، وكانوا ينشدون الشعر ليتلى في منابرنا ويذاع في ندواتنا .

وهذا الأدب المهجريّ - إذا صحّ التعبير - جدير بالدراسة والنقد والتأريخ ، فهو يمثل الأدب المخضرم الذي أخذ من القديم كثيراً من مبانيه وأخذ من الجديد كثيراً من معانيه ، فلن يستطيع مؤرخ الأدب أن يجعله في القدماء خالصاً ، ولن يجعله في الغربيين خالصاً كذلك ، وانما هو أدب جديد يجب أن نكشف فيه عن حياة هؤلاء الأعلام وآثارهم وتأثرهم بالأجواء التي عاشوا فيها ، والأهداف التي يرمون اليها ، ويعلنون عنها في مجتمعاتهم ونواديهم وصحفهم .

ولم نقع على كتاب يشبع هذا البحث درساً وتحليلاً ، فيوازن بين الشعر الجديد في سوريا ولبنان وبينه في المهجر ، ذلك لأن الدواوين في المشرق لم تطبع طباعة علمية كاملة ، والشعراء فيه ما يزالون في تردد الخجل يطمحون الى ألوان جديدة يضيفونها إلى دواوينهم لعلها تمثلهم تمثيلاً صحيحاً .

أما في المهجر فقد طبعت هذه الدواوين طباعة مشرقة ملوّنة ، تتيح للناقد أن يختار منها وأن يتناولها بالدرس والبحث ، وهذه كانت مهمة هذا الكتاب الذي سطّره الشاعر الناقد الأستاذ محمد عبد الغني حسن . فقد جمع «باقات من الشعر» على حد تعبيره ، لكل شاعر عربي من الأمريكتين ، وعرضها عرضاً في هذا الكتاب لتمثل كثيراً من الألوان التي طرقها شعراء المهجر ، وقدّم بين يدي كل باقة عطرة بما كان لصاحبها من نشأة وثقافة واطلاع ، في

سطور تتجاوز الصفحتين والثلاث أحياناً لترجمة كل شاعر منهم . فهي أقرب الى التعريف بهؤلاء الشعراء والتنويه بأسمهم .

وقدّم بين يدي ذلك كلّه بدراسة نقدية تقارب المئة من الصفحات ، عرض فيها لتأثر هؤلاء الشعراء بالمعاني الغربية والعربية وبسط ما للدين والتصوف والضحك والبكاء من صور في شعرهم وأثر في تفكيرهم . ثم تناول الأوزان والأساليب وتساءل عن الحياة المادية في أمريكا ونفوذها إلى شعرهم ، وانتهى إلى رغبة كثير منهم في التفلت من القيود والتسامح في اللغة ، «وارتكاب الضرورات التي لا يلجأ اليها الشعراء المحافظون إلاّ كارهين» .

وقد يخرج القارئ من هذه المقدمة البارعة الى صورة تشبه صورة الشعر اللبناني والسوري في المشرق في جملتها . فكأن هؤلاء الشعراء لم يفارقوا ذرى لبنان ووديان الشام ، ولم يبرحوا الوطن ولم يستظلوا بناطحات السحاب ، وفي ذلك فضل لا ينتقصه منصف : هو أنهم حافظوا على لغة الأجداد ونظموا في قوافيهم وأوزانهم ، وعكفوا على صورهم وتشبيهاتهم ، لأنهم عاشوا مع الكتب القديمة والدواوين في بيوتهم ، وعكفوا على التجارة وكسب الرزق في ميادين الحياة الأمريكية . فلم يخلصوا من شعر المناسبات في رثاء ومديح ووصف ، ولم يخرجوا عن تقاليد المشرق في تحية الزعماء وتأبين المخلصين والقادة ، فاشتركوا في حياة الأمة العربية على ما بين الوطن والمهجر من فرق في المسافة والمكان والأغراض .

ولذلك كان من فضل الناقد المؤلف أنه أرّخ لهذا الجناح من الشعر العربيّ المعاصر قبل أن يكتب ناقد في الجناح الشرقي ؛ فأفاض في الاعجاب بلغتهم وأسلوبهم ومعانيهم وقد خالف في ذلك رأي الشاعر عزيز أباظة شريكه في تقديم هذا الكتاب . ومن العجيب أن يشترك شاعران في بحث منشور وأن يختلفا الى أبعد حدود الاختلاف ، فقد رأى الشاعر أباظة ان «شعراء المهجر لم يفتحوا آفاقاً جديدة في الفن عجز عن الصعود اليها اخوانهم في لبنان ، وأن

الأدب المهجري لم يتبلور بعد ، ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم، بحيث يفرد له أثر بعيد المدى في تطور الأدب العربي المعاصر » .

والشاعر أباظة يجد أن الشعر المهجري كالشعر الأمريكي بالنسبة إلى موطنه الأول ، فان الأدب الأمريكي لم يبلغ بعد مرحلة التألق وان كان في طريقه اليها .

وبعد ، فلا شك في أن هذا الكتاب خطوة جريئة في زمم مختارات لهؤلاء الشعراء تتصدرها سطور في تعريفهم وتتقدمها صفحات في وصف أدبهم ، ترجو أن تتبعها خطوات علمية في تأريخ هؤلاء الأدباء وبسط مراحل عيشهم ، والموازنة بينهم في الشمال والجنوب ، والبحث عن أثر ثقافتهم ونشأتهم في أدبهم ، وتطور هذا الشعر في مراحل حياتهم ، فليس من الخير أن نعيش معاصرين من غير أن نسجل الرأي ونسطر النقد ، فنظلم الجيل وأدباءه . وعلينا أن نتأثر القدماء فنعقد الموازنة والوساطة والمفاضلة لشعراء عصرنا قبل أن يعفي النسيان وتخون الذاكرة وتضيع النصوص . ولهذا يستحق الأستاذ المؤلف محمد عبد الغني حسن كل شكر وثناء .

الموشحات الأندلسية

تأليف الدكتور فؤاد رجائي

حلب ١٩٥٥ ، في ١٣٦ + ٢٤٠ صفحة من القطع الكبير

قبل أن يخضر القرن الأول للهجرة ، أقدم العرب على فتح الأندلس ، وتم لهم بذلك ملك ربوع كثيرة من آسيا وافريقيا وبعض أوربا . فتوسعت رقعة الحكم ، وشاع الغنى وكثر الترف ، وانصرف الأدباء إلى النشيد والغناء ، يرسلون قصائدهم في بحور كثيرة من الشعر . فلما ضاقت بهم هذه البحور اخترعوا

«الموشح» متأثرين بالموسيقا والغناء ، كأنهم عرفوا مفتاح الاختراع في العروض فقلدوا الخليل وساروا على خطاه وجددوا فأضافوا إلى الأوزان المتداولة شعراً لا يحده وزن واحد أو عروض واحدة ، فهو واسع كالبحر نفسه يخوض فيه القائلون بحرية واسعة معتمدين على اللحن والآلات . وهذا الفن الجديد نما في الأندلس وترعرع في غيطانه ورياضه وقرب جداوله ، فكان له رواج كبير سجل في أدبنا صفحات لامعة جديرة بالدراسة والنقد والتأريخ . وقد انصرف القدماء اليه فألف ابن سناء الملك «دار الطراز» وكتب الصفي الحلي كتاباً في فنونه ، وأنشأ غيرهما في التعريف به وتأريخه ، حتى كان العصر الحاضر فالتفت المستشرقون إلى دراسته وفيهم «هارتمان» وغيره ، وكان من الخير أن يكتب الدارسون عندنا في الإشارة اليه ، والبحث فيه ، والتعرض لموسيقاه .

ومن خير الكتب المتأخرة التي صدرت في بابه هذا الكتاب ، ألفه طبيب وقف درسه على الجراحة ، وانتقل منها إلى الأنغام ، فعشق الموشح وأخذ به ، وأراد أن يعود مع الماضي الى نشأته وتطوره فكان منه هذا التأليف الطريف . جعل فصوله الأولى للتاريخ العربي في الأندلس ، فبسط الفتح والحكم والدول ، وعرض للأمويين ثم العباسيين ليرسم ملوك الطوائف في تفصيل يكاد يستنفد ما في تواريخنا المطبوعة في الشرق ، وذلك ليبلغ إلى الحديث عن الشعر في هذه الربوع ، فقد نقل عن القزويني قوله : «قل أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب ، ولو مررت بفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وفي أي معنى طلبته منه» . وضرب الأمثلة لهذا الشعر في العهود كلها حتى سقطت غرناطة في يد الاسبان سنة ٨٩٧ هـ ، في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد .

وانتهى إلى أن «زرياب» وفد على الأندلس قادماً من العراق ليحمل إلى إخوانه في الفردوس الجديد مواهبه وعبقريته في الموسيقا ، فأضاف الى ما عندهم

قاعدة جديدة في الغناء ووضع القواعد في تعليمه فكأنه أنشأ أول معهد موسيقي في هذه البلاد ، ثم بيّن فضل الرجل على اختراع الموشح في الأندلس .

وعقد المؤلف فصولاً في الإيقاع واللحن والغناء ، وفصّل الأمر فيها حتى استوفى ما يريد من براهينه الموسيقية وأوزانه الغنائية ، لينتهي إلى تقطيعه وأقفاله وأغصانه وما يرافق ذلك من الألحان في أمثلة شعرية جميلة موفقة ، فاستغرق بذلك القسم الأول من كتابه في ١٣٦ صفحة .

وقد جعل القسم الثاني لإثبات نصوص الموشحات مع رسم ألحانها بالعلامات الموسيقية الغربية (النوتة) تقريباً لها من أذهان الغربيين والمستشرقين الذين يريدون أن يطلعوا على موسيقانا العربية وشعرنا القديم الذي كان يغنّى ، وفن الموشح ، ليؤمنوا أن العرب شاركوا في بناء الموسيقا العالمية ، وهدفوا الى رفعتها خلال حضارتهم ونهضتهم . وهذا الرسم الموسيقي دوّنه السيد نديم علي الدرويش ، فخدم بذلك الموشح في ميدانه الموسيقي وعمل مع زميله على نجاح الكتاب .

ولذلك نرجو لهذا المؤلف رواجاً عند أبنائنا ، يتطلّعون فيه الى اختراع الأجداد في الموشح وبراعتهم في فنونه ، ويقرءون هذا الشعر المختار الرقيق ، وينظرون الى الألحان والموسيقا نظرتهم الى تراث قديم يجب أن نعمل على رعايته وحفظه وبعثه والاعتزاز به ، وشكر من يقوم بالكتابة فيه . وفّق الله المؤلف الدكتور رجائي إلى ما فيه رفعة الموسيقا العربية ، وجزاه خيراً على ما بذل من مال وجهد .

الشيخ نجيب الحداد

تأليف الأستاذ عادل الغضبان

دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ – صفحاته ١١٠

راجت في السنين الأخيرة طريقة جديدة في الترجمة لأعلامنا لم تكن من قبل . فقد قام في الشام ولبنان مؤلفون يكتبون في القدماء والمحدثين سِيَر الأدباء والفلاسفة والمؤرخين على نمط من التحقيق العلمي يستثير الإعجاب . فيه وصف للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية التي عاش فيها هؤلاء الأعلام ، وفيه بسط لدقائق هذه الحياة ، واعتماد على نصوص قديمة وحديثة تتكئ على الاستقراء والاستنباط كما يفعل الغربيون سواء بسواء . من ذلك ما ألف الأستاذ خليل مردم بك في الفرزدق وجرير وغيرهما ، وما ألف المرحوم الجندي في ابن المقفع وامرئ القيس ، وما كتب الأستاذ فؤاد البستاني في سلسلة الروائع . وقد أرادت دار المعارف في مصر أن تقوم بنصيبها في ترجمة الأعلام والتأليف في سيرة حياتهم ، فكان منها مجموعة صالحة ، فيها هذا الكتاب .

رسم فيه مؤلفه الأستاذ عادل الغضبان الحركة السياسية للنصف الثاني من القرن التاسع عشر في لبنان وسوريا ، فوصف الحال التي كانت تسيطر على هذه الربوع ، وعرض للنفوذ الأجنبي فيها وما كانت تقاسيه الأمة العربية من احتلال واختلال وضنك وبؤس وضيق . فقد تعاور عليها ظلم الأتراك والانكليز والفرنسيين ، وفت في عضدها فتن وقلاقل وثورات ومذابح ، اضطرت كثيراً من المفكرين إلى أن ينزحوا إلى مصر ، ففيها معان جديدة من حرية وحقوق ونظم للحكم جاءت عن سبيل اتصالها بالغرب ، فجرت فيها الأقلام وسالت فيها القصائد وراجت فيها الصحف ، وقامت مسارح التمثيل ، وانتشرت الترجمة ، فظفرت المكتبة العربية بنفائس من كتب الغرب ، واتسعت آفاق المعرفة في

القطر المصري ، وتوفرت المطبعة على إخراج كثير من الكتب نفعت المتعلمين وزادت في عدد المثقفين ، فكان نشاط كبير يبشر بخير للغة العربية وأبنائها .

وكان في جملة الوافدين إلى أرض الكنانة أسرة الحداد ، فدخل الصبي نجيب الحداد مدرسة الفرير بالاسكندرية ، وعاد مع أهله الى لبنان حين اندلعت الثورة العرابية فأكمل علومه ببيروت ، ثم عين أستاذاً للعربية والفرنسية في بعلبك ، ولكنه بعد عام واحد أجاب دعوة صاحب «الاهرام» بالاسكندرية ، فهجر الى مصر ، يكتب في الجريدة ويترجم زهاء تسع سنوات ، ينشئ بعدها جريدة «لسان العرب» مع أخيه وصديق له . وينصرف إلى الكتابة في الصحف والمجلات والتأليف والترجمة ونظم الشعر ، في جد وكفاح ليعيش مما يدره عليه قلمه إلى أن أنهكه العمل ، فدب الى صدره الداء حتى غلب العلم ، وطغا عليه فأسلم صاحبه الى الموت (في شهر شباط سنة ١٨٩٩) ، وهو في ربيع العمر لم يتجاوز الثانية والثلاثين من سنه . صرفها في الدرس والتحصيل والتأليف والترجمة ، رفيقاً للمحابر والأوراق ، يصحبها نهاره وأكثر ليله ، ليخلف في الأدب الحديث صفحات تنطق بنبوغه ومواهبه ، وتخلده في ركب النوابغ ، وتحله من أسرته محل الوارث الأمين ، فقد كان أبوه شاعراً للأمير بشير الكبير ، وأمه من بيت اليازجي ابنة الشيخ ناصيف . فأخذ عن هذين البيتين فضيلة الكتابة ونعمة الفهم ، وتأثر خطواتها ، كما فعل النوابغ من شعرائنا القدماء يروون لغيرهم ثم يروي عنهم الشعراء والأدباء .

كذلك كان نجيب الحداد ، إذ خلف ديواناً من الشعر هو «تذكار الصبا» وقصصاً وروايات تمثيلية تبلغ الثلاثين عدداً في عدد السنين التي عاش ، فكأنه بعد العشرين جعل لكل سنة ثلاثة من الكتب عدا ما كان منه من مقالات ومقطعات . ويبدو أن النثر والشعر اجتمعا في نصرة عبقريته لجملاء في الكتاب والشعراء المرموقين لعصره وبعد عصره ، فهو مشرق الديباجة في نثره وتأليفه

يترجم كما ينشئ ويكتب كما ينظم في سليقة وإبداع وفطرة وبديهة، ويتناول مواضيع شتى من سياسة واجتماع وتمثيل، فيشارك المصريين الوطنيين في عاطفتهم ضدّ المحتل، وينهض بعبء الكاتب الاجتماعي الذي يصوّر المفاسد ويقترح السبل الرشيدة لحياة حميدة سعيدة.

وأظهر ما في آثاره ديوانه، فقد كان فيه مجدداً، يجمع بين الفكرة الطريفة والأسلوب المتين، فينشد شعره في خلجات النفس ونجوى الفؤاد. فيؤدي ما لقلبه عليه من دين وما لشعوره عنده من هزة، ويروي غليل المثقف الطموح فينشئ في المسرحية شعراً نراه من أوائل الأعلام الذين اشتهروا في أدبنا الحديث.

وينتهي المطاف بالشاعر عادل الغضبان وهو يتحدث عن الشاعر الكاتب نجيب الحداد بعد أن يستوفي الكلام في أربعين صفحة، ليختار من آثاره ويعرض من نتاجه، في ذوق لطيف وعرض جميل، يحليه بالتعليق، والتفسير، والشرح، والموازنة، والتقديم، فيبلغ بستين صفحة ما رسمه لكتابه. ويخرج القارئ من هذه الصفحات وهو على وقوف تام من حياة العصر والرجل وآثاره؛ لا تفوته غاية ولا ينقص عليه تقصير، فقد كتبت في أسلوب الأديب المحقق، ورشاقة الشاعر الأريب، وبلاغة الناقد المتعمق، وإحاطة المؤرخ الأمين، لذلك نشكر له يده في التأليف وبراعتـه في الترجمة ونستزيده في العمل لهؤلاء الأعلام، جزاه الله عن العربية كل الخير.

الدكتور سامي الدهان

تاريخ مصر ١٣٨٢ - ١٤٦٩

القسم الثاني ١٣٩٩ — ١٤١١

ترجه الى الانكليزية من حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي
الأستاذ وليم بوبر William Popper
مطبعة جامعة كاليفورنيا ١٩٥٤

بين يدينا القسم الثاني من تاريخ مصر الذي ترجمه الى الانكليزية الأستاذ وليم بوبر ويتضمن حوادث ١٣٩٩ الى ١٤١١ في حوليات أبي المحاسن بن تغري بردي المعروفة باسم «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» . وكنا أتينا في (ص ١٥٠ جزء ١ مجلد ٣٠) على ذكر القسم الأول من الفترة التي يقوم الأستاذ بوبر بنقلها الى الانكليزية وتبدأ في ١٣٨٢ أي بحكم السلطان برقوق أول السلاطين البرجية أو الشراكسة . وقد نشرت جامعة كاليفورنيا هذا القسم الثاني كما نشرت القسم الأول في سلسلة منشوراتها في الفيلولوجيا السامية .

يشتمل كتاب النجوم الزاهرة على تاريخ مصر منذ الفتح الاسلامي حتى عام ١٤٦٩ وهي السنة التي سبقت موت المؤلف . غير أن المترجم الأميركي اقتصر على نقل القسم الأخير من هذا التاريخ الى الانكليزية وهو القسم الذي شهد المؤلف معظم حوادثه بنفسه وقد أراد المترجم أن يقدم الى قراء الانكليزية نموذجاً من كتابة التاريخ عند العرب من قبل مؤلف مطلع على العصر الذي يكتب عنه . ويتناول هذا القسم الثاني الذي بين يدينا حكم الملك الناصر فرج (١٣٩٩ — ١٤١١) وينتهي بمقتله ومن الحوادث التي يرويها بالتفصيل دخول تيمورلنك الى حلب ودمشق والفظائع التي رافقت دخول الفاتح المغولي .

وقد أخذ المترجم المواد التي ترجمها عن المجلد السادس للنجوم الزاهرة ولكنه لم يذكر الطبعة العربية التي أخذ عنها وربما كانت طبعة جامعة كاليفورنيا .

ووضع المترجم أرقام صفحات الأصل المصري في الحواشي وكذلك تاريخ الحوادث بالسنين والشهور الميلادية كما وضع في رأس كل صفحة تاريخ السنة الهجرية التي تحصل فيها الحوادث واسم السلطان الحاكم . وهوامش الترجمة خالية من الايضاحات والتفاسير المتعلقة بالمصطلحات الواردة في النص ، وفيما سوى ذلك فان الترجمة دقيقة مضبوطة والطباعة متقنة . ولعل المترجم ترك الفهارس اللازمة بأسماء الأعلام والمواضيع والأماكن للجزء الأخير لأن الجزئين الأولين ليس فيهما فهارس .

جورج حداد

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

الناشر : هلموت ريتر

طبع في استنبول بمطبعة الحكومة ١٩٥٤

ان كل مشتغل بعلوم البلاغة ليتقبل هذه النشرة الكثيرة الفوائد بقبول حسن لما فيها من التصحيح والتصويب ، وقد أشار في خاتمة مقدمته الانكليزية الى نشرة المنار المصرية الأولى والثانية لأسرار البلاغة ، وذكر المخطوطة الطرابلسية التي اعتمد عليها صاحب المنار ، وما قام به الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وصاحب المنار والشنقيطي من تصحيح هذه المخطوطة وتقويم عباراتها ، بعد معارضتها بنسخة أخرى من الأسرار وجدت في احدى دور الكتب الاستنبولية ، ولم يعين صاحب المنار هذه النسخة ؛ وأما الناشر الفاضل ريتر فقد اعتمد في نشر أسرار البلاغة على مخطوطات أربع ، أقدمها مخطوطة خسرو باشا التي رمز اليها بحرف H ، وقد كتبت في جبل الصالحية بدمشق سنة ٦٦٠ للهجرة ، واتخذها أصلاً لهذه النشرة الحديثة ، وما بها من نقص أكمله من المخطوطات الثلاث المنقولة عن هذه النسخة الوالدة . .

والمخطوطات الثلاث الأخرى هي: مخطوطة فيض الله المنسوخة سنة ٩٤٧ هجرية، وقد رمز لها بحرف F ، والثانية المخطوطة الحميدية ، وقد رمز لها بحرف D ، وهي مجموعة كتب ثلاثة أحدها أسرار البلاغة المكتوبة سنة ٩٤٢ هجرية ، والثالثة مخطوطة مراد ملا المرموز لها بحرف L ، وقد كتبت ما بين القرنين التاسع والعاشر للهجرة ، وقد أشار الناشر الى هذه المخطوطات بحروفها الرمزية والى عباراتها المختلفة بدقة بالغة . وان لم يبين أحياناً لنا العبارة الصحيحة التي هي أشبه بأسلوب الجرجاني ، وأوضح لمعناه ؛ وكثيراً ما يجد الإنسان عبارة المنار التي صححها الأستاذ الإمام موافقة للنسخة المسروبة الأصلية ، أو هي أقوم قيلا .

وأما شواهد الاسرار فقد أرجعها الى دواوينها وقائليها ، وذكر أسباب قولها مع ترجمة وجيزة لكل شاعر وتاريخ وفاته ، وان لم يوجد البيت الشاهد في الديوان نبه على ذلك ، ويدلك على ما لقيه الناشر من جهد ونصب في تحقيق الاسرار ذكره للشاهد في مظانه العلمية والأدبية مع بيان الصفحات ، وقد يبلغ عدد هذه المظان نحو الثلاثين ، مما يدل على أن الناشر كعادة المستشرقين قد احتشد لهذه النشرة بذكر اختلاف النسخ الأربع ، وبترقيم الشواهد الشعرية لإحصائها ، وترقيم سطور النص في كل صفحة بوضع رقم لكل ثلاثة أسطر ليسهل الرجوع الى عبارات النسخ الأربع المعتمدة ، مع العناية بالفهارس الدراسية التي تيسر الدرس والمراجعة ، منها جدول للتصويبات والاستدراكات ، وفهرس للشعراء مع صفحات شواهدهم ، وفهرس للأشخاص الذين مر ذكرهم ، وفهرس لصدور الأبيات وآخر لقوافيها مما يوقع الباحث على ما ينشده ، وفهرس للآيات وآخر للأحاديث والأمثال والحكم وأقوال الناس ، وفهرس لأسماء الكتب المذكورة في الحواشي .

ومما نستدركه على جدول استدراكاته تصحيحه لضبط بيت المرقش الأكبر :

النشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكفّ عنمْ

فهو في الكتاب هكذا صحيح الضبط الشعري ، لا النحوي ، لأن (دنانير) ممنوعة من الصرف ، وقد رأى الناشر أن البيت مخالف لقواعد النحو فحذف التنوين من دنانير ، وهي مصروفة لوزن الشعر ، والرواية على صرفها .

وذكرنا أن المستشرقين يهتمون الاهتمام كله بجمع النسخ المختلفة ـ كما كان دأب سلفنا العربي الصالح ـ وبذكر اختلاف عبارات هذه النسخ المعتمدة ، وجلّهم لا يهتم بترجيح العبارة القوية التي تلائم المعنى العلمي الصحيح ، ونظلم الناشر إن اطلقنا عليه هذا القول ، إلا انه مما سها عن ترجيحه لتصحيح المتن وتوضيحه ما جاء في الصفحة الثامنة نذكره على سبيل المثال : « فقد تبين لك ان ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن ، ولما وجد فيه معيب مستهجن » هذا هو نص النسخة الخسروية بتقديم (إلا) على (مستحسن) ، وفي النشرة المنارية هكذا : « ... لما وجد فيه مستحسن ، ولما وجد فيه إلا معيب مستهجن » وعليه المعنى الصحيح .

وهذه النشرة أصح بجملتها متناً من النشرة المنارية ، وأذكر لك على سبيل المثال ما جاء في النشرتين نشرة المنار وهذه النشرة من القول بعد بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا   أبو أمه حيٌّ ابوه يقاربه

ففي نشرة المنار : « فانظر أيتصور أن يكون ذلك للفظ من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشياً غريباً أو سوقياً ضعيفاً ، أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر ... » وعبارة الخسروية في هذه النشرة : « ... أيتصور أن يكون ذمُّك للفظ ... » وهو أجلى وأعلى ، وقد يكون من غموض التعبير بحثك عن مرجع المشار اليه والضمير .

ومن السهو في شكل المتن قوله في الصفحة ١٨ والسطر الثامن : « انصرفتَ عن ظنك الأول ، وزلتَ عن الذي سبق من التخيّل » والصواب (وزُلتَ) بضم الزاي لأنها بمعنى تحوّلت ؛ وكنا نتمنى لو أن الناشر عني بنقط الياءات

للتفريق بين (علي) العلم و (على) حرف الجر فيضع نقطتين تحت الياء المسبوقة بكسرة ، والمفتوح ما قبلها يجرّد من النقط ، كما ينقط الياء المسبوقة بسكون ، ولكنه جرّد الياءات كلها من النقط مثاله (٢١/١٢) : « وكأنها الديباج الخسرواني في مرأى الأبصار ، ووشي اليمن منشوراً على أذرع التجار » .

هذا ولا يزال كثير من عبارات المتن التي قوّمها التصحيح بمعارضة النسخ بالخسروية في حاجة الى شرح ينير لطلاب الآداب ما غمض عليهم من معاني الكتاب ، وذلك لا يمنعنا من الثناء الأطيب على هذا المستشرق المولع بنشر آثار أجدادنا ، وقد عرفناه بآثاره الممتعة ، وببيض أياديه على الأدب العربي ، وله بهذا الكتاب الذي بذل جهاداه في نشره الحسن فضل مذكور وسعي مشكور .

التنوخي

محاضرات في اقتصاديات سورية .

للدكتور أحمد السمان

نشر معهد الدراسات العربية العالية ، الملحق بجامعة الدول العربية محاضرات في «اقتصاديات سورية» ألقاها الدكتور أحمد السمان مدير معهد الحقوق ، وأستاذ علم الاقتصاد ورئيس الجامعة السورية بالوكالة ، على طلبة قسم الدراسات الاقتصادية والاجتماعية العالية في الجامعة العربية ، بحث فيها عن الحياة الزراعية والصناعية ، والتجارية ، والنقدية في سورية ، والتعاون الاقتصادي العربي .

وقد خص الزراعة السورية ببحث عن الأراضي السورية والأراضي المستثمرة منها ، وتربتها ونسبة أمطارها ، وكمية مياه أنهارها ، وطريقة الاستثمار ، والملكية الشائعة ، وعدد سكانها ، وبين أعمال الحكومة في مساعدة الزراعة من الوجهة المالية ، وتوسيع شبكة الري ، ومقدار الإنتاج الزراعي من الحبوب والبقول

والقطن والتبغ والشمندر والزيتون والخضر والفاكهة ، وذلك من المصادر الحكومية ، وقد أجاد في بحث ذلك .

وبحث عن الصناعة السورية الفتية ، واستعرض بإيجاز في الألفاظ ، وكثير من المعاني ضرر الانتداب الماضي على البلاد ، وفوائد الاستقلال الوطني ، وعن إعفاء الآلات الصناعية المستوردة ، وخواص الأراضي السورية ، وإمكانية وجود البترول ، وضرورة زيادة القوة الكهربائية ، وقلة رؤوس الأموال التي سببت ارتفاع فوائد الديون ، وغلاء أسعار الوقود وبين أنواع الصناعة الرئيسية في البلاد كالمطاحن والقونسروة والزيوت والسكر والتبغ والاسمنت والزجاج ، والغزل والنسيج وصناعات صغيرة أخرى ، وإنتاج كل منها ، وقد شكا من ضيق الأسواق ، وارتفاع أسعار الانتاج ، الأمر الذي حال دون مزاحمته للانتاج الأجنبي ، ودون تصديره كما ينبغي ، وقد كان موفقاً في هذا البحث الدقيق ، ولعل الحكومة تزيد في اهتمامها ، بفتح أسواق جديدة للصناعة السورية .

ولما بحث عن التجارة السورية ، ذكر المصاعب التي أوجدها الانتداب ، وأن الانتداب كان همه بسط السلطان السيامي ، والاحتفاظ بالبلاد للانتاج الفرنسي ، ثم بين المقادير المصدرة والمستوردة ، وان الجمارك كانت للحصول على الأموال ، لإملاء صندوق المفوضية الفرنسية ، على أن الحكومة السورية عندما استقلت صارت تعقد الاتفاقات التجارية ، وخاصة الاتفاقات التي عقدتها مع البلاد العربية ، وأنها أحيت مرفأ اللاذقية ، وأصدرت المرسوم رقم ١٥١ الذي عود التاجر السوري على الاتصال المباشر مع الأسواق الخارجية .

ثم أفرد بحثاً عن العلاقات الاقتصادية بين سورية ولبنان ، واستعرضها منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى انتهائه ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم ، وأوجز الاتفاقات التي جرت بين الطرفين ، وهو يحبذ قيام اتحاد اقتصادي بينهما يلائم

مصالح البلدين ، وهذا ولا ريب خير للطرفين ، إنما تنفيذه يحتاج الى وقت تتقارب فيه القلوب ، ويقتنع كل من الفريقين بفائدة ذلك الاتحاد .

ثم بحث عن النقد السوري من أول الاحتلال الفرنسي ، حتى انتهائه ، وكيف وضعت فرنسا يدها على القطع الأجنبي الذي كان الحلفاء أعطوه الى مكتب القطع ، لأخذ ورق نقدي سوري بدلاً منه لصرفه في البلاد ، وكيف أن فرنسا أوعزت الى مصرف سورية ولبنان سنة ١٩٤٨ فأعلن أن الليرة السورية قد فقدت قوتها الايرائية في لبنان ، وأن الحكومة السورية قامت بما يجب عليها لجعل النقد السوري قوياً ، وصالحاً لإقامة نظام اقتصادي . وهذا هو واقع الحال .

وأنهى الدكتور السمان محاضراته بالبحث عن الوحدة الاقتصادية العربية ، واستعرض المباحثات التي جرت بين الحكومات العربية ، ثم قال بضرورة الوحدة الاقتصادية العربية ، لرفع مستوى العرب الاقتصادي والسياسي ، وإني أعتقد أن البلاد العربية تحتاج الى استقرار وهذا لا يكون إلا بالوحدة الاقتصادية والسياسية معاً .

الحق إن الدكتور السمان كان موفقاً في محاضراته هذه ، وقد كانت مادتها جزيلة وإن الحلول التي قال بها هي الحلول المعقولة ، ورجاؤنا أن تعيرها الحكومات العربية أذناً صاغية ، لأن البلاد العربية في أشد الحاجة الى إصلاحات جمة ، وأولها الإصلاح الاقتصادي ، ضمن الوحدة الاقتصادية العربية ، وحتى السياسية ، إذ يكفينا هذا الفقر ، وهذا التباعد في أمة واحدة ، بينما نجد الشعوب الأجنبية المتعادية بالأمس ، قد أصبحت اليوم تتكتل اقتصادياً وسياسياً .

منير الشريف

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ١٥ كانون الأول سنه ١٩٥٥ برياسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين . وقد صدرت ستة مراسيم بإقرار انتخابهم وتعيينهم . وهذه أسماؤهم وأسماء أقطارهم مع تاريخ مراسيمهم وتعيين أرقامها :

الاسم	القطر	تاريخ المرسوم	رقمه
الأستاذ عبد الله كنون	مراكش	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٠
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤١
الأستاذ س . ديدرنغ	السويد	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٢
الدكتور بيارد ضودج	الولايات المتحدة الأميركية	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٣
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	تونس	٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٥٦	٣٤٤
الأستاذ علال الفاسي	مراكش	٢٩ شباط سنة ١٩٥٦	١٠٤٥

وفاة الشيخ سعيد العرفي

(١٨٩٦ ـ ١٩٥٦)

فقد المجمع العلمي العربي عزيزاً من أعضائه المراسلين هو الشيخ سعيد العرفي مفتي الفرات .

ولد الفقيد في مدينة دير الزور سنة ١٨٩٦ وطلب العلم بها وبعد الانتهاء من الدراسة الرشدية سنة ١٩٠٩ دخل المدرسة العلمية وأخذ الإجازة بالعلوم النقلية والعقلية سنة ١٩١٦ من رئيس المدرسين بها الشيخ حسين الأزهري مفتي الفرات السابق .

وحضر على مشايخ من أنحاء شتى وأخذ إجازتهم منهم الشيخ بدر الدين الحسني بدمشق وشيخ الشافعية في مصر والشيخ محمد النجدي من هيئة كبار العلماء في الأزهر . وكان مع ثقافته العربية يعرف اللغة التركية .

عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في دير الزور سنة ١٩١٨ ومحامياً للخزينة سنة ١٩٢١ والمدرس الأول وفي سنة ١٩٣٣ عين رئيس لجنة أوقاف الفرات والجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ انتخب نائباً عن دير الزور في المجلس النيابي . وفي سنة ١٩٣٩ انتخب مفتياً لمحافظة الفرات . وفي سنة ١٩٤٢ انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي . كما انتخب رئيساً لمجلس الأوقاف الأعلى في إحدى دوراته سنة ١٩٥٠ .

وله عدة مؤلفات منها سيرة خالد بن الوليد ، واللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية . ومما لم يطبع من مؤلفاته تفسير القرآن ، ورسالة في الدفاع عن الفلاسفة وغيرها . وتوفي في ٢١ آذار سنة ١٩٥٦ .

عُرف الفقيد بالعلم والإخلاص والجرأة . ومواقفه الوطنية وما لقي في سبيلها من الاضطهاد في أيام الانتداب معروف .

رحمه الله رحمة واسعة .

رأي في تفسير اللزومية السادسة والخمسين

في العدد السابق من هـذه المجلة الشطر الثاني من تعليقات واستدراكات الدكتور عبد الوهاب عزام على شرح لزوم ما لا يلزم الذي ألفه الدكتور طه حسين والأستاذ ابراهيم الأبياري وقد جاء في العدد المذكور ص ١٤٨ ما يلي :

اللزومية السادسة والخمسون

أقروا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبيٌّ ولا كتابُ
ووطء بناتنا حل مباح رويدكم فقد بطل العتابُ

يقول الشارح :

« وظاهر أنه يشير الى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب السماوية والتشكيك فيها . والوطء النكاح ، ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج الخ» .

ويعلق على ذلك الدكتور عزام بما يلي :

وأنا لا أذهب الى أن الشارح لا يعرف فرق ما بين الخوارج والباطنية ، ولا يدري عقيدة الخوارج وأحسبه أراد بالخوارج الخارجين على الدين ، لا الفرقة المعروفة في تاريخنا ! ولكني آخذ عليه استعمال كلمة الخوارج هنا فيما قصد اليه ، ففيها تضليل للقارئ أو جلب تهمة الجهل الى الشارح .

هذا ما علاه الدكتور عبد الوهاب عزام .

* * *

وقد تراءى لي معنى غير ما تقدم أحببت عرضه على القراء :

فالشطر الأول من اللزومية (أقروا بالإله وأثبتوه) . فالذين يثبتون الإله ويقرون به يبعد جداً أن لا يقروا بالأنبياء والكتب المنزلة ، ولذلك أرى أن يقدر الخبر في الشطر الثاني هكذا : (وقالوا لا نبيٌّ) بعد نبينا (ولا كتابُ)

مع قرآننا أو نحو ذلك . والمعري يريد بذلك التعريض بجماعة من الفقهاء يقرون بالإله ويقولون لا نبيّ بعد نبينا ولا كتاب مع قرآننا ثم يأتون بعد ذلك بما يخالف قولهم وعقيدتهم فيقعون في التناقض ويجحدون بما آمنوا به ، ولذلك يقول في آخر اللزومية (رويدكم فقد بطل العتاب) فلا كلام مع هذه الجماعة .

أما حل وطء البنت فالقرآن الكريم يقول (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم) إلى آخر الآية .

ولكن بعض الفقهاء بحثوا في البنت التي تولد من سفاح هل هي بنت شرعية أم لا ؟ فقد نفوا ذلك وجعلوها غريبة عن أبيها ، وبنوا على ذلك جواز نكاح الأب لها وتزوجه بها ، وقد أثار ذلك نقداً لاذعاً من الفقهاء الآخرين عن لا يقولون بهذا القول .

والمعري كان من هؤلاء الناقدين في هذه اللزومية . ولكنه سلك مسلك الإبهام في نقده خوفاً من قيام الفقهاء عليه .

وقد أشار لهذا النقد الزمخشري في قصيدته التي يقول فيها :

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلمُ
فإن حنفياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرمُ
وإن مالكياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب ، وهم همُ
وإن شافعياً قلت ، قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرمُ

الى أن يقول :

تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فما أحد من ألسن الناس يسلمُ

وبعد فإني أرى أن المعري المتوفى سنة (٤٤٩) يشير في هذه اللزومية الى هذه المسألة الفقهية التي كانت مثار بحث ونقد حتى زمن الزمخشري الذي كانت ولادته بعد وفاة المعري بثماني عشرة سنة .

محمد أحمد دهمان

ترجح - وتأرجح

إننا من زمان ، نسير مع العلامة الأستاذ المغربي تتابع الفصول التي يكتبها في تصويب ألفاظ فشا خطأ استعمالها في منشورات بعض المنشئين والكاتبين . وقد رأينا ، وما نزال نرى في تلك الفصول دروساً كبيرة الفائدة لكل من يتصدى للكلام والكتابة ، ويتوخى معرفة الأصول اللغوية وحقائق أحوالها .

وقد طالعنا كلمته المنشورة في الجزء الثالث من مجلة المجمع العلمي العربي الصادر في ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ونرى أن تكون لنا مع الأستاذ وقفة يسيرة حول إحدى التصويبات .

أخذ - حفظه الله - على نشرة مصرية استعمالها « التأخلق » في قولها : « الدعوة الى التأخلق بالأخلاق الإسلامية . » ورأى في تصويبها أن يقال « التخلق » ثم استطرد فقال : وهذا الخطأ يشبه خطأهم في قولهم : تأرجح الأمر بين كذا وكذا . ورأى في تصويبه أن يقال : ترجح .

هنا نود أن نقف مع الأستاذ ، وأن ندلي برأينا في ناحية من نواحي هذا الفعل .

إن مادة الكلمة « رجح » . ثم أدخلت عليها الهمزة والتاء ، فالفعل ثلاثي مزيد بحرفين ملحق بالرباعي المزيد بحرف .

والإلحاق باب جائز وقد نص عليه ، بأن يزاد على أصول بناء حرف أو حرفان ليصير البناء على مثال كلمة أخرى في أنواع تصريفها . مثل تجلبب مادتها « ج ل ب » ، ثم زيدت باء ثانية في آخرها وتاء في أولها لتصير على مثال تدحرج في تصاريفها .

على أن بالمعاجم من هذه المادة ، « مرجوحة وأرجوحة » ، فما المانع أن

يصاغ من هذين الاسمين فعلان على وزن تفعلل ، فنقول : ترجح وتأرجح ؟

ان الصوغ من الأسماء الجامدة وارد ، فقد قالوا : تمسكن ، وتمندل ، وتمدرع ، من المسكين والمنديل والمدرعة .

وقالوا : رَأَسَهُ ، وعضده ، وصدره ، وظهره ، إذا ضرب رأسه وعضده وصدره وظهره .. وقالوا : ساقَهُ ورَمَحَهُ وعَصاهُ إذا ضربه بسيف ورمح وعصا . وقالوا: أرض مأسدة ومسبعة ، من الأسد والسبع .

هذا وان مجمع اللغة العربية بمصر قد أجاز الاشتقاق من أسماء الأعيان الجامدة فقال : « ومع كثرة الاشتقاق من أسماء الأعيان لم يصرح المتقدمون فيه بالقياسية ، وحملهم على ذلك أمران : الأول قلة ما ورد من مشتقات الأعيان بالنسبة الى ما ورد من مشتقات المعاني . والثاني أن المشتق يحمل دائماً الحدث إما مع الذات أو الزمان أو المكان ؛ والذي يقيد الحدث وحده حتى يكون مناطاً للاشتقاق انما هو المصدر ، لكن لما كانت كثرة المشتقات من الأعيان في ذاتها مُطَمْئِنة وحاجة العلم لا الأدب ماسة الى الاشتقاق من أسماء الأعيان رأى المجمع اللغوي اعتباره قياساً . »

وبعد فان اشتقاق « تأرجح » من الأرجوحة يختلف قليلاً عن اشتقاق « تأخلق » من الأخلاق . ذلك لأن الهمزة موجودة في الشكل الافرادي للأرجوحة وليست موجودة في الشكل الإفرادي للأخلاق ؛ أي في الخلق . والاشتقاق من المفرد جائز دون الاشتقاق من الجمع . فهناك كثيرون قد اشتقوا أفعالاً من أسماء مفردة واستعملوها في كتاباتهم فقالوا : تَمَدْيَن ، وتأقلم ، وتمذهب ، وتمنطق .. من المدينة والاقليم والمذهب والمنطقة . فهل هناك من اشتق أفعالاً من أسماء مجموعة ؟

ونزيد فنقول : إن الفعل « ترجح » في المفهوم العام يعني أن يغلب جانب

على جانب ويرجح عليه ، أكثر مما يعني التذبذب والتردد بين الجانبين بخلاف الفعل « تأرجح » الذي لا دلالة له إلا على ما يظهر من حركة الأرجوحة ، وهي التردد بين الجانبين والجهتين جيئة وذهابا .

وليس من الصواب استعمال اللفظ الدال على الأعم في حين إرادة الأخص . وعلى هذا يكون فعل « تأرجح » أوفى بالمراد وأوضح دلالة على المعنى الموضوع له .

وبعد فاننا نرى اشتقاق تأرجح من الأرجوحة وترجح من المرجوحة ولا نرى ما يمنعها .

ولست أقف عند هذا الحد فيما نحن بصدده بل أرى أن أقيس على « تأرجح » فأتناول من هنا وهناك معاني لا أراها تؤدى بسوى أفعال مشتقة على نحو ما اشتق فعل تأرجح . أرى أن أشتق من الأجنبي والاقطاعي ، فأقول في المواطن الذي يفعل فعل الأجنبي والاقطاعي : « تأجنب » و « تأقطع » كما يقال : تفرنس وتأمرك .

ولست أرى فعلي « تجنب وتقطع » يغنيان شيئا في الدلالة على المعنى المطلوب لذلك .

وما أذهب فيما كتبت إلى أني أخذت على الأستاذ المغربي في اللغة مأخذاً ، أو اني استدركت عليه أمراً ندّ عنه ، ولكني أرى في هذا وأمثاله موضع نظر ومجال بحث ، فعسى أن يطالعنا الأستاذ من ذلك بما يجلو الغمة وينقع الغلة .

عارف ابوشقرا

منتخبات من معجم الكواكبي

— ١ —

المقدمة

دفعني الى القيام بهذا العمل الشاق ، ما كنت أجده من الصعوبة في مراجعة كثير من المصادر العلمية والفنية واللغوية للوقوف على معنى لاصطلاح كيمياوي أو شرح لكلمة فيزيائية أو صيغة لمادة دوائية مبعثرة هنا وهناك لم أكن لأتعرض لمثلها لو كان في خزانة الكتب العربية الفنية معجم يعنى بتفسير لجميع المصطلحات الكيمياوية وما يحتاج اليه الكيمياوي والفيزيائي والصيدلي والطبيب وطالب هذه الفروع . فشعرت بلزوم التشمير عن ساعد الجد والعمل لملء الفراغ في هذه الخزانة تلافياً لما قصر عنه السلف .

فبدأت متكلاً على الله مستمداً منه المعونة ، بجمع هذه الشوارد المتبعثرة في بطون الكتب والمجلات والمحاضرات وبعض المعاجم شارحاً بايجاز فيه الكفاية ، وجعلتها في كتاب أسميته (معجم الكواكبي في الكيمياء وما اليها) يكون مرجعاً بين أيدي المشتغلين بالتأليف والترجمة وطلاب الطب والصيدلة وفروعهما يغنيهم عن الاستعانة بكثير من الكتب والمجلات والمؤلفات والمعاجم العربية والافرنجية للوصول الى ما يبغون من معنى لكلمة ، أو مدلول لمصطلح لا يعثرون عليه إلا بشق النفس وإلا اذا وجدت لديهم مكتبة غنية بالكتب الفنية على اختلاف أنواعها وموضوعاتها ولغاتها مما لا يتيسر إلا للقليل الغني الشغف بالمطالعة والدرس والتأليف .

وها أنا ذاكر على صفحات مجلتنا هذه منتخبات من هذا المعجم مما هو من وضعي مع اشتقاقه العربي (وأحياناً اشتقاقه الغربي) ثم شرحه الفني . وأرحب

بكل نقد وتشريح إظهاراً للحقيقة التي ينشدها الجميع حتى إذا ما وجدت الحق بجانب الناقد النزيه لكلمة (أو مصطلح) بحثت عن غيرها ناظراً بعين الاعتبار الى ما أبداه من نقد أو ملاحظة شاكراً له اهتمامه في تحري الصواب . والله سبحانه أسأله التوفيق في الحال والمآل .

ملاحظة :

وزن (فَعَل) يدل على عاهة أو حالة غير اعتيادية من علة أو فساد .

وزن (فُعَالَة) يدل على بقية شيء أو رديئه أو بيان حالته .

وزن (فَعُول) يدل على القابلية .

وزن (فَعُولِيَّة) للاسم أو الحالة من (فَعُول) .

وزن (فُعَال) أكثر ما ورد في ألم أو مرض أو عرض .

وزن (مَفْعَلَة) يدل على (الذي يفعل) عدا عما ورد كاسم آلة وفيه معنى الذي (يعمل ويفعل) مثال : مَخْثَرَة للآلة التي تخثّر ـ مَخْلَصَة ، التي تخلّص ـ مَخْلَجَة ، التي تخلج الخ .

وزن (فَعَلان) يدل على الاضطراب والحركة .

بعض الإشارات الاختزالية الخاصة بهذا المعجم :

= للمعاني المترادفة .

[] للمعاني المختلفة .

ث للثقل النوعي .

صه للانصهار .

غل للغليان .

ف لتحريف النور .

: للمثال أو الشرح .

— بدلاً من الكلمة الأصلية .

* إشارة للكلمة التي هي من وضعنا .

غ غرام .

سغ سنتغرام .

ملغ ملغرام .

ملم ملمتر .

* * *

١) Å أ

رمز وحدة الأطوال الصغرى . اختصاراً من اسم (آنغستروم) الفيزيائي السويدي المشهور بتجاربه وأبحاثه على الطيف الشمسي ، تخليداً له . هذه الوحدة تساوي 10^{-10} من المتر أو 10^{-7} من الملم .

٢) Abat نُشَاشَة .

لغةً : من (نَشَّ الرطبُ أُخرج ما فيه من الريح) . فنّاً : الجلد الذي أخذ انتفاخه بالزوال ، من مصطلحات فن الدباغة .

٣) (— Abats (suif d' شَحْم السَّلابة *

(من اللاتينية à battuere : الضرب ، الضغط ، الذبح) . لغة : (وزان نُمالة ، اشتقاقاً ، من (السَّلَب وهو من الذبيحة إهابها وأكرُعها وبطنها الخ) . فنا : الشحم يتكون بغلي معدة البقر ورؤوسها .

٤) (— Abeilles (cire d' شَمَع ، مُوم .

(من اللاتينية cera : الشمع) . لغةً : الشمع ، محركة وتسكين الميم ، مولّد ، هـذا الذي يستصبح به أو موم العسل) . (شَمَعَ شُمُوعاً شَمْعاً مَشْمَعَةً ، لَعِبَ ومَزَحَ . || والشيءُ شموعاً تفرّق... || مسك مشموع بالعنبر ، مخلوط به . || أشمع السراجُ سطع نوره . || شمّعه تشميعاً ألصقه . والثوبَ غمسه في الشمع المذاب) .

(الموم : بالفم ، الشمع . لا أداة للحائك يضع فيها الغزل وينسج به «مكوك») .

فنّاً : الشمع أو الموم : مادة لينة ضاربة للصفرة يصنع منها النحل خلاياه .
= مادة مائلة تنفرز من كثير من النباتات . لا مزيج صمغ اللك والتربنتين يستعمل لإرشام الرسائل و (الطرود) البريدية ونحوهما .

الشمع الذي يصنعه النحل الأهلي : يتركب من حمض شمع العسل (سه روتيك) وحمض شمع النخل (ميريسيك) وغول (السروتي) و (الميريسي) وأستراتها . ث ٩٦٦و٠ صه ٦٢ ـ ٦٣٠ يضرب الى الصفرة ، ويُقصر بتعريضه للشمس والندى .

من أنواعه الشمع البكر (vierge —) صه ٦٢ . والشمع المبيض (blanchie —) وهو المضاف اليه ٢ — ٥٪ من الشحم ، صه ٦٧ .

استعماله : للتلميع . ويمزج بأقلام الطبع على الحجر ، وبشمع الإرشام (الأختام) . ولصنع شموع الإضاءة .

الشمع النباتي : ما يفرزه كثير من النباتات (بعض أنواع النخيل الشمعية ciriers) . يستعمل في دور الصناعة لعمل الشموع والصابون .

(يتبع) الكواكبي

تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٠٤	٢١	الصفدي	الكتبي
٢١٠	٢	اللتّس	المتلمّس
٢٢٥	١٨	جاب قضاء ..	جابي قضاء ..

صفحة فهرس الجزء الثاني من المجلد الحادي والثلاثين

صفحة	الموضوع	الكاتب
١٧٧	مجموعة ابن النقيب أو بواكير الحدائق والفرف	للأستاذ خليل مردم بك
١٨٧	الاصطلاحات الفلسفية (٢)	للدكتور جميل صليبا
٢٠٢	رسالة الأنوار المقتبسة من أوار النار	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٢٢٢	التكية السليمانية في دمشق (١)	للأمير جعفر الحسني
٢٣٨	رثاء الجندي والبرم	للأستاذ خير الدين الزركلي
٢٤١	إيوانية البحتري (٢)	للأستاذ عبد القادر المغربي
٢٥٣	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية (٢)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧١	الدراسات العربية في الولايات المتحدة	للدكتور بايلي واييندر
٢٨٣	أبو الفتح بن جني (٦)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣٠٢	ابن رشد	للدكتور جميل صليبا
٣٠٤	نوابغ المغرب العربي (١)	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٠٦	مصادر الحق في الفقه الإسلامي	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٠٧	الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعو	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣١٠	المجموع الأول	للأمير جعفر الحسني
٣١٢	آثار معين في جوف اليمن (الجزء الأول)	للأمير جعفر الحسني
٣١٣	تقويم دور الكتب في الشرق الأدنى والشرق الأوسط	للأمير جعفر الحسني
٣١٣	نقوش خربة معين	للأمير جعفر الحسني
٣١٤	ابن الحريري ومقاماته	للدكتور سامي الدهان
٣١٧	الجاحظ	للدكتور سامي الدهان
٣١٩	شاعران معاصران	للدكتور سامي الدهان
٣٢٢	الشعر العربي في المهجر	للدكتور سامي الدهان
٣٢٥	الموشحات الأندلسية	للدكتور سامي الدهان
٣٢٨	الشيخ نجيب الحداد	للدكتور سامي الدهان
٣٣١	تاريخ مصر ١٣٨٢ — ١٤٦٩	للدكتور جورج حداد
٣٣٣	أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني	للأستاذ عز الدين التنوخي
٣٣٥	محاضرات في اقتصاديات سورية	للأستاذ منير الشريف

آراء وأنباء

صفحة	الموضوع	الكاتب
٣٣٨	انتخاب أعضاء مراسلين	
٣٣٩	وفاة الشيخ سعيد العرفي	
٣٤١	رأي في تفسير الزومية السادسة والخمسين	للأستاذ محمد أحمد دهمان
٣٤٣	ترجيح وتأرجح	للأستاذ عارف أبي شقرا
٣٤٦	منتخبات من معجم الكواكبي (١)	للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
٣٤٩	تصويب تطبيع وقع في هذا الجزء	

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — أمراء دمشق في الإسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .

٣٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣١ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٢ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٣ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٥ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٦ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٧ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

Bibliotheca Alexandrina
0652757